

# التعريب



مَجَلَّةُ نَصَفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ

المنظمة  
العربيّة  
للتربية  
والثقافة  
والعلوم

24

السنة الثانية عشرة  
العدد الرابع والعشرون

شوال 1423 - كانون الأول (ديسمبر) 2002 م

التعريب



# التعريب

مجلة نصف سنوية

**العدد الرابع والعشرون**

شوال 1423 . كانون الأول (ديسمبر) 2002

رئيس هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور محمود السيد

المدير المسؤول

الأستاذ الدكتور عسان حلووني

## مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- \* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- \* بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
- \* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- \* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- \* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- \* الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

\*يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها\*

**التعريب:** مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .  
دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الالكتروني: [acatap@net.sy](mailto:acatap@net.sy)  
صفحة الانترنت: [www.acatap.org](http://www.acatap.org)  
السنة الأولى: 1991 . دمشق  
ع/2002/12/15

## في هذا العدد

### الصفحة

#### \* بحوث ودراسات في التعريب والترجمة

- أثر الترجمة والتعريب في إغناء العربية ..... 11  
أ. د. حسام الخطيب
- لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام وفشل في ...! ..... 31  
أ. د. صالح بلعيد
- حول الأطروحة اللغوية في ظل العولمة ..... 91  
د. عبد الله حمد
- إشكالية ترجمة السوابق واللاحق في اللغة العربية ..... 109  
د. آمنة بلعلي

#### \* بحوث معربة أو مترجمة

- التقانات الحيوية والمعلوماتية: كيف يستفيد منها الفقراء؟ ..... 129  
أ. د. محمود الأشرم
- مدخل إلى مشكلة المصطلح ..... 163  
أ. سهيلة ميلاط

**\* بحوث في مجال التعليم العالي**

- من مواضيع تيسير تعليم النحو وحلول مقترحة ..... 185  
أ. د. محمود أحمد السيد

**\* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية**

- ابن كثير ومؤلفاته في حقل التاريخ ..... 201  
د. فاضل جابر ضاحي

**\* من الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز ..... 219**

**\* من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2002 ..... 235**

**\* قواعد النشر في المجلة ..... 261**

## افتتاحية

بقلم الأستاذ الدكتور غسان حلبوني

مدير المركز

لكم كنا نود أن يكون الجدل الذي دار على مدى العقود الماضية قد صار محسوماً لصالح اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم في جامعات الدول العربية كافة، وفي جميع الفروع العلمية بلا استثناء، سواء أكان ذلك الطب أو الهندسة بعلومها المختلفة أو المعلوماتية... إلخ.

وإذا كان تحقيق التعريب يعتمد على توفر المرجع العلمي الشامل باللغة العربية . إضافة إلى ما يمكن الرجوع إليه من مراجع علمية أخرى بإحدى اللغات الأجنبية عند الضرورة . فإن المرجع العلمي المقصود ليس هو المقرر الجامعي فقط الذي يُظن أن على الطالب الجامعي حفظه عن ظهر قلب، ولكنه المرجع العلمي الذي نعود إليه كلما تطلب الأمر، حتى في الحياة العملية بعد التخرج وأثناء مزاولة المهنة.

كيف السبيل إلى هذا المرجع؟ لا مفر لنا من اللجوء إلى الترجمة والتعريب من لغات أجنبية سبقنا أهلها في ميادين العلم والمعرفة. ومن أجل النهوض بهذه المهمة لا بد من التنسيق وتبادل الخبرات بين المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في جميع البلاد العربية بغية الوصول إلى الحلول المثلى، وتوحيد الخطى واختصار الطريق المؤدية إلى الهدف المنشود. من أجل ذلك يدعو المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق إلى عقد الندوات التي يجري خلالها تبادل الآراء والخبرات، وتفاعل وجهات نظر المسؤولين عن التعريب في الوطن العربي بهدف دراسة واقع التعريب في مختلف الجامعات العربية وسبل تعميمه، وتذليل العقبات التي تعترض مسيرته. وقد عقد آخر ندوة له في هذا المجال وهي "الندوة الرابعة للمسؤولين عن

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

تعريب التعليم العالي في الوطن العربي". في رحاب جامعة عدن في الجمهورية اليمنية، باستضافة كريمة من الحكومة اليمنية ورئاسة جامعة عدن. وقد شارك في هذه الندوة خبراء عرب من سورية ومصر والسودان والجزائر والمغرب والإمارات والبحرين وقطر والعراق واليمن، وحضر فعالياتها ممثلون عن ثلاث عشرة دولة عربية.

تمحورت أعمال هذه الندوة حول المحاور الثلاثة الآتية:

. المعلوماتية والاتصال والترجمة الآلية

. دور المصطلحات والكتاب في تطوير عملية التعريب

. سياسات وتجارب التعريب

وقد توصلت الندوة إلى العديد من التوصيات القيمة والمهمة، والتي نأمل أن ينعكس تنفيذها إيجاباً على مسيرة تعريب التعليم العالي في جامعاتنا العربية بما يخدم تكامل سياسات التعريب على المستوى القومي، وما يتطلبه ذلك من خطوات حثيثة في مضمار الترجمة الآلية وتوحيد المصطلح وتوفير الكتاب الجامعي والمرجعي المعرب.

كلنا أمل أن تلقى هذه التوصيات الاهتمام المناسب لدى أصحاب القرار، وأن لا تظل حبراً على ورق كسابقاتها.

والله ولي التوفيق

التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002

بحوث ودراسات  
في التعريب

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

## أثر الترجمة والتعريب في إغناء العربية

### عرض معلوماتي إجرائي

أ.د. حسام الخطيب

كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

جامعة قطر

### القسم الأول: الترجمة من الناحية المعلوماتية

تتصاعد يومياً أهمية الترجمة وحركة تبادل المعرفة من خلالها، وتتجه الترجمة لأن تكون نظاماً معرفياً مستقلاً، وتصاحب ذلك تطورات مذهلة في صناعة الترجمة وتطبيقاتها، ولا سيما ابتداء من العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وتزداد التجارب العلمية والتجارية لاستخدام الترجمة الآلية في عملية تسريع وتنويع واستثمار لوظائف الترجمة المتنامية.

ومن خلال منشورات اليونسكو والمواقع الثقافية في الإنترنت والموسوعات الحديثة، يتضح وجود تفجر ترجمي يصاحب التفجر المعلوماتي والثورة التقنية (التكنولوجية)، بحيث يتضاعف باطراد عدد الترجمات المتبادلة بين اللغات، وتزداد حصيلة الترجمة العلمية والعملية، ولكن ظل للترجمة الأدبية المكان الأول في حلبة التبادل المعرفي حتى أواخر القرن العشرين. ويتضح من الدليل السنوي لليونسكو عام 1997 أن نسب الترجمات حسب الموضوعات يمكن أن تلخص على الشكل الآتي:

- حوالي 50% من الترجمات العالمية تتعلق بالأدب (إبداعاً ودراسة).

- 22.4% العلوم الإنسانية والاجتماعية.

– 15.6 العلوم البحتة والتطبيقية.

مع ملاحظة أن نسبة ترجمة العلوم والتقانة والاقتصاد في تصاعد مستمر<sup>(1)</sup>

ومن خلال مقارنة نشاطات اللغات الحية في هذا المجال، تبدو اللغة العربية، بإمكاناتها النشورية المحدودة، لاهثة لتلحق بالركب الذي يسير بسرعة لا ترحم المتلكئين.

وبوجه عام يتخذ الاهتمام العالمي بالترجمة من قناتين رئيسيتين:

**الأولى:** قناة الممارسة، أي تزايد أعداد الكتب التي تترجم بين اللغات المختلفة، ويقدر عدد ما أنتج منها خلال ربع القرن الماضي بمليون وربع ترجمة بين اللغات<sup>(2)</sup>.

**الثانية :** الناحية النظرية والمعرفية، أي محاولة فهم طبيعة الترجمة وتحديد أهدافها، ووضع الخطط القومية والدولية لتنميتها، وأخيراً تصوّر مخطط للمعايير التي يمكن من خلالها ضبط الترجمة، لأن كثرة الترجمات تحدث خشية من تدني المستوى، وتفسح مجالاً كبيراً للزيف.

وفي بضع السنوات الأخيرة، بدأ يطرح تساؤل عن مصير الترجمة في عصر العولمة، وهو تساؤل وجيه. فالعولمة بمعناها المحايد، تعني إزالة الحواجز والفيض الحر للمعلومات والثقافات وكذلك فتح الأسواق وحرية التجارة والتبادل، وفلسفة الترجمة غير بعيدة عن هذه المفاهيم. وبالطبع تتطوي العولمة على خطورة الهيمنة الأحادية للنموذج الأمريكي ولغته وثقافته. ولكن على الرغم من أن اللغة الإنكليزية تزداد انتشاراً في العالم حتى أصبحت اللغة العالمية الأولى دون

---

<sup>(1)</sup> Index Translationum, CD Rom, UNESCO, 1997 وتختلف هذه النسب عادة حسب تصنيفات

المعارف.

<sup>(2)</sup> هذا واضح من إحصاءات دليل اليونسكو للترجمة. هذا تقرير مبني على المتابعة الشخصية. وتصل إحصاءات اليونسكو للترجمة من (1979 - 1997) إلى 904444، ولكن هذه الإحصاءات مبنية على ما تزوده الدول من بيانات، فلا تشمل كثيراً من الترجمات في الدوائر الخاصة، كما أن إحصاءات بعض دول العالم الثالث مضطربة، ثم إن بعض الدول لا تلبي طلبات اليونسكو للإحصاءات. ومن هنا ارتفعنا بالرقم إلى مليون وربع تقديراً. والجدير بالذكر أن الموسوعات المتاحة حول الترجمة لا تقدم إحصاءات إجمالية

منازع، فلا يعقل أن تستطيع لغة واحدة التفرد بالعالم، ولذلك ستبقى الترجمة قناة تواصل رئيسية، وإن كانت الإحصاءات تدل على أن الإنكليزية أصبحت أيضاً المصدر الرئيسي للترجمات. وهذا يعني أن التخوف من الهيمنة والأحادية وارد حتى عن طريق الترجمة، أي أن الترجمة يمكن أن تكون بدورها طريقاً للتغافياً للعلومة.

وفي المحيط العربي يجري التساؤل عن الموقع الذي تحتله اللغة العربية بين اللغات الحية في حلبة الصراع العالمي حول امتلاك المعلومات ونقل المعارف، وتعتبر الترجمة مؤشراً رئيسياً في هذا المجال. ومن خلال الإحصاءات والمتابعات تتكون فكرة شبه دقيقة عن تضاريس الترجمات في العالم. وتتوافر عالمياً جداول مختلفة مصنفة حسب الموضوعات واللغات، ويعتبر دليل اليونسكو للترجمة أكثرها تفصيلاً وانتظاماً. ومن هذا الدليل يتضح أن العالم ترجم 904444 عنواناً من 1979-1997، وأن نصف هذه الكتب ترجم من الإنكليزية إلى اللغات الأخرى<sup>(3)</sup>. وأن أكثر البلدان المصنعة إقبالاً على الأخذ هي اليابان التي تترجم إلى اليابانية عشرة أضعاف ما يترجم منها إلى اللغات الأخرى. ومن اللافت للنظر تزايد إقبال اللغة الألمانية على الترجمة من الإنكليزية وكذلك من الفرنسية، وتضاؤل دور اللغة الروسية وانتقالها من لغة مرسلة إلى لغة مستقبلية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في التسعينيات. وبالمقابل نجد أرقام اللغة العربية متواضعة جداً، وتكاد تبلغ ستة آلاف ترجمة خلال ربع القرن الماضي من اللغات الأخرى، ومثل هذا العدد ترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى؛ وفيما يأتي تفصيل ذلك من خلال الجدول (1):

### **مؤشرات حركة الترجمة بين اللغات**

ومع متابعة حركة الترجمة بين اللغات من خلال الإحصاءات والقوائم والدراسات، يمكن تلخيص مؤشرات حركة الترجمة بين اللغات على النحو الآتي:

1. تعاظم إنتاج الترجمات وتوسعه أفقياً، أي توسع مروحة الترجمات لتضم إليها دائماً لغات جديدة، لم يكن لها ذكر من قبل.

---

(3) هذا واضح من إحصائيات دليل اليونسكو السنوي للترجمة، سابق

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

2. استمرار التفوق العددي للترجمات الأدبية، حيث يظهر في هذا المجال أن الإنتاج الأدبي للبلدان النامية يحظى باهتمام متزايد؛ وبذلك يبقى رقم الترجمات الأدبية مرتفعاً.
3. يلاحظ قلة إقبال الدول النامية على الترجمات العلمية، مع أنها أحوج ما تكون إليها. وهنا تمتاز اليابان بمتابعة الإنتاج العلمي الغربي واستيعابه.
4. إلى جانب الإنتاج الإبداعي الأدبي لا يبدو أن البلدان النامية تصدر أية ترجمات ذات شأن، وتصل حصيلتها إلى الصفر في مجالات العلوم والفنون والألعاب والتسلّيات، حيث تغطي الترجمات من اللغات الغربية طغياناً تاماً.
5. مازال كتاب ألف ليلة وليلة يتصدر قائمة الترجمات من العربية إلى اللغات الأخرى بصيغته الكاملة أو من خلال حكاياه المختلفة.

الجدول (1) موقع العربية بين اللغات العالمية (1979 - 1997)

| اللغة      | الإرسال | الاستقبال | ملاحظات                                  |
|------------|---------|-----------|------------------------------------------|
| الإنكليزية | 441650  | 69728     | إرسال فائق واستقبال محدود                |
| الفرنسية   | 98826   | 79888     | تقارب بين الإرسال والاستقبال             |
| الألمانية  | 80656   | 153352    | اهتمام زائد بالاستقبال                   |
| الإسبانية  | 17806   | 111701    | اهتمام زائد جداً بالاستقبال              |
| الروسية    | 78885   | 50936     | ارتفاع الإرسال في فترة الاتحاد السوفياتي |
| اليابانية  | 4377    | 49327     | فرق شاسع لصالح الاستقبال                 |
| العربية    | 5027    | 4357      | ضالة في الإنتاج ، وتوازن                 |

6. من ناحية اللغات:

- تتفوق اللغة الإنكليزية كماً وكيفاً، ويزداد إرسالها الترجمي بتسارع مذهل على الرغم من انتشارها العالمي وإقبال الناس على تعلمها. وتبين الإحصاءات أن حوالي نصف الإنتاج العالمي من الترجمة يأتي من الإنكليزية. ولا تدانيها في ذلك أية لغة أخرى.

• تظهر اللغة الروسية تراجعاً شديداً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، بعد أن كانت من أهم اللغات المرسلّة.

• تتحول اللغات الأوروبية التقليدية مثل الألمانية والفرنسية والإسبانية من مرسلّة إلى مستقبلّة، وتظهر الألمانية توسعاً في استقبال الترجمات الإنكليزية العلمية بوجه خاص، وقد تأتي ثانياً بعد اللغة اليابانية.

### **حول وضع اللغة العربية:**

بالنسبة للغة العربية يلاحظ - كما ذكرنا - تعادل في أرقام الإرسال والاستقبال (حوالي 6000 كتاب لكل حالة) خلال الفترة المدروسة.

ويلاحظ في الترجمات إلى العربية ضعف في الترجمة العلمية التي نحتاجها أكثر من غيرها. ويمكن تصنيف التسلسل العددي للترجمات إلى العربية حسب الموضوعات كما يلي:

1. الترجمة الأدبية، وهي تعادل ربع مجموع الترجمات.
2. الترجمة السياسية والعلوم الاجتماعية، وتعادل الربع الثاني.
3. الترجمة العلمية، وتعادل الثمن فقط.
4. وتلي ذلك الجغرافية والتاريخ، ثم الفلسفة وعلم النفس. وتعتبر أضعف خانة في الترجمات من وإلى العربية هي خانة الفنون والألعاب الرياضية.

بينما تنصدر الترجمات الأدبية والدينية قائمة الترجمات من العربية إلى اللغات الأخرى. وبالنسبة للترجمات الدينية حول الإسلام عقيدة وتراثاً وحضارة، هناك توسع واضح في مروحة اللغات المستقبلّة لها، ولكن عدد النصوص الأصلية (نصوص المصدر) يظل محدوداً جداً، أي أن الكتاب الواحد يترجم إلى لغات متعددة ولكن عدد العناوين المترجمة قليل جداً.

ويحظى بعض الأدباء العرب بنصيب طيب من الترجمات ولاسيما نجيب محفوظ ومحمود

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

درويش وأدونيس. وظهر مجدداً اهتمام متزايد بترجمة الإبداع الأدبي للنساء العربيات<sup>(4)</sup>.

في ختام هذا القسم المعلوماتي يبدو واضحاً أن قضية الترجمة العربية تحتاج إلى جهود كثيرة جداً لتتناسب مع حاجة الوطن العربي إلى المعرفة من جهة، ومكانة اللغة العربية بين لغات العالم من جهة أخرى. ومن المؤكد أن اللغة العربية تتمتع بكثير من مقومات النجاح في السباق الدولي، ولكن الأمر يحتاج إلى عناية ورعاية وتسميد وبنار .

ومن الضروري جداً الإسراع ببذل جهود عربية حقيقية مشتركة من أجل تنظيم عملية الترجمة، وتجاوز الأطر الهيكلية والمؤسسات الفارغة التي يصرف معظم دخلها على الرواتب والأجور، وتعاني في حالات كثيرة من عدم تقدير عامل الخبرة والنوعية، ومن المنافسات الإقليمية داخل أجهزتها. وفي الوطن العربي حالياً أكثر من مركز للترجمة، منها مراكز عربية المستوى مثل:

- "المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر"، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومركزه دمشق، ويصدر مجلة نصف سنوية هي **التعريب**.
- مشروع "المؤسسة العربية للترجمة" الذي شرع بإنشائه مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، وتتوالى الأخبار مجدداً حول تكوين نواته وهيكلته.
- وهناك أيضاً مشروع "مركز الترجمة والتعريب في مجلس التعاون لدول الخليج العربية"، الذي أقره بصيغته شبه النهائية اجتماع وكلاء وزارات الثقافة ومن في حكمهم في خمس دول

---

(4) تعتبر دراسات الدكتور صالح الطعمة مرجعاً مهماً بهذا الصدد:

- الطعمة، د. صالح جواد: **في العلاقات الأدبية بين العرب والغرب، دراسة وببليوغرافيا،** دمشق، دار كوثا، 1988.

- Altoma, Salih J..

- "The Reception of Najib Mahfuz in American Publications". **YCGL**, 41(1993): 160-168.

- Modern Arabic Poetry in English Translation, Bibliography. King Fahd School of Translation, Tangier, 1993.

خليجية (2001/10/14) في الدوحة، ووافق على طلب دولة قطر استضافته، ومن المنتظر عرضه على الجهات العليا لإقراره<sup>(5)</sup>.

تضاف إلى ذلك طبعاً جهود كل دولة عربية على حدة. ويبدو من كل هذه الجهود غياب الاستراتيجية المحلية أو العربية، والافتقار إلى تحديد الأهداف، وبطء الإنتاج وتبعثره وفقدان التعاون والتنسيق بين مختلف هذه الجهود الإقليمية والقومية<sup>(6)</sup>.

### **القسم الثاني: الترجمة من الناحية المعرفية**

العولمة، الإنترنت، الثورة الاتصالية، تفوق اللغة الإنكليزية، وغيرها من مؤشرات تطور العصر، قد توحى بتراجع الترجمة، ولكن شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين توسعاً مذهلاً في الإقبال على الترجمة بين اللغات. وربما على المستوى نفسه من الأهمية تطور حقل الدراسات المتعلقة بالترجمة من ناحيتي النظرية والتطبيق. وقد تعددت مناسط الترجمة وتنوعت وأصبحت تشكل حقلاً معرفياً قائماً بذاته. وتشير الدلائل إلى أنه سيتبلور قريباً في شكل نظام معرفي discipline شأنه شأن الأدب المقارن أو النقد الأدبي. وقد رفدته الدراسات الثقافية المعاصرة cultural studies رفقاً قوياً من خلال تركيزها على قوة العامل الثقافي ذي التركيب المتداخل والمعقد في تشكيل طرق تقرب البشر من شؤون المعرفة والعلم والأدب والفن من جهة، وشؤون السلوك والأخلاق والعمل والتفاعل الاجتماعي من جهة أخرى. وبالطبع هنا ترد الترجمة بوصفها عاملاً فعالاً في تلقيح الأفكار وتطويرها وإعادة تشكيلها، وذلك بصرف النظر عن

---

<sup>(5)</sup> شارك كاتب هذه السطور في دراسة المشروع، وتمكن مراجعة أخباره في الصحف القطرية، الراية، الوطن، الشرق، بتاريخ 2001/10/15.

<sup>(6)</sup> تدل كل الدراسات على التشاؤم بالنسبة لعمل هذه المؤسسات وضالة إنتاجها بالقياس إلى حاجة الوطن العربي للترجمة كما وكيفاً.

من أجل التوسع انظر: شوقي جلال محمد: "تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي"، والمناقشات الملحقة به، في: مركز دراسات الوحدة العربية : الترجمة في الوطن العربي، نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة، بيروت، 2000: 69-135، ولاسيما الخلاصة حول "آفاق المستقبل"، 110-112.

صحتها أو دقتها أو مناسبتها أو فائدتها المنظورة أو انسجامها مع طبيعة التراث المتلقي الذي تحاوره.

وقد ازداد الموقف المعرفي للترجمة قوةً، وكسب أيداً كبيراً من خلال الدراسات الأنثوية Feminine Studies، التي رفعت من شأن الترجمة وقيمتها الفكرية، وحاولت أن تنقلها من خانة الحرفة إلى خانة نظام معرفي مستقبلي، يكاد يطغى على أنظمة معرفية، كانت حتى الآن تعتبر اللسان الذهبي للعصر مثل الأدب المقارن، الذي جرى في بعض الحالات تحديه إلى درجة أن كاتبة مثل سوزان باسنت تجد فيما يسمى بالدراسات الترجمة Translation Studies حلاً لما يعتقد أنه معضلة الأدب المقارن، وتبشر بمستقبل وضاء لهذه الدراسات في السنوات القليلة القادمة<sup>(7)</sup>.

ولكن الحديث جرى حتى الآن في إطار الثقافة والأنظمة المعرفية الأدبية، وتعتبر الخطوة الرديفة في الأهمية ما تمّ علمياً من وصل الترجمة بمجالات البحث اللساني وسميائيات التلقي والتناص. إلا أن هذا ليس كل شيء، فالترجمة تتجه منذ منتصف القرن العشرين بقوة إلى أن تكون علماً موضوعياً بكل ما في الكلمة من معنى. والحق انه مع تعدد نظريات الترجمة وتقنياتها وأنواعها وأغراضها، بات ضرورياً جداً أن ينتظمها القانون العلمي، ولاسيما أن الترجمة الآلية Machine Translation باتت على الأبواب، وما هو إلا عقد قريب من السنين حتى تتضح طرقها وتأخذ مكانها في عجلة الإنتاج الترجمي ذي الطاقة الهائلة والسرعة المذهلة<sup>(8)</sup>.

---

(7) يلاحظ هنا أن إسهام النساء في الترجمة ودراساتها في الغرب أصبح عاملاً في "تأنيث" مفهومات الترجمة والدراسات المتعلقة بها.

للتوسع يمكن مراجعة المقالات المنفرقة التي نشرها كاتب هذه السطور حول الموضوع في الدوريات، كذلك في: حسام الخطيب: **الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة 2001، الفصل الرابع ولاسيما : 133-151

(8) يدعو كاتب هذه السطور إلى إعداد دراسات لغوية وتقنية لاستخدام الترجمة الآلية في برنامج شامل لتعريب العلوم. ولديه مشروع مقدم للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودراسات منشورة في هذا المجال. انظر :

وإذا تركنا الناحية النظرية وتعقيداتها وأتينا إلى الناحية العملية، نجد أنه أصبح من فضول القول الحديث عن أهمية الترجمة في التفاعل والتلاقح بين الثقافات، وفي تقريب أفكار البشر بعضها من بعض، وفي إحلال التفاهم محل سوء الفهم والمرددات المتحيزة والتعميمات الراجحة stereotype، وكذلك في إيقاظ كل ثقافة، بل كل لغة، من أوهام الكهف، أي من المبالغة في الرفع من شأن إرثها الثقافي والإقرار بقيمة الثقافات الأخرى.

وبالمقابل يستطيع المرء أن يحصي للترجمة كثيراً من السيئات، من مثل إدخال الأفكار الهجينة، وانتقاء ما هو براق ومخادع من الثقافات الأخرى مقابل الانصراف عن الرصين والعميق والمفيد، وكذلك سوء الترجمات وضعفها وخيانتها للأصل، لدرجة أنها قد تزيف المضامين وتقدم للمتلقي ضروباً من الأوهام والأباطيل، من شأنها أن تشكل صورة مشوهة تبنى عليها فيما بعد قناعات ومواقف ليس لها أساس، وقد تتطور المسألة إلى درجة أن تصبح آفة تاريخية يتوارثها الآباء عن الأجداد والأبناء عن الآباء.

والحق أن الإجماع منعقد بين العارفين على أنه مع اتساع حركات الترجمة في العالم، وازدياد عدد اللغات الداخلة في السباق الترجمي، ومع عدم توافر آليات (ميكانزم) ذات كفاية للضبط والإشراف، تسود يومياً الترجمات التجارية الرخيصة السريعة وتتسابق على أبواب الأسواق ونوافذ العرض، بينما تقبع الترجمات الرصينة والدقيقة والمسؤولة خلف كشافات الأضواء، أو في عتمة الرفوف والأروقة، لا يعبأ بها جمهور المتلقين، هذا إذا علم بها أصلاً.

والمشكلة أنه في صميم تكوين عملية الترجمة توجد أرضية قوية تزين للمترجم وتسهل له فرصة الانحراف إلى عَرَض الاستهواء وبهرج الزيف والطلاء. وإذا كان الإيطاليون يقولون إن

---

- "الترجمة الآلية، أي دور في تطوير تعريب العلوم؟"، ألكسو - ندوة المركز العربي للتعريب، الخرطوم - دمشق 1999، وقائع الندوة: 141-159.

- "مشروع تعريبي شامل من خلال أحدث تطورات الترجمة الآلية في تعريب العلوم"، ألكسو - ندوة المركز العربي للتعريب، دمشق، 2000، وقائع الندوة: 271-291.

الترجمة تعني الخيانة traduttore traditore (حرفياً المترجم خائن)، فالفرنسيون - على طريقتهم - أعطوا صورة أخرى لطريقة، إذ وصفوا الترجمات الزاهية بأنها الترجمات غير المخلصة les belles infidèles (الجميلات الخائنات)، أي أن الترجمة إما أن تكون جميلة ولكن خائنة، وإما أن تكون أمينة فهي بالضرورة قبيحة. وإنه اختيار صعب أمام المترجم، بل إن هذا الاختيار أشبه بهاجس يؤرق العاملين في مجال الترجمة في كل لحظة من عملهم، ويسبب لهذا العمل كدراً كثيراً ناتجاً عن التردد والحيرة، على حين ينبغي أن يكون عمل الترجمة انسيابياً ومتماسكاً ليستطيع أن يفي برواء الينبوع الأصلي، وأن يحمل مسحة من بكارته وإغوائه.

ومما يسجل للحضارة العربية أنها كانت سباقة إلى إدراك دور الترجمة في عالم لم يكن آنذاك شديد التفهم للتقارب الثقافي والتبادل المعرفي، ويكفي أن نتذكر دار الحكمة وما يقال من أن المأمون كان يمنح المترجم وزن كتابه ذهباً. وفي السردية العربية حكايات ومرددات عن هوس المأمون بالترجمة. ويعلم الله كم عانى مترجمو ذلك العصر في فهم النصوص الأصلية من جهة، وإيجاد المصطلح العربي المناسب من جهة أخرى. وبدلاً من انتقادهم يقتضي الإنصاف التنويه الدائم بجهودهم وعدم التركيز على سقطاتهم، وإن كانت غير قليلة.

ومما يسجل للعرب أيضاً أنهم كانوا سباقين لطرح معضلة ترجمة الشعر، وكان شيخنا الجاحظ قاطعاً مانعاً في هذا المجال، وتحدياته المعروفة بهذا الشأن غريبة عن مجمل ثقافته الواسعة المرنة المنفتحة، ولعل ذلك من تأثير هيبة الشعر في الذهن العربي: "الشعر لا يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى ترجم سقط ، وبطل موضع التعجب منه." ولا نعرف للعرب ترجمات شعرية قديمة فكأن هذا الموقف كان مطّرداً.

على أن كل هذه المناقشات والمطارات لم تؤدّ إلى إعاقة مسيرة الترجمة، بل كانت مصحوبة دائماً بتطورات عظيمة كما وكيفاً في إنتاج الترجمة، الذي أصبح من أبرز المعالم المعرفية للعصر الحديث.

وفي الإطار العربي يحسن التذكير بحقيقتين ينبغي أن تظلا ماثلتين في أذهان العاملين في

الترجمة والمسؤولين عنها:

**الأولى:** مهما قيل في مساوئ الترجمة ونقائصها ومعضلاتها ومشكلاتها، فهي تبقى حركة مثل السيل الجارف، إذا أوقفناه من جهة تدفقت مياهه من جهة أخرى، لذلك ينبغي أن نعالجه وهو ماضٍ في غلوائه.

**الثانية:** وإذا كانت سياسات الإيقاف والمنع والتشكيك لا تجدي، لاعم الترجمة ولا مع أي نشاط ثقافي آخر، فالأصح أن يجري التحرك بسرعة لتجنيّد الكفاءات المقنطرة، ومنحها ما تستحقه من تقدير مادي ومعنوي، لأنها هي الوحيدة القادرة على كشف الزيف وطرح الزيد إلى حيث ينبغي أن يكون.

فالمهم دائماً أن ننادي بتوسيع مدى الإنتاج الترجمي وتناوله بالجدية الكافية، ورعايته من خلال مستلزمات التنمية العملية والتقدير المعنوي.

### **القسم الثالث: الترجمة والتنمية اللغوية**

إن فضائل الترجمة في التواصل المعرفي والعملية بين البشر، وفي تخطي الحواجز اللغوية والثقافية بين بلدان العالم، وفي تعميم منجزات العلم والتقانة وإبداعات الفن والأدب، هذه الفضائل معروفة ومعترف بها منذ أقدم العصور، وتزداد أهميتها في عصر الاتصال والعولمة نتيجة لاتجاه حضارة العالم المعاصر وثقافته ومنجزاته المعرفية إلى مستوى متزايد من الانسجام والتفاعل الثقافي المعلوماتي، إلى درجة أن العلم والتقانة أصبحا اليوم عالميين بالمعنى الكامل، ويصعب نسبة أي منهما من ناحية الحقائق والمنجزات والتطلعات إلى بلد معين أو منطقة معينة، اللهم إلا من ناحية مستوى التقدم والتطور، وهو مستوى ذو مقياس عالمي ومقارن، أي أن تقدم كل أمة لا يقارن بماضيها وتاريخها ومستقبل احتياجاتها، إنما يقاس بدرجة التطور التي توصلت إليها الإنسانية في مرحلة معطاة من العصر الحاضر. وتدخل في هذا الحكم نسبياً العلوم الاجتماعية، والعلوم الإنسانية والآداب. ويشير ازدياد الاهتمام المعاصر بالأدب المقارن والآداب العالمية إلا أن توحيد نواميس ومقاييس الظاهرة الأدبية، سواء أكانت إبداعية أو نقدية (أي دراسة

للإبداع) أصبح مطمحاً مطروحاً على بساط البحث، يستمد أيداً ودفعاً إلى الإمام من تطورات حركة الترجمة بين اللغات (التي أوضحنا جانباً منها في القسم الأول من هذه الدراسة).

وهناك دعم أساسي لهذا الاتجاه التوحيدي للمعرفة العالمية يأتي من منجزات اللسانيات المعاصرة التي تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة مشتركة تخضع لقوانين صوتية ودلالية وتطورية واحدة، وبذلك زالت النظرة القديمة إلى كل لغة على أساس فقهها الخاص وعلمها المحصور بها، وليس ممكناً اليوم دراسة لغة بمعزل عن دراسة اللغات الأخرى. ومن خلال هذا التطور المتفق عليه علمياً، أخذت تتحول النظرة إلى الترجمة تحولاً جذرياً، من نظرة خشية وحرص على سلامة اللغة القومية إلى نظرة تقدير وإشادة بما تقدمه الترجمة من تغذية وإحياء وتطوير للغة المترجم إليها، وبدا ذلك جلياً في تطورات شعار اليوم العالمي للترجمة الذي ترعاه منظمة اليونسكو والاتحاد الدولي للمترجمين، على النحو الآتي:

- 1992 "الترجمة جوهر التواصل" ويحمل ذلك تأكيداً وتثبيتاً لحقيقة عالمية تاريخية
- 1993 "الترجمة حضور نافذ" وهو توطيد لدور الترجمة المتعاضد في حياتنا المعاصرة
- 1994 "الأوجه المتعددة للترجمة" اعتراف بتشعب الترجمة وتنوعها وتضارب النظريات والاتجاهات المتعلقة بها.
- 1996 "الترجمة أداة للتنمية" وهنا القفزة، إذ جرى تنويع دور الترجمة في التنمية الشاملة وبالطبع تدخل في ذلك التنمية اللغوية.

وبما أن موضوع الدراسة الحالية هو إغناء اللغة العربية وتنميتها، فسوف نركز على هذه النقطة بالذات، لأن موضوعات الترجمة متشعبة جداً، وكل شعب يقود إلى شعاب أخرى فكرية واجتماعية ونفسية وتاريخية ومعتقدية واقتصادية ولغوية.

ودون استطراد كبير، يمكن للمرء أن يتخيل كيف أن الترجمة تدخل في شرايين الحياة المعاصرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وكذلك بطريقة غير خطية. وبالنسبة لنا نحن العرب،

شأننا شأن سائر البلدان النامية أو بلدان الجنوب أو العالم الثالث تكاد وارداتنا من الترجمة عن العالم المصنع أو عالم الشمال تكون أضعاف أضعاف إنتاجنا المعرفي والاتصالي والعملي بوجه عام. ودون دخول في التفاصيل، لتتخيل لحظة واحدة لو أن الترجمة غير موجودة، ماذا يكون شأن حياتنا؟ إن هناك باحثين يتعبون أنفسهم وهم يعددون مرافق الحياة والمعرفة التي تشكل الترجمة قناة حيوية لها، ويطول بهم الكلام ويعرض دون أن يستنفذوا تلك الجوانب، وليس من أهداف هذه الدراسة أن تفعل ذلك ولكن يكفي أن نتذكر أنه، مقابل توسع جوانب حركة الترجمة كميّاً في بلادنا، تُعاني عملية الترجمة إلى العربية والتعريب في بلادنا من الفوضى والإهمال والاضطراب وفقدان المعايير.

وإذا حصرنا الكلام باللغة العربية نفسها نجد أن اللغة الفصيحة، التي نستخدمها في مجالاتنا العلمية والتربوية والرسمية والأدبية وغيرها، هي أشبه بلغة صنعتها ترجمة، لا من ناحية مفرداتها فحسب بل أيضاً من ناحية تراكيبها وأساليبها.

وعلى الرغم من حسرتنا على الجمال اللغوي والمتعة الأسلوبية التي نكاد نفقدها اليوم، لا نستطيع أن ننكر أن لغتنا العربية تغطي باطراد وتتوسع وتزداد مرونة ودقة وتمكناً نسبياً من المصطلح الفكري والعلمي، ويرجع جانب كبير من ذلك إلى ما أدخلته في لغتنا الترجمة المباشرة أو غير المباشرة - ولاسيما في ميادين العلوم والاقتصاد والسياسة والتقانة المدنية والعسكرية - من مفردات وكلمات مفتاحية وعبارات جاهزة ومصطلحات متبلورة. والحقيقة أنه يمكن أن نحدد على الأقل ثلاث قنوات ترجمة تسهم في إغناء العربية اليوم وتقريبها من الوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة والصمود أمام منافسة اللغات المهيمنة في العالم ولاسيما اللغة الإنكليزية، وهذه القنوات هي:

#### **آ - المصطلح**

وما يتبعه من كلمات مفتاحية ومفردات دقيقة، ليس في مجالات العلوم البحتة والتقانة فحسب ولكن أيضاً في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانيات والنقد الأدبي والدراسة الأدبية. وتعتبر هذه

المصطلحات والكلمات الدقيقة عصب المعرفة والتعبير في يومنا هذا، وما كان يصبو إليه "قلوبير" الفرنسي قديماً من التوصل في الكتابة الأدبية (وحتى الإبداعية) إلى الكلمة الدقيقة le mot juste أصبح الآن حقيقة واقعة في كل مجالات التعبير. وتتخلى اللغات اليوم تدريجياً عن متعة البلاغة وجمال التعبير من أجل ذاته، وذلك بغية تحقيق التواصل المعرفي بأقصى قدر من الدقة، والحقيقة أن مفهوم البلاغة نفسه وحساسية الجمال الأسلوبي أخذ بالتغير مع تطورات العصر، وذلك ضرب من الكلام له مجال غير هذا المجال. ولقد عولجت قضية المصطلحات في المنطقة العربية من جوانب عديدة، وحاولت المجامع والجامعات وغيرها من الهيئات المختصة وضع ضوابط لصوغ المصطلح بالعربية، ولكن يبدو أن العبء أكبر من أن تستطيع أية جهة معالجته على انفراد. والعلة الأساسية هنا مزدوجة، وهي انعدام التنسيق وانعدام الاستمرارية في العمل. والمشكلة أن هذا العصر هو عصر التوالد المذهل للمصطلحات. وتردنا اليوم في حقول العلم والتقانة ومختلف أشكال المعرفة مئات المصطلحات يومياً. وتجاهد اللغة العربية لاستيعاب هذه المصطلحات، وتضطرب الأمور اضطراباً شديداً. ومع ذلك لا ننكر أن العربية قطعت شوطاً لا بأس به في هذا المضمار. وإنصافاً للحق لابد أن نشير إلى نجاح التجربة العربية السورية في هذا المجال، حيث أمكن تحقيق الوحدة النسبية للمصطلح داخل سورية على الأقل، وذلك بفضل تأزر مختلف الجهات ووجود قرار سياسي واضح وحملة وطنية وتعاون من قبل فئات المثقفين وجمهرة المتعلمين، ووجود روح اعتزاز بالمصطلح العربي مع حرص على عدم انقطاعه عن المصطلح الأجنبي. ويمكن أن تعتبر لغة العلم والثقافة في سورية نموذجاً جيداً للمقدرة على إقامة التوازن بين احترام أساسيات اللغة العربية وفي الوقت نفسه تغذيتها بالمصطلحات والمفردات الدقيقة الوافدة التي تنتمي إلى العربية اشتقاقاً أو تعريباً صوتياً، ولكنها لم تكن يوماً في ذاكرة لغة الآباء والأجداد.

وهنا لابد من الإشارة إلى اضطراب المصطلحات في البلدان العربية وتضاربها وعدم استقرارها. وهذا ما يعطي أعداء التعريب فرصة لنقض المبدأ نفسه والدعوة إلى تبني المصطلح الأجنبي كما هو. والحق أنه قد كتب الكثير في ضرورة توحيد المصطلحات، ولا ننكر أن رغبة

التوحيد قائمة، ولكن الخلافات العربية في كل شيء قائمة أيضاً، والجهات المسؤولة عن التعريب، ولاسيما مجامع اللغة العربية، تبذل جهداً كبيراً، ولكن صوتها غير مسموع وأدواتها وإمكاناتها محدودة جداً، بحيث لا تستطيع استباق المصطلحات العشوائية التي تدرج في السوق وتروج هنا وهناك ويصبح من الصعب إحلال مصطلحات سليمة مكانها. وبالمناسبة أجرى كاتب هذه السطور تجربة حول استباق مصطلحات الحاسوب، منذ منتصف التسعينيات، ونشرت النتائج التي جرى التوصل إليها في المجالات المختصة<sup>(9)</sup> وفي كتاب **الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع**<sup>(10)</sup>، ولكن ردود الفعل كانت محبطة<sup>(11)</sup>.

وأخيراً، مثلما تساعدنا الترجمة وتصلنا بثمرات المعرفة والعلم، علينا أن نساعدنا ببلورة المصطلحات على الأقل، وذلك من خلال الخططين التاليين:

1. العمل على توحيد المصطلحات في وقت واحد على المستوى القطري والإقليمي (الخليجي مثلاً أو المغربي)، والقومي (العربي). وإلا فينبغي ألا نأخذ على أبنائنا وناشئنا اتجاههم إلى الانصراف عن العربية إلى اللغات الأجنبية.
2. قيام المؤسسات المعنية باستباق المصطلحات الكيفية والتعسفية، والمبادرة إلى تغطية

---

(9) من ذلك مثلاً:

- حسام الخطيب: "مصطلحات النص المفرع في إطارها الدلالي والتراثي"، ترجمان، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، جامعة طنجة، مجلد 7، ع2 أكتوبر 1998: 57-86 .  
- " العربية في عصر المعلوماتية "، التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، س8، ع 15، 1998/6 : 65-102

(10) حسام الخطيب: **الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع Hypertext** ، المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، الدوحة-دمشق، 1996: 205-2011 .

(11) وللأمانة ، حاضرت أيضاً في الموضوع وأثرته في ندوات ومؤتمرات، ورد الفعل الوحيد الذي توصلت إليه أتى من زميل لغوي غيور على العربية، اعترض أصلاً على كلمة حاسوب، ولم يقبل باشتقاقها ولا بالاشتقاق منها وانتهى في مقاله إلى ضرورة تجنب التجاوز على قواعد العربية والخلافات عند اشتقاق المصطلحات بالدعوة إلى استخدام المصطلح الأجنبي، فكما أخذنا الراديو والتلفزيون لماذا لا نأخذ الكمبيوتر

الاحتياجات المستمرة لمصطلحات جديدة مع إعطاء الأفضلية للنواحي العلمية الأكثر شيوعاً<sup>(12)</sup>.

والخلاصة أن المادة التحليلية المتعلقة بالمصطلحات متوفرة بكثرة، وقد شغلت مسألة المصطلحات وأصول توليدها الدوائر اللغوية المختصة منذ مطلع القرن، ولدينا تراث نظري جيد في هذا المجال، ولكن المهم أخيراً هو الناحية الإجرائية والتطبيق العملي. ويصعب على جهود الترجمة أن تؤدي وظيفتها بمستوى جيد من الكفاية، إذا لم تدعمها المؤسسات بتوحيد المصطلحات. أي أن عملية توحيد المصطلحات بتعقيدها المختلفة تتجاوز صلاحيات الترجمة والمترجمين، مع عدم إنكار الإسهام الذي يمكن أن يقدمه ترجمة مؤهلون باللغتين العربية والأجنبية في صوغ المصطلحات ومساعدة المؤسسات المعنية؛ كما أنه لا يجوز التستر على الفوضى والبلبلة التي تدخلها يومياً على اللغة العربية اجتهادات ترجمة غير مؤهلين لا يقيمون عبارة سليمة ولا يتورعون عن بث المصطلحات المغلوطة، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة مراجعة أدبيات المجامع والدوائر العلمية والمعنية بالمصطلح.

#### ب- التنمية اللغوية ودفع اللغة باتجاه المرونة والتطور

ليس من قبيل المبالغة القول إن الترجمة هي أهم عامل ثقافي منفرد أسهم في انبثاق النهضة العربية الحديثة على اختلاف مستوياتها. وإذا كانت هناك أية ممارسة بالنسبة لهذا الحكم في المجالات الأدبية مثلاً، فإنه في المجالات العلمية لا يحتاج إلى برهان. فالعلم العربي الحالي كله ترجمة. والعلم أيضاً عند الغالبية من شعوب العالم هو ترجمة. لكن المذهل في الواقع العربي أن نسبة الترجمة العلمية ما زالت ضئيلة حتى الآن قياساً إلى مجموع ما يترجمه العرب. ومن خلال إحصاءات الترجمة في عقد السبعينيات يتبين لنا أن الترجمة العلمية - العلوم الأساسية والتطبيقية

<sup>(12)</sup> حول الجانب العملي لمسألة المصطلحات تمكن مراجعة:

حسام الخطيب : اللغة العربية: إضاءات عصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1995، بوجه خاص: 66-67.

- لا تكاد تبلغ 14%، بينما الآداب تحتل المكانة الأولى، وتصل إلى 34%. على أن فترة الثمانينيات حملت بشائر تطور واضح باتجاه الترجمة العلمية، ولكن الإحصاءات الحديثة التي قدمت في مطلع هذه الدراسة تشير إلى أن نسبة ترجمة العلوم ما زالت في آخر القائمة. وبالطبع ستستدعي حركة الترجمة مزيداً من توظيف الرصيد اللغوي العربي السكوني (الموجود في المعاجم) ومزيداً من الاستنباط والاشتقاق، مما ينتظر أن يغني اللغة العربية بطريقة حية، تماماً مثلما حدث بالنسبة للغة العربية والأدبية الدراسية والإبداعية التي لم يذب عنها الجليد - كما يقال - إلا من خلال معاناة الترجمة أولاً، والتأليف والممارسة ثانياً.

ومن الواضح أن اللغة العلمية وكذلك اللغة الثقافية العربية ستبقى وثيقة الصلة بالترجمة وشديدة التأثير بما تدخله عليها الترجمة من مصطلحات وكلمات مفتاحية وتراكيب وعبارات. والمشكلة أن الحاجة إلى روافد الترجمة في اللغة العربية (العلمية بوجه خاص) ستبقى في تزايد متسارع، لأن حركة الترجمة العربية لا تبدو قادرة على مواكبة التطور العلمي والمعرفي المتفجر في مراكز الإنتاج العلمي العالمية. ومادامنا مستوردين للعلوم وغير منتجين لها فسيبقى الاعتماد على الترجمة قوياً بل متسارعاً، وبالتالي سوف يتزايد باستمرار تأثير الترجمة في طبيعة لغتنا العربية. ولذلك يترتب على الجهات المعنية والأفراد المؤهلين تركيز الاهتمام على هذه الناحية النوعية، أي مستقبل اللغة العربية من خلال التأثيرات المباشرة لحركة الترجمة ومستلزماتها. وإلى أن يتحقق برنامج قومي شامل للترجمة يجب المضي في تشجيع المؤسسات العلمية والثقافية والجامعات على ترجمة الناتج المعرفي العالمي المناسب، مع الحرص الشديد، إلى جانب دقة الترجمة وأمانتها، على سلامة لغة الترجمة والوعي لرسالتها المنشودة في مجال تدعيم اللغة العربية وتثبيت مصطلحها وأدواتها التعبيرية. ذلك أن الترجمة، بحكم استفادتها من مختلف منابع المعرفة ومستجداتها تجد نفسها مضطرة دائماً للبحث عن مفردات جديدة، وصيغ ملائمة وأساليب وتراكيب متنوعة لتلبي حاجات المادة المترجمة معرفية كانت أم عملية أم ترفيهية. والمترجم بحكم عمله يبحث دائماً عن الجديد والطريف والمبتكر.

على أن أخطر ما يمكن أن يفعله المترجم هو الترجمة الحرفية اللفظية للعبارة الأجنبية دون التفكير بمسألة التلقي، أي بالطريقة التي ستفهم بها المادة المترجمة، ومن هنا يترتب دائماً على المترجم عبء لغوي كبير. وطريقة المترجم في نقل النص إلى اللغة العربية تستدعي مسؤولية لغوية كبيرة. وإذا لم يضطلع بها المترجم انقلبت المسألة رأساً على عقب، وصارت الفائدة المرجوة أذىً وتخريباً. وهو في الواقع تخريب مزدوج الضرر، إذ إن رداءة الترجمة تحمل أذية فكرية، أي تنقل النص مشوهاً وتسند إليه رسالة محرفة. وفي الوقت نفسه تجور على اللغة المستهدفة (العربية في حالتنا) وتؤدي الملكة اللغوية للمتلقي، كما تسهم في نشر الأخطاء والتجاوزات اللغوية<sup>(13)</sup>.

على أن حصيلة الترجمة العربية منذ مطلع عصر النهضة كانت إيجابية جداً في إغناء اللغة العربية، وتخليصها من التكلف اللغوي والتقهقر والتنميق والاهتمام بالمبنى على حساب المعنى، وغير ذلك من الشوائب التي عانت منها اللغة في عصور الانحطاط. وكان ذلك طبعاً بفضل مترجمين وعلماء وأدباء مارسوا الترجمة وفي ذهنهم أهمية الرسالة اللغوية التي يحملونها للأجيال. وبالطبع، مع توسع مهمات الترجمة فيما بعد، وتدني المستوى اللغوي في الوسط العلمي بوجه عام، تراجع الحرص اللغوي تراجعاً شديداً.

وهنا لا بد من لفت النظر إلى أن مسألة الحرص اللغوي والنقاء مقابل المرونة والتطوير تظل موضع مناقشة في مجال اللغة العربية، لأن ما يراه بعضهم تطويراً ومرونة يراه الآخرون خروجاً على لغة الأوائل وترخساً وتساهلاً. ودون الدخول في المباحثات المتعلقة بهذا الأمر، والتي تستند دائماً إلى خلفيات دينية أو تراثية أو قومية، يجب أن نعترف أن مبدأ النقاء اللغوي لم يعد وارداً في العالم المعاصر، لأنه لم يعد اختياراً ممكناً. فالسباق بين اللغات اليوم هو سباق حول

---

(13) هناك جوانب كثيرة للترجمة حرصنا على عدم الانسياق وراءها، ويمكن هنا لفت النظر إلى الدراسة التالية المتوسعة في هذا الموضوع:

د. فؤاد عبد المطلب: "الترجمة والبحث العلمي"، التعريب، ع15، 6-7/1998: 35-57.

المرونة والطواعية وخير مثال لذلك اللغة الإنكليزية التي يعود السبب اللغوي لتفوقها إلى مرونتها وسرعة استجابتها للمستجدات واستعدادها لاستيعاب كل مفهوم نوعي طارئ بلغته الأصلية. وينبغي ألا ننسى كيف دخلت كلمات مثل: انتفاضة، ومجاهدين، وجهاد في هذه اللغة مجدداً، وقبلها كلمات مثل فدائيين وحج وغيرها. ولنا في تجارب اللغة العربية قديماً خلال العصور الزاهية أسوة حسنة.

ومن هنا نستطيع القول، إن الترجمة كانت وما تزال رافداً من روافد إغناء اللغة العربية وتطوير مقدرتها على المعاصرة والاستيعاب. ولكن المسألة تحتاج الآن إلى مزيد من خدمة هذه اللغة العظيمة ودراساتها علمياً وتأهيلها للمنافسة اللغوية القائمة في عصرنا، ولا سيما باتجاه اللغة الإنكليزية التي أخذت سائر لغات العالم العريقة تتحسب لنفوذها المرعب على المستوى العالمي، وتحاول تأهيل نفسها علمياً لمواجهة هذا النفوذ الطاعي. وما أحرانا أن نوجه لهذا الموضوع الاهتمام الذي يستحقه!

### **ج - الترجمة رافد لإتقان اللغة العربية**

تعرضت النقلة السابقة إلى مسألة النقاء اللغوي، وأشارت إلى أن المحافظة على هذا النقاء يصعب أن تتحقق في هذا العصر، عصر الاتصال والعولمة؛ وكان هذا الحكم مبنياً على معطيات عملية وذرائعية مفادها أن اللغة، أية لغة، لكي تبقى قوية لا بد لها من الانفتاح والتفاعل مع منطق العصر، حتى لو لم يكن ذلك موافقاً لرغبات أهلها. والترجمة طبعاً قناة مهمة من قنوات الانفتاح والتفاعل. وفي حالة لغتنا العربية، تعتبر لغتنا أسعد حظاً من غيرها وأقوى على الانفتاح ومجابهة المنافسة، بسبب مخزونها اللغوي الثري ومرونتها الطبيعية وتجربتها التاريخية العريقة، وعدم وجود مخاوف جدية من تعرضها للضعف أو الاندثار كما هو شأن لغات كثيرة في العالم. ومن هنا يجب أن ينظر دائماً إلى الترجمة على أنها عامل إثراء إيجابي متجدد ومستمر ومواكب لروح العصر.

على أن هناك عاملاً آخر غير إجباري يصب في مصلحة اللغة من ناحية الترجمة التي تقوم

على مبدأ إتقان اللغات الأجنبية. فقد أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة منذ السبعينيات أن الموهبة اللغوية لا تتجزأ، بمعنى أنها تتسع لأكثر من اللغة الأم، وبذلك ألغت مقولة الجاحظ التي أوقعت في الأذهان منذ القديم أن تعلم لغة أعجمية "يدخل الضيم" على اللغة الأصلية. وقد سادت هذه المقولة وسيطرت على التفكير اللغوي طوال العصور الماضية عندنا وعند غيرنا، إلى أن كشفت اللسانيات الحديثة أن تعلم لغة أخرى من شأنه أن يساند اللغة الأم، ويقويها لأن الملكة اللغوية واحدة. وقد انعكس ذلك على مبدأ إعداد المترجمين، فبدلاً من تخصص المترجم بلغة أجنبية واحدة أصبح المترجمون يُعدّون لإتقان عدة لغات، غالباً مقارنة في الأسرة اللغوية. ومدارس الترجمة في العالم اليوم ما عادت تكفي بلغة أجنبية واحدة. وقد رأينا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين مترجمين يتقنون بمهارة عدة لغات تصل أحياناً إلى خمسٍ أو ست، كما هو شأن بعض مترجمي الاتحاد الأوروبي. ومن خلال تجارب كتاب عديدين في العالم ندرك أن ممارسة (وليس معرفة) لغة أخرى أو لغتين إلى جانب اللغة الأم كفيلة بأن تقوي وتغني المفردات وأساليب التعبير وطاقة المرونة وقدرة الاستيعاب في اللغة الأم.

وهكذا فإن كل شيء في قاموس الترجمة يدعونا إلى دعم هذه القناة الفعالة وخدمتها لكي تخدم لغتنا علمياً وعملياً وتساعدنا على تحويل الوضع اللغوي العربي الراهن من عبء على المتكلم إلى دافع وبهجة في مختلف مستويات الحياة والمعرفة.

## لماذا نجم القرار السياسي في الفيتنام وفشل في ...!

أ.د. صالح بلعيد

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة تيزي وزو/الجزائر

1 - دوافع البحث في الموضوع: يعود المحرك الأول للكتابة في هذا الموضوع إلى اللقاء العلمي الذي جمعتني بالأستاذ الدكتور: عبد الكريم خليفة (رئيس مجمع اللغة العربية الأردني) في سورية<sup>1</sup> بمناسبة الأيام العلمية للمؤتمر العاشر للتعريب، وفي أثناء حديثه عن المؤسسات والمؤسسات في هذا الزمن الردئ الذي لحق العربية والتعريب، قال متحسراً ومتعجباً: لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام وفشل في الجزائر! وأضاف منوهاً بدور التعريب في الجزائر: إنّ التعريب في الجزائر وضع بيوضه وبدأت أجنّته تخرج من قوقعتها، وتفاعلتنا خيراً بهذا البلد العظيم الذي قهر فرنسا مثلما قهرته الفيتنام، وكانت لنا الجزائر أسوة جبارة نحتذيها في مسيرتنا التعريبية وقراراتنا الخاصة باللغة العربية، وكم كان لوقع قانون تعميم استعمال اللغة العربية من أثر طيّب في الأردن وفي كل الوطن العربي، وهللنا له، وبكل أسف كم حزننا لوقف مسار التعريب!.

وبكلمات التعجب هذه حرّك الدكتور خليفة أعماق نفسي، وهزّ كوامن كانت في بيات تنتظر الوقت المناسب، للكتابة في الموضوع، علّني أستجلي الغمة مما لحق بنا من تهاون في هويتنا اللغوية. أضف إلى ذلك ما كنت أسمعه في المناسبات العلمية الوطنية والعربية من أنه من

---

<sup>1</sup>. وذلك في فندق إبيلا الشام أيام 20 - 25 تموز (جولية) 2002.

الضروري تشكيل جبهات عربية للمناداة باستصدار القرار السياسي لتعميم استعمال اللغة العربية في الوطن العربي، وحث المثقفين العرب ليمارسوا دوراً إيجابياً من أجل إيجاد حلول راهنة للعربية، وتقديم المبادرات الإيجابية في هذه المرحلة التي تعرف هجمة شرسة ضد العربية والعرب، وعولمة متوحشة تأتي على دحر لغات كثير من الشعوب، واللغة العربية ليست بمنأى عن ذلك، مع ما تعرف من فقر في الوسائل الحديثة من تقنيات علمية جبارة. وكان العامل الآخر الذي جعلني أدلي برأيي في هذا الأمر هو عدم القناعة بمسألة القرار السياسي للتعريب، ذات وقت، متكئاً على القنوات الآتية:

1. التعريب موضوع هام ويحتاج إلى تودة ومرونة، وإلى دراسات جادة تعيد العربية إلى مكانتها الطبيعية في الوطن العربي، دون إقصاء للغات الأجنبية التي تكون معاوناً لها في مرحلة التعريب، وخاصة في مسألتني: الترجمة والتعجيم.
2. التعريب يحتاج إلى وضع آليات (ميكانيزمات) للغة العربية العلمية، وإلى لغة عربية منتجة للعلم مثلها مثل اللغات المتحكمة في تقنيات العلم. فيحتاج إلى المصطلح العلمي، وإلى الكتاب المعرب، وإلى هيئة تدريسية ملّمة على الأقل بلغة أجنبية واحدة.
3. الخوف من إخفاق التعريب، بالنظر إلى بعض البلدان التي انتكس فيها، وقد تحصل الانتكاسة التي لا نهوض بعدها، أو البقاء في تراوح مُميت، فلا حياة له بعد ذلك.
4. التعريب بحاجة إلى مؤسسات أكاديمية علمية تعمل على مدّ اللغة العربية بكل ما تحتاج إليه من رقي لغوي، وخاصة في مجال المصطلحات.
5. تأجيل البتّ في القرار السياسي للتعريب بتقديم المهمّ على الأهم والمفضول على الفاضل، لأن أمر القرار السياسي قد يُربك الباحثين والمؤسسات، فيقدمون على عجالة الغثّ بجانب السمين المفيد. فمن هنا رأيت أن نسبق بالضروريات، وتليها الحاجات، ثم التحسينات
6. القرار السياسي يأتي عن قناعة ورضى، فلا يحتاج إلى فرض اللغة العربية التي هي لغتنا جميعاً، ونحن مؤمنون بها، ولا يحتاج إلى ردع، وإلى غرامات لعدم استعمالنا لها.
7. القرار السياسي يأتي مركزياً تلك المسيرة الإنتاجية في ميدان الرياضيات والهندسة والطبّ،

ومختلف فنون القول.

8. القرار السياسي محصلة العمل العلمي والثقافي، والذي يفرض نفسه على المسيّرين السياسيين.

9. القرار السياسي يصدر دون استصدار؛ أي دون حمل (است) حروف الزيادة التي لها دلالة

الإجبار. لأن القضية ليست مطروحة ثقافياً، بل هي مطروحة سياسياً في بعض البلدان،

وعند بعض المسيّرين: هل نحن مقتنعون بالتعريب أم لا؟

10. إقناع بعض المعرّبين الذين لهم سلطة القيادة وفي مواقع القرار، ولا يريدون للعربية أن تعود

إلى موطنها ووضعها الطبيعي، وإن الشك لهو كائن في بعض من أولي القرار، ويسانداهم في

هذا بعض المتقفين المؤنجلزين والمفرنسين للمحافظة على مواقعهم.

وهكذا كنت أنظر إلى القرار السياسي لتعميم استعمال اللغة العربية في الوطن العربي ليس

من الأولويات، باعتبار أن **المسألة قضية** وقت وتحضير حيثيات التعريب، ثم يأتي القرار

السياسي من باب التحصيل. وقد قوي إيماني آنذاك بأن العربية ستعود إلى أوطانها لا محالة،

وستشهد الساحات العربية توظيفاً للغة العربية في كل المستويات، وكانت نيتي كذلك أن نتواصل

الأعمال العلمية المعربة، وتواصل لجان التعريب المؤسسة في كل الجامعات العربية أعمالها

التعريبية، ويتواصل ذلك الحماس الذي عرفناه في السبعينيات.

ولكن كل ذلك كان حملة من الحملات المؤقتة، والتي عرفت فتوراً وجموداً بعد ذلك، بل

شهدت ردةً في بعض البلدان العربية.

ومن خلال هذه القناعات الكبيرة، وصعوبة التذليل في بعض البلدان العربية، رأيت البدء بتهيئة

الأرضية الضرورية للسياسي الذي قد يعتمد هذه القناعات حجاجاً لعدم البت في قرار التعريب.

وعدت أستذكر تلك الأسباب التي كانت موضوعية ذات وقت، فرأيت أنها غير مجدية الآن.

وأنعمت النظر لأصل إلى القول: بعد أربعين سنة من البحث في أمر التعريب الذي نال كفاية

كبيرة من الأبحاث، وأعمالاً أكاديمية جادة أنجزت في اللغة العربية العلمية وتنصيب مؤسسات

كثيرة تعمل على ترقية اللغة من أمثال المجامع اللغوية، ومكتب تنسيق التعريب الذي كان النواة

الأولى لمؤسسة تعريبية المؤسسة سنة 1961م، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر سنة 1990م، أبعد كل هذا ما يزال الحديث عن التعريب وعن جدواه وعن القرار السياسي!. ولذلك غيرت رأيي، لأدافع عن ضرورة إخراج القرار السياسي لتعميم استعمال اللغة العربية في الوطن العربي، بعد الإيمان بأهمية اللغة التي يجب أن تتبع من نفوسنا، وإلا سيظل الكلام مطلوقة في الهواء، والقرار السياسي يبقى حبراً على ورق. ومن خلال هذا الإيمان أقول كلمتي بكل اقتناع، وأدافع عنها بتقديم الحجّة العلمية، أقولها وأنا مرتاح البال؛ لأنني رأيت أن الظروف مواتية الآن، وأن القرار السياسي يأتي مكماً لهذه الظروف، وأقول كما قال البيروني: أن أموت وأنا أعرف الحلّ خير من أموت وأنا أجعله؛ أي أنادي باستصدار القرار السياسي الذي هو الخاتمة لهذا المسار العلمي المنجز في ميدان العربية، وأنشد التقدم وأتعامل مع الآخر، وأتفاعل معه ضمن هذا المناخ الجديد، ومنطقي في ذلك هو:

1. أن متعلم السياقة يمكن أن يقرأ 50 كتاباً دون أن يتعلم قيادة السيارة، ولكن إذا وُضع داخل السيارة وأمام المقود، فبعد ساعات معدودات يقود السيارة، وسينطلق لا محالة. ومثله مثل الإنسان الذي يتعلم السباحة نظرياً فلن يتعلّمها، فإذا ما أدخل البحر، لا شك أنه سيعاني في البداية، ولكنه سيخوض أمواج البحر، ويعوم بعد ذلك بسهولة. أي أن ندخل معركة التعريب وننغمس، وعندما تظهر معوقات سنعمل على تذليلها، خير من الخوف من إخفاق التعريب لأسباب ربّما يكون حلّها في مرحلة معاشة قضاياها.
2. ملاحظة التراخي في متابعة البرنامج المسطر في مسألة الهوية اللغوية. والهوية أحد المعاني التي يعنيها التعريب؛ أي جعل اللغة العربية لغة حياة الإنسان العربي وفي كل المستويات. ولذا من الضروري بمكان أن تكون هناك صرامة في المتابعة والتطبيق.
3. عدم احترام المواعيد العربية والوطنية لمسيرة التعريب الشامل. ولقد كان برنامج التعريب الشامل في بعض البلدان العربية محدّداً برزنامة وجدول زمني لا رجعة فيه. ولم تُحترم تلك الرزنامة بحجج واهية أحياناً.
4. تتكرر الحجج نفسها في كل لقاء علمي: مشكلة المصطلح العلمي/الكتاب المعرب

غير متوفر/ الهيئة التدريسية المعرّبة قليلة/تأجيل تطبيق التعريب لغاية استيفاء شروط نجاحه.

5. التراجع عن تدريس مادة المصطلح أو بعض المساقات التي تدرس بالعربية، في كليات العلوم التي ما تزال تدرس بالفرنسية أو الانجليزية.

6. التراجع عن تدريس بعض المواد بالعربية في كليات الاقتصاد والحقوق.

وأمام هذا التهاون أخذت تدب إلى نفسي مواطن الحسرة واليأس والتعجب أحياناً، وأنا واحد من هؤلاء المواطنين البسطاء الذين يعلّقون أمالاً على لغتهم التي أضحت سلعة يتاجر بها، وشعاراً تلبس في المناسبات الوطنية، ويتغنى بها الحكام للتأكيد على الثوابت واحترام الدستور، كما أصبح المثقف الهجين يساويها باللغات الأجنبية في وطنه، أو يفاضلها على لغته. ونلاحظ انحسار استعمالها في الدول العربية والإسلامية بشكل سافر لتحوّل الاختيار اللغوي أو الاتجاه الثقافي نحو الإنجليزية أو الفرنسية. "زاحمت اللغتان الإنجليزية والفرنسية اللغة العربية في عقر دارها في وسائل الإعلام، فشاعت جرائد محلية بإحدى هاتين اللغتين واستحدثت إذاعات خاصة بإحدهما تبثّ إرسالها داخل الدول العربية وخارجها. وفي الوثائق الرسمية من جوازات، وبطاقات ورخص قيادة وإعلانات وعطاءات، ولوحات عربات تستخدم الإنجليزية أو الفرنسية بجوار اللغة العربية فكأن العربية لا تقي بالغرض"<sup>2</sup>.

وأمام هذا التراخي والتراجع ومزاحمة اللغات الغربية العربية في أوطانها والذي لا مبرر له في كثير من الأحيان، رأيت أن الإنسان العربي يحتاج إلى صرامة وضبط ومتابعة وإلزام تجعله يحترم الثوابت ويحافظ على المكتسبات ويدافع عنه. فأن لنا أن ننادي ونشرك كلّ الفئات في استصدار القرار السياسي العربي للتعريب الذي نعمل جميعنا على تجسيده.

وهكذا تفاعلت إيجابياً للكتابة في موضوع نال مكانة في نفسي، ولي فيه بعض من الزاد

---

<sup>2</sup>. أحمد عبد السلام "العولمة الثقافية وتبعاتها للغة العربية" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. عمان: 2001 العدد 60 ص 128.

وأكتب فيه بكل حيوية وانفتاح - ما له وما عليه - ولا أدعي أنني سأدافع عن الموضوع، بل أسعى للمرافعة بالحجة، كما قد يلاحظ القارئ العربي أنني أنطق عن هوى محلي أحياناً وذلك طبيعي؛ باعتبار أن ما تعيشه الجزائر هو نفسه ما تعيشه البلاد العربية الأخرى بفارق بسيط.

كما أريد إطلاع القارئ بأنني وأرغب أن أكون موضوعياً في مناقشاتي، رغم الطابع الإنشائي الذي سوف يلاحظ أحياناً في خطابي، وقد استدعاه طابع التشنّث واللامبالاة العربيين في أخذ المبادرة تجاه لغة عزيزة علينا جميعاً.

ومن ناحية أخرى فإني لا أجد ذكر معوقات استصدار القرار السياسي حسب الججاج التي تُرفع من الباحثين النزهين الذين يخافون مثلي من الإخفاق، ولا يمكنني إغفال الدعوات الجهورية لإحياء اللغات الوطنية. وفوق كلّ هذا أدعو إلى تعريب لا إلى انغلاق أو البعد عن توظيف اللغات الأجنبية أو الترجمة منها، بل أكدت في أكثر من مقالة ضرورة الاهتمام باللغات الأجنبية وبناء استراتيجية خاصة تعطي قيمة للفرنسية والإنجليزية باعتبارهما نافذة نطلّ منهما على العلم والعالم، ونستمد منهما دقائق العلم والمصطلحات العلمية المعاصرة. علماً أنّ من أحد معاني التعريب هو الترجمة من اللغات الأجنبية. ولا تعني كتابتي في هذا الموضوع وفي هذا الوقت إحياء الأجنحة بين موقف مؤيد أو معارض، أو بين مفرنس ومؤنجلز، وبين المعرب، أو النفاضل بين اللغات، بقدر ما أستهدف الوصول إلى امتلاك الإرادة والقرار والهوية الوطنية التي لن تجلى معالمها إلا باللغة العربية.

ويلاحظ القارئ كذلك أنني أنزع منزع المراجعة والتصحيح من خلال ممارسة النقد والنقد الذاتي، مع تلك الصبغة التشاؤمية من الوضع العربي الذي يتعرّض للغزو والنهب بكل ثقله، ومختلف أساليبه، ولكنّ العرب راضون، فنتنابني أسئلة وتساولات تخترق العظم وتترك فيه برودتها، ولا أتحكم في الإجابة عن ذلك بقدر ما أستطيع النقد، وهو أضعف الإيمان، وإنه نضالي دون كلل، وبه أنفذ إلى الحمام البشري العربي الواسع الذي أرغب حمله على أخذ القرار بخصوص هويته اللغوية.

2. توضيح في العنوان: أفسّر المقصود بعنوان هذا العمل "لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام وفشل في...! وأعني بالقرار السياسي ذلك الأمر القاطع (القرار) الخاص بالسيادة اللغوية والشخصية الوطنية، لبلد من البلدان. وفي وطننا العربي يقصد به استعمال اللغة العربية كلغة رسمية في أرجاء الوطن العربي، أي التعريب في بعده العام. هذا القرار الذي طالب به كثير من الباحثين وانتصروا له. وربطت ذلك ببلد الفيتنام الذي نجح فيه القرار السياسي في فئمة مراحل التعليم، وفشل في...! وهذه النقاط الثلاث تصرّف في قول الدكتور خليفة، استدعاء المقام بحذف الجزائر أو البلدان العربية، لكنها تحيل إلى أن الإخفاق خصّ معظم الدول العربية التي خاضت تجربة التعريب، واستصدرت القرار السياسي، وأما الدول التي لم تدخل تجربة القرار السياسي فلم توات الظروف التعريب أن ينال مكانه في كلياتها العلمية لحدّ الآن لعدة أسباب. ولكن التعريب منخفض فيها مع أنها لم تستصدر القرار، وربما يعود ذلك لعدم الإيمان بجدي العربية، وعلامة التعجب علامة التحسّر الذي لحقنا من جرّاء مخالفة أعمالنا لأقوالنا.

وأما لماذا نجح في بلد الفيتنام، فجّل الأبحاث تنص على هذه العوامل مجتمعة، وهي:

1. أن بلد الفيتنام عرفت أسوأ استعمار؛ وهو الاستعمار الفرنسي الذي يتخذ من الاستعمار الثقافي (الغزو الثقافي) أسلوباً من أساليب التدمير الاستعماري، ويستعمله سلوكاً أولياً في كل بلد يحتله، بحجة التحضر والتمدن للبلد المستعمر، إضافة إلى ما عرف عن الفرنسيين أنهم منصّوفون بالأسلوب الهجومي في الدفاع عن لغتهم وثقافتهم. وهكذا فعل في قارة إفريقيا وبعض جزر ما وراء البحر لتكون ملحقة به فكراً، وأسس تجمعاً ثقافياً كبيراً (وهو حلم فرنسا في تحقيق الإمبراطورية الكبرى) وأطلق عليه اسم (البلدان الفرانكفونية) إلى جانب إقامة مؤسسات ووزارات تعمل في الاتجاه نفسه. ويمكن الإشارة إلى بعضها وإلى الدور الأساس الذي أوجدت له:

\* الجمعية الوطنية لنشر اللغة الفرنسية في المستعمرات والخارج: وهذه الجمعية كان لها جانب لغوي وجانب تنصيري، أسست في القرن الثامن عشر الميلادي، وكان رئيسها

الشرقي القسيس لافيغري الذي كان يعمل بالجزائر من أجل الكنيسة؛ حيث كان يمدّ الخبز بيده اليمنى، والصليب بيده اليسرى.

\* **فيدرالية الجمعيات للانتشار الفرنسي سنة 1964م:** وغرضها التكاتف الفعلي من أجل الانتشار اللغوي للفرنسية في القارات الخمس. وكانت ميزانيتها تأتي من المدافعين عن اللغة الفرنسية في كل القارات.

\* **اللجنة العليا للدفاع عن اللغة الفرنسية سنة 1966م:** وتحدّدت مهمتها في تطوير العلاقات الثقافية بين الدول الفرانكوفونية من المستعمرات وغيرها، ودراسة الوسائل الكفيلة بالتنسيق فيما بينها.

\* **المجلس الدولي للغة الفرنسية سنة 1966م:** وهي عبارة عن أكاديمية فرنسية دولية للبت في النزاعات اللغوية المتوقعة بين مستعملي اللغة الفرنسية من الدول الفرانكوفونية وسائر المشتغلين بها من أهل الفكر.

\* **المنظمة الدولية للبرلمانيين الناطقين بالفرنسية سنة 1966م:** وكان ليوبولدسولدا سنغور السنغالي أحد الفاعلين فيها، وانخرط فيها كثير من محبي اللغة الفرنسية من برلمانيي دول العالم الثالث. ولم يغلقوا باب الانخراط، المهم في العضو أن يظهر ولاءه للغة الفرنسية توظيفاً ونشراً فعلياً.

\* **الفيدرالية الدولية للمعلمين الناطقين بالفرنسية سنة 1969م:** وكان كلّ المنخرطين من معلمي اللغة الفرنسية عبر القارات، ويديرها بفعالية معلّمو اللغة الفرنسية في قارة إفريقيا على وجه الخصوص.

\* **وكالة التعاون الثقافي والفني مع الحكومات:** وحدث أن تأسست هذه الوكالة في 20 مارس 1970م، وعُدّت بمنزلة المدّ النوعي للفرانكوفونية، واعتبر هذا التاريخ اليوم العالمي للفرانكوفونية.

\* الجمعية الفرنكفونية للاستقبال والاتصال سنة 1974م<sup>3</sup>: ومقرها باريس، ولها وسائل الاتصال الحديثة؛ تستغل فيها المواصلات السريعة، وتستعمل الآن الإنترنت لتعليم الفرنسية ونشرها في العالم، كما تمدّ المشاركين بكل الوسائل الضرورية من أجل الاتّصال اللغوي.

\* المجلس الأعلى للفرنكفونية: أنشأه الرئيس الفرنسي ميتران سنة 1984م، وكان رئيساً شرفياً له، ومدّه بأسباب التوسّع والتقدّم، وفتح له أبواب النشر عبر العالم. وقد تأسّس بغرض نشر اللغة الفرنسية في الخارج، ووضع جدار للغة الإنجليزية التي تتوسّع في كثير من الجهات على حساب اللغة الفرنسية.

\* وزارة للفرنكفونية: وهذا في كثير من الحكومات الفرنسية وغرضها المحافظة على المدّ الفرنكفوني في العالم، وميزانيتها في وقت من الأوقات كانت في الرتبة الثانية بعد وزارة الدفاع. وكانت هذه الوزارة تسند إلى علماء لسانيين بارزين ومشهود لهم في ميدان العمل على نشر الفرنسية في الخارج.

\* أكثر من 1000 مدرسة في الخارج: ومهمتها تعليم اللغة الفرنسية في القارات الخمس. إلى جانب قيامها باستقطاب الكفاءات الأجنبية ومدّها بالمغريات من أجل حماية اللغة الفرنسية في الخارج.

\* Les bureaux d'alliances Française: وهذا في أكثر من 100 بلد، وقانونه الداخلي ينصّ على إقامة الرباط الفكري والثقافي بالبلدان التي ترعى اللغة الفرنسية. كما نصّ بند من البنود على أن هذه المكاتب تتلقّى المساعدات المادية من الخيّرين والمدافعين عن اللغة الفرنسية عبر العالم.

---

<sup>3</sup>. وإن هذا العدد الضخم الذي ينضوي تحت الفرنكفونية تسيّرها مجموعة من المؤسسات هي: - الرئيس المدير العام للفرنكفونية يكون من أبناء الدول الفرنكفونية. (بطرس بطرس غالي) فهو مصري. - القمة الفرنكفونية. - المؤتمر الوزاري للفرنكفونية. - المجلس الدائم للفرنكفونية. - الأمانة العامة. - المكاتب الجهوية. - مكاتب الاتصال. - المراسلون. ينظر: فريد الأنصاري "الفرنكفونية في سطور" مجلة البيان. الرياض: 2002/السنة السابعة عشرة العدد 177، ص 31.

\* الهيئات المتخصصة لرعاية اللغة الفرنسية في كل الجامعات الفرنسية وفي الخارج: ومهمتها حماية اللغة الفرنسية من الدخيل الأجنبي، وخاصة الدخيل الإنجليزي. وهذه الهيئات تقيم سنوياً ملتقيات لمحاربة الدخيل الأجنبي، وبقاء اللغة الفرنسية سليمة من كل لفظ مستورد<sup>4</sup>.

\* رابطة مستخدمي اللغة الفرنسية (منظمة غير حكومية تعمل على حماية اللغة الفرنسية خارج فرنسا): وهذه الرابطة متعصبة جداً لاستعمال الفرنسية، إذ ينصّ بند من بنودها على تغريم منخرطها إذا لم يستخدموا الفرنسية أو أسأؤوا إليها.

\* تأسيس الجامعات الفرنسية في الخارج: مثل الجامعة الفرانكفونية بالإسكندرية بمصر.

ومن وراء كل هذا كان الهدف الأسمى من وراء هذه الترسانة الكبيرة من المنظّمات هو المحافظة على هوية الشعب الفرنسي الذي لا يكون إلا بلغته التي يجب أن تبقى سليمة وتنتشر عبر العالم، وسبق أن أنشأ الفرنسيون الأكاديمية الفرنسية وكان من مهامها

المحافظة على هوية الشعب الفرنسي ووطنيته Frenchness. ولتحقيق ذلك قام المجمع بتأليف المعاجم والمصطلحات لمراعاة السلامة اللغوية. وحتى تتم الفائدة قام المجمع الفرنسي بتعميم نتاجاته على المدارس والجامعات، وتم إلزامها بتنفيذ قراراته. وبعد أن فرغ المجمع من هذه المهمة اتجه إلى تطوير المفردات والمصطلحات وتحديثهما. وتوليدهما حتى تواكبا ركب التفجر المعرفي<sup>5</sup> دون أن ننسى الجيش الكبير من المترجمين من مختلف لغات العالم، والمراسلين والصحافيين في كل بقعة من العالم، وما تقوم به الإذاعات المرئية: TV5 و EME 5 و arte. أضف إلى هذا طبع الجرائد عن طريق الإنترنت كس مثل جريدة Le monde التي تطبع في كل من المغرب وكينيا.

---

<sup>4</sup>. مما يحضرني أنّ هذه الهيئة أقامت ملتقى عالمياً حول كلمة Week-end الإنجليزية، وجنّدت وسائل الإعلام بكل قوة تحسباً للكلمات التي سوف تدخل الفرنسية إذا وقع التسامح في كلمة واحدة.

<sup>5</sup>. فواز محمد الراشد عبد الحق "مربيات التخطيط اللغوية" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. عمان: 1996، منشورات المجمع، العدد 51، ص 108.

وتقف إلى جانب فرنسا بلد كندا (القسم الفرنسي) والتي تقدّم أروع مثال لنشر اللغة الفرنسية، كما تعمل على استقطاب الكفاءات الناطقة بالفرنسية من بلدان العالم الثالث وتوزّع المنح العلمية في كل بلاد الأرض، بما فيها أقاصي آسيا بالنيبال. إضافة إلى ما تقدّمه المراكز الثقافية الفرنسية المزروعة في مختلف البلدان، بل نجد أكثر من مركز ثقافي في بلد واحد. وهناك مشروعات التخطيط اللغوي ممولة من قطاعات خاصة مثل مشروع رونو لنشر اللغة الفرنسية. ومشاريع تتعلق بإصلاحات إملائية ولغوية، وإعداد مترجمين في الداخل والخارج. ولا ننسى تلك الإجراءات التي تقوم بها فرنسا تجاه الدول المدينة بأن تسمح ديونها شرط أن تضمن تفوق الفرنسية على ترابها؛ كلغة علم، أو كلغة أجنبية أولى.

2. أخرج الفيتناميون الاستعمار بقوة الحديد والنار في معركة شهيرة وهي معركة ديان بيان فو، فالاستعمار عندهم كل لا يتجزأ. ونظروا إلى اللغة الفرنسية أنها رديف الاستعمار بل أقوى من الاستعمار الاقتصادي، فلا بد من استكمال التحرر في كل جوانبه لتكون السيادة الفيتنامية تامة. وهي ككلّ البلدان التي تتخلص من الاستعمار العسكري، تتوقد فيها جذوة إثبات الرصيد القومي المفعم بالحماس الوطني، وهذا من مستلزمات التخلّص من معاناة الاستعمار، وذلك ما نصّ عليه دستورهم في أول تأسيس له، فلا شريك مؤقت أو دائم للغة الفيتنامية في أرض الفيتنام.

3. للغة الفيتنامية عاصمة تحميها، وعلماء يدافعون عنها، ولسانيون يخطّطون لها وسياسيون يقرّرون، وهيئات تنفيذية. وهكذا عدّت سايجون عاصمة فيتنام التي تعمل على مدّ اللغة الفيتنامية بوسائل الرقي والتطور، وتأسست أول أكاديمية لغوية بفروعها الكثيرة ومهمتها مدّ اللغة الفيتنامية بكل وسائل الحياة والتطور والفتح.

4. مسألة اللغة الفيتنامية لم تكن محلّ نقاش ذات يوم، هل تصلح للتعليم أم لا تصلح، وهل هي فقيرة في المصطلح، وهل تتوفر على الكتاب العلمي، وهل يمكن التدريس بالفرنسية أول الأمر لغاية استكمال شروط ترقية اللغة الفيتنامية أم لا.. ولقد كان الفيتناميون متعصبين كلّ التعصّب للغتهم، فهي مرآة وجودهم وتمايزهم في أرخبيل آسيا الذي تتوزّعه أرقى اللغات مثل

الصينية واليابانية، مع ما للغتين من حضارة وعلم. فلا هوية عندهم من دون هوية لغوية متميزة، والتي تكون باللغة الفيتنامية، وبالتمايز اللغوي المعبر عن الخصوصية الثقافية يكون للفيتنام شرف المشاركة في بناء الحضارة الإنسانية.

5. الحسم في القضايا الداخلية التي تعيق الأداء الوطني قبل كل شيء، وذلك باتخاذ القرار السياسي لفتنمة مراحل التعليم بعد دحر المستعمر الفرنسي مباشرة، ولم يبق القرار رهن مساومات، أو محلّ جدال، وكانت هناك قناعة تامة بأن اللغة الفيتنامية مثلها مثل اللغات الأخرى سوف تلحق الركب إذا تمّ الاهتمام بها.

6. يضرب الفيتناميون مثلاً جيداً في مناقشاتهم العلمية عن جدوى التدريس باللغات المحلية باللغة الهنغارية، وهي لغة معقّدة وصعبة التحصيل، وتتطلب الإلمام الكبير بمختلف القواعد والتغيّرات والاستثناءات، وهي لغة محلية لشعب لا يتجاوز بضعة ملايين، ومع ذلك لم يُحدّث الهنغار أنفسهم باستبدال لغة أجنبية بها بتاتاً، فكانوا يحترمونها ويقدمونها ويعلمون بها أرقى العلوم، وأصبحت لغة التدريس في كل مراحل التعليم، وفي كليات مختلفة العلوم. وهكذا يرى الفيتناميون أن لا بديل عن اللغة الوطنية والتي لا وطن لها غير الفيتنام، مثل الهنغارية التي لا بديل لها غير الهنغار رغم صعوبتها.

7. حصل استثناء وتحد في ميدان تدريس الطبّ لسنة واحدة، عندما قصد الأساتذة الرئيس هوشي مينه، طالبين منه استثناء مادة الطبّ من القرار السياسي الخاص بفتنمة كل مراحل التعليم، فقبل الأمر في تلك السنة على أن يحصل التدريس في السنة الموالية بالفيتنامية في ميدان الطبّ، دون مراجعة أو إعادة النظر فيما اتخذ من قرار سياسي.

8. إن اللغة الفرنسية لم تكن عندهم غنيمة حرب<sup>6</sup> يحافظ عليها الفيتناميون على حساب لغتهم، بل عدّت لغة أجنبية تستغل كنافذة للاطلاع على الجديد، وهي لغة علمية تستعمل بغية إفادة

---

<sup>6</sup>. مصطلح يستعمل كثيراً عند الجزائريين، ومعناه لا يمكن التنازل عن اللغة الفرنسية، فهي مكسب لا بدّ من المحافظة عليه.

الفيتنامية في تطوُّرها العلمي، فهي خادمة لها، وليست مخدومة في بلد الفيتنام. كما عاملوا الفرنسية على أنها لغة أجنبية تساوي مثيلاتها الأجنبية، فلا تفاضل بينها إلا في استعمالها على نطاق محلي وعلى مستوى بعض الأسر، بحكم أنها لغة مستعمر ترك تركة يصعب اندثارها بسرعة.

9. إن الصحف والمجلات المكتوبة باللغة الفرنسية تستهدف غاية واحدة، وهي إطلاع الأجنبي على المستجدات المحلية والعالمية، وهي موجهة في الغالب للأجانب كما ينصّ على ذلك دستورهم.

**ولقد أخفق التعريب في معظم الدول العربية، بما فيها تلك الدول التي استصدرت القرار السياسي، وهذا للعوامل الآتية:**

1. **عدم الإيمان بالتعريب:** يقول العرب قديماً: **من طلب الحسنة لا يُغله المهر**، نظرت من زاوية الإيمان فبدت لي العزائم، فقلت: من كان يؤمن بهذه اللغة فليدافع عنها، ومن يحبها فلينتج بها، ومن يعشقها فليتعلمها. ومن زاوية الذات اللغوية لم أر في اللغة العربية عقدة التخلف، فهي لغة مثل اللغات يحكمها المنطق والقواعد، فلا تشكو نقصاً في ذاتها، بل هي أكثر سهولة في قواعدها من بعض اللغات التي نستعملها في معاملتنا الرسمية. ولكن بعد تمنع كلّ هذا رأيت شيئاً واحداً فقط هو: **عدم الإيمان بمبدأ التعريب لدى العرب**. وذلك ما جعلهم يخلقون أعداءاً واهية في بعض المواقع، ويعيدون جلّها إلى الاستعمار الذي لم يترك نافذة من أجل رقيها.

وفي الحقيقة يجب ألا نلبس كل تخلف لحق بنا بالأجنبي، لأنه ما تزال فينا عقدة المغلوب مولع بلغة الغالب، كما نجري وراء كلّ ممنوع، ومع لا إكراه في أي شيء. فأمام هذا لم نعمل على تجسيد مكانة اللغة العربية في منظوماتنا التربوية بدءاً من استغلال البلدان العربية بلداً؛ فهناك دول في المغرب العربي ما تزال منظوماتها التربوية مزدوجة (فرنسية - عربية) ودول في المشرق العربي تراوح بين (الإنجليزية - العربية) في التعليم العالي، ودول في الخليج العربي تنزل باللغات الأجنبية إلى السنوات الأولى من مرحلة التعليم الأساسي. فأين محلنا من الإيمان بالعربية

ومبدأ التعريب الذي يجب أن يظهر فعلاً في منظوماتنا التربوية على وجه الخصوص. وأما على المستوى التطبيقي فنجد استعمالنا لها مقصوراً ومحدوداً وفي دوائر ضيقة. كما لم نعمل على مدّها بأسباب الرقي والذي يتمثل في التهيئة اللغوية لها محلياً وعربياً ودولياً. وهكذا لا تحيا اللغة إلا بالتعهد والرعاية ومدّها بأسباب التقدّم.

2. **التعريب حملة مؤقتة:** لقد عرف عن العرب أنهم حاملو اللغات قولاً لا فعلاً وأصحاب الحملات المؤقتات، فكم من لاءات نادوا بها، لكنهم تراجعوا عنها، لاءات وُضعت دون تطبيق، حملات لم تدم أسبوعاً. ومن وراء ذلك فقدت الكلمة العربية مصداقيتها، مما أدى إلى غياب دورها ومفعولها في معركة التصديّ لحملات الغزو الثقافي، فبقينا مولعين بالغالب في لغته ولباسه ومأكله وتصرفاته. وتطرح كذلك مسألة المتابعة الميدانية، والتقويم الدائم والفعلي لمسار الحركة اللغوية في الوطن العربي، فكم من مشروع عربي طموح نال استحسان الأمة! وكم من خطة تربوية أو لغوية رضي بها الجميع! وكم من اقتراح حاز الأغلبية! وكم من مؤسسة أقيمت فبقيت جسداً بلا روح! وكم وكم... ولكن أين تلك المشاريع الهامة، وأين المتابعة لتجسيد تلك الطموحات، وأين المحاسبة على ذلك الإنفاق من مال المواطن العربي الذي يرهق بضرائب من أجل القضايا المصيرية؟ ولو أجرينا شبه دراسة عن الكتلة المالية التي أعطيت لتلك المشاريع اللغوية والمؤسسات التعريبية لنجد أن مالا كبيراً ضاع في الهواء؛ لأن المقابل المادي ضعيف ومهزوز، فشتان بين الكفة التي أعطت، والمردود المادي الذي يقابل قيمة تلك الكفة.

3. **الشرح بين القوانين والتطبيق:** تنصّ كل دساتير البلدان العربية على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وهي أداة التواصل الفعلي في المجتمعات العربية، وتنصّ ذات الدساتير على أن العربية هي لغة الطفل العربي في مراحل الأولى من الدراسة، كما تلزم الدساتير العربية مؤسسات الدولة والنشر والإعلام أن تكون مطبوعاتها ومناهجها باللغة العربية، وتتنظر كل الدساتير العربية إلى اللغات الأجنبية على أنها وسيلة من وسائل الاطلاع على حضارات الشعوب والتفتح على الغير، والأخذ عنها بما يفيد خدمة اللغة العربية. كما

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

تنصّ القوانين الصادرة عن القمم العربية على التجسيد الفعلي للغة العربية في المحافل العربية والدولية. وتلحّ كل اللقاءات العلمية والتعريبية على أن اللغة العربية هي المقوم اللساني الأساس الذي تلتزم به الدول العربية في حملاتها من أجل التجسيد الفعلي للعربية. وتنصّ برامج الأحزاب الوطنية والإسلامية على مبدأ التعريب الشامل، مع تحديد رزمة باستكمال السيادة الوطنية على اعتبار أن السيادة الترابية تتبعها سيادة لغوية.

وهذا وغيره من القرارات والتوصيات والمقترحات التي أنقلت القارئ والمواطن العربي، وما إن تفتح كتاباً صادراً عن المؤسسات العاملة في هذا المجال لتدهش من تلك التوصيات البراقة التي تحمل الأمل في الحقيقة، ولكنها صيحات في أودية عربية ما لها من قرار ولا رجع صدى. فواقع الحال لا يعكس تلك التوصيات، وأمر القرارات لم يؤد إلى تغيير الوضع. ولذلك نشاهد جانباً من الضياع العربي وعدم الالتزام.

وإنه لترسم أمامنا لوحة فيها اثنتان وعشرون صورة منشطية، اثنان وعشرون بلداً عربياً يصعب عليهم وضع WEB خاص، في الوقت الذي نعلم وندري أن بلداننا من أغنى البلدان، ونعرف بلاداً لها لغات حديثة أنجزت منطقيات بلغاتها وأقامت بنوكاً للمصطلحات الأدبية والعلمية، وأنجزت مكانز لغوية، وأوجدت مواقع في الإنترنت. وهكذا أحصر تلك النقائص في النقاط الآتية:

- التخطيط اللغوي غير دقيق أحياناً، غالباً ما يأتي من وراء المكاتب.
- غياب استراتيجية وخطة شاملة للتربية والثقافة العربية.
- البقاء في مجال التوصيات وتقديم المقترحات، وعدم متابعة التطبيق.
- المساهمة السلبية في تعريب برامج الانترنت. فقلة من المؤسسات فتحت مجالات مواقع الإنترنت.

أعود لأقول: إن شخصيتنا لا تحفظ إلا بتواصل أجزاء الوطن العربي تواصلاً فعالاً وحيوياً على جميع الصعد، ولكن نسجل بكل أسف أنه على الرغم من المخاطر التي يفاقمها ضعفنا

وتفرقنا وهزال الكيانات التي ننتمي إليها، فإن الأنظمة العربية تزداد أوطاناً ولا تريد وطناً، وتريد قطعاناً، ولا تريد أمة وشعباً موحداً، ولا تلبث أن ترى واقع الحال في الأنظمة العربية فتراها تدعو إلى القطرية البغيضة، وإلى الحسابات الخاصة التي تؤدي إلى الانحسار، فهناك دول أعطت ظهرها لكل أشكال العمل العربي المشترك، ويتجسد ذلك في غياب البُعد التضامني في الخطاب الثقافي المعاصر في القضية اللغوية؛ وهي من القضايا المصيرية الكبرى، وأصبح مفهوم الوطنية عندها عرضة للمنح والمنع من قبل شريحة تأخذ بيدها المعايير والأحكام. وهذا التباين العربي أملتة معطيات ما كان يجب أن تحصل، وأثر ذلك في مجريات حياتنا فأصبحنا نلبس في محيطنا الأسري قناعاً، وفي محيطنا العملي نستبدل به قناعاً آخر، فبين العمل والعبادة حجب كثيفة، ولذلك لا نشهد إلا واقعاً نتحسر عليه وهو يُظهر لنا إمكاناتنا المادية والعلمية الكبيرة، ولكن يستغلها الآخرون، فالبنية الاقتصادية مرهونة بالأجنبي، فهل يمكن الحديث عن البنية الثقافية بعد ذلك.

4. **ضعف التخطيط اللغوي:** وأقصد به على وجه الخصوص غياب آليات التخطيط في السياسات اللغوية كما هو معمول به في المشاريع التنموية، باعتبار أن اللغة مشروع لبناء إنسان المستقبل، وهذا ما تفعله كلّ الشعوب في بناء لغتها على أسس علمية باعتماد:

- تشجيع البحوث اللغوية.
- إقامة المؤسسات العاملة على ترقية لغاتها.
- جرد الحاجات وتحديد الأولويات.
- تحديد الأهداف والغايات القريبة والبعيدة.
- اختيار الوسائل لتحقيق الأهداف
- رصد ميزانية وموارد بشرية رافدة لذلك.
- متابعة تنفيذ الخطة الموضوعة<sup>7</sup>.

---

<sup>7</sup>. صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية. الجزائر: 2000، دار الهدي بعين مليلة، ص 276.

ولكن التخطيط اللغوي الذي أقصده في الدول العربية يعني: معالجة المشكلات اللغوية التي نجمت عن طمس الهوية الوطنية (استعادة العربية لموقعها). ثم التخطيط على أصوله العلمية لدراسة المشكلات الطارئة لقضايا اللغة وصعوبات استعمالها، وفيها نلمس الخطط في أمادها المختلفة. ونجد عنصراً مهماً في هذا المجال وهو وضع استراتيجية للغة العربية بوصفه ظاهرة تخطيط لغوية تهدف إلى نشر استعمالها في كل منحي من مناحي الحياة.

وهذا العنصر أكدته كثير من المؤتمرات والتوصيات والاستراتيجيات لبناء ثقافة عربية موحدة، لكنه لم يتجسد إلا في بعض الأبعاد الثقافية العربية. وكنا نأمل أن يظهر ذلك على مستوى لغة الشارع التي تحتاج إلى لغة مشتركة، أو معجم مشترك لألفاظ الحياة العامة<sup>8</sup> والذي يأتي مكملاً للرصيد اللغوي المغاربي أو الرصيد اللغوي العربي اللذين حاولا توحيد لغة الطفل المدرسية.

وإنه دون آليات التخطيط التي تحدد استراتيجية واضحة معقولة التطبيق على الوطن العربي، يجد صاحب القرار صعوبة في تحديد معالم الخريطة اللغوية<sup>9</sup>، فأني له أن يفني بغرض المتطلبات التي تستدعي وضع آليات تعمل على تحديد السياسة اللغوية، وما هي حدود التهيئة اللغوية

---

<sup>8</sup>. فكرة نادى لها الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة في: المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 55 لسنة 1998. وبدوري أزكي هذا المسعى الحميد لتسجيل اللغات المحكية والمكتوبة المعبرة بألفاظ يستعملها العامة في حياتهم اليومية في كل من الطعام والشراب والتجارة، للوصول إلى استكناه الكلمات الوظيفية الموحدة، مما تفتقر إليه العربية في العصر الحاضر، وهي كلمات حيّة في أفواه العرب، ولكنها لم تجد تسجيلاً يكون سبيلها الانتشار.

<sup>9</sup>. "وأحسب أن السياسة اللغوية في الوطن العربي ينبغي أن تشمل العناصر التالية: محو الأمية وتعميم استعمال العربية الفصيحة خاصة في وسائل الاتصال المسموعة والمرئية، واستكمال التعريب في الإدارة والتعليم بما في ذلك توفير المصطلحات الحضارية والعلمية والثقافية بشكل منتظم، والترجمة من اللغات العالمية وفق خطة تستجيب لمتطلبات التنمية، وتعليم اللغات الأجنبية في مدارسنا، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها داخل الوطن العربي وخارجه، وتنمية اللغات الوطنية العربية في الوطن العربي. ع/ علي القاسمي، من روائع الأدب المغربي... قراءات المغرب: 2002، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، سلسلة شرفات، ص 55.

والهوية الثقافية، وما هي الأسس النظرية والأطر المنهجية الملائمة لدراسة التغيرات اللغوية المخططة، وهذا كي يكون السياسي على بينة من حل الإشكالات اللغوية، لأن التخطيط بالنسبة للسياسي هو تحديد الأهداف بدقة، وتقدير الموارد، واختيار السبل؛ أي الانتقال المنظم من موقع حاضر إلى موقع قادم أفضل، وذلك بهدف "حل المشكلات اللغوية وغير اللغوية التي تعترض الإنسان بوصفه فرداً بشرياً تتفاعل بعضها مع بعض"<sup>10</sup>، تلكم متطلبات يجب أن تكون في يد السياسي يحضرها اللغوي أو من يقوم على تجسيد هوية البلد اللغوية قبل المطالبة بأخذ القرار السياسي، فلا بد من استيفائها كأرضية عمل للسياسي "وللتخطيط متطلبات لا بد من استيفائها وأهمها: مسح الحاجات الحقيقية للمجتمع، وإجراء البحوث والتجارب العلمية والاستفادة من تجارب البلاد الأخرى، والاستعانة بالمختصين في الميادين المختلفة ووضع الخطط على أساس ذلك كله، وتوفير الوسائل اللازمة للتنفيذ، وتقييم النتائج التي يفرزها التطبيق، ثم تعديل الخطط في ضوء التقييم، لتذليل العقبات التي تعترض التنفيذ أو تقلّ من المردود"<sup>11</sup>.

5. **فقر التخطيط التربوي:** إن الحديث عن التخطيط التربوي الذي هو جزء من تخطيط السياسة اللغوية يحمل كثيراً من هموم إخفاق منظومات التربية والتعليم في الوطن العربي التي غدت حقائق للتجارب؛ فمن وضع برامج محلية ضعيفة، إلى استيراد برامج وضعت لغير العربية والعرب ثقافة وسلوكاً، فلا تلاحظ إلا التأسف عما لحق المدرسة في أوطان العربي من تراجع مؤدٍ إلى الإحباط "في التربية والتعليم فيض من الإحباط يمتد بين الأسرة والجامعة، ومن سن الطفولة إلى سن الرجولة، ويكمن في المناهج والطرائق والوسائل والمعلومات، وفي أساليب الممارسة والتعامل، عندما ينتقل المرء من ميدان التعلم إلى ميدان العمل في الحياة"<sup>12</sup> وهذه

---

<sup>10</sup>. فواز محمد الراشد عبد الحق "مريثات التخطيط اللغوي" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. عمان: 1996، منشورات المجمع، العدد 51، ص 107.

<sup>11</sup>. عبد الله عبد الدائم، التخطيط التربوي، بيروت: 1980، دار العلم للملايين، 46.

<sup>12</sup>. علي عقلة عرسان، ثقافتنا والتحدي، خطابنا وخطاب العصر. دمشق: 2001، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 50.

الانتكاسة صاحبته مجموعة من العوامل الملحقة بها عملت على تثبيط الهمم من أمثال:

■ عدم ملاحقة المدرسة للمستجدات

■ ضع مسميات منزلة دون مراعاة المحيط، وإهمال الرصيد المعاصر للغة العربية.

■ اعتماد القيود الصارمة التي فرضها القدامى على العربية دون مراجعة وتحيين.

■ تراجع التعريب في معظم الدول العربية وسكوت المجمعين

ومن خلال ذلك تبوّأت اللغات الأجنبية مكاناً خاصاً في السياسة التعليمية في الوطن العربي، وغدا التعايش بين العربية واللغتين الإنجليزية والفرنسية فرضاً نفسه، بحكم التخطيط الذي ينبع منهما، وبهما، وعن طريقهما تجري مختلف الإصلاحات التربوية، فأنى للمحراث أن يفلح الأرض إذا كان جرداً. وإن القضية تتجاوز الجوانب التربوية التي يمكن تحيينها، إذا كان التخطيط أعوج، ويقول المهدي المنجرة "لا أقبل من أي أحد أن يقول إنها قضية بيداغوجية، وأن لنا مشاكل، وأن التعريب صعب، وصعب أن نستعمل اللغة العربية في تعليم الكيمياء والبيولوجيا. فهذا كلام لا أساس له؛ لأن التجارب في العالم بأسره برهنت أنه دون الاعتماد على اللغة الوطنية، ودون لغة الأم في تعليم العلوم، لن يكون تقدم حقيقي، وأستطيع أن أقدم نماذج من كوريا وتايوان واليابان وماليزيا والصين وغير ذلك"<sup>13</sup>.

### **القرار السياسي للتعريب في الدول العربية**

**أولاً: دول عربية نجح التعريب فيها دون قرار سياسي:**

أعرج في هذه النقطة على تجربة دول عربية لها باع مشهود له بالنجاح، وقد نجح التعريب فيها دون قرار سياسي مسبق؛ ثم جاء القرار الذي به حافظت على الوتيرة، ودعم تلك الأعمال العلمية والجهود الفذة التي زادت القرار تفعيلاً.

---

<sup>13</sup>. محمد خروبات "جوانب من تأثير الفرانكفونية في نظام التربية والتعليم بالمغرب" مجلة البيان. الرياض: 2002 السنة السابعة عشرة، العدد 177، ص 38-39.

**سورية:** لقد نجح التعريب أيما نجاح في الجمهورية العربية السورية بدءاً من سنة 1919م، وهي السنة التي دحرت فيها اللغة التركية بكل قوة. فعادت العربية إلى هذا البلد دون قرار سياسي، وهذا ما نصّ عليه دستور البلد، فكان الأمر لا يحتاج إلى قرار، فالدستور أقوى من القرار وهو فوق القانون. ولقد استطاعت الهيئة التدريسية إغناء العربية بسيل من المصطلحات العلمية للغة العربية في ظرف زمني، وما اشتكى المصطلح قلة إلا مثلما تشتكي كل اللغات من عدم ملاحقة المصطلحات العلمية المتسارعة التي تنتجها اللغات الأجنبية بحكم إنتاجها لها، وبحكم الصناعة المصطلحية التي تتوفر عليها من خلال بنوك المصطلحات، وهاهي ذي سورية الآن تعتمد على نفسها في ترقية اللغة العربية تدريساً وإنتاجاً وتتصدّر الدول العربية التي تدرس بالعربية في كل التخصصات وعلى مستوى كل الكليات.

ولقد كانت المهمة صعبة وقاسية، ولكن الجيل الأول من المدرسين كان جديراً بحمل الأمانة، فوضع مصطلحات علمية لمختلف أنواع الفنون. وفي مرحلة التوسّع والترسيخ اتصف النشاط العلمي عندهم بتعميق تعريب أنماط الحياة في سورية، حتى نالت المسيرة نضجاً وكمالاً. وإن نظرة بسيطة تحيلنا إلى تبني حلّ المشاكل والتغلب عليها إذا تكاثفت الجهود، فما أحوجنا إلى تعميم تلك التجربة الرائدة! ولا يعني كلّ هذا أنه لا توجد بعض العوائق التي تخلّ بعملية الأداء العلمي، بل هذا من طبيعة الأشياء، فلا كمال لغوي لأية لغة، لأن اللغات كائنات حية تقوى وتضعف "ومهما يكن الأمر فإن البداية السليمة للتعريب حصلت نتيجة تضافر الجهود الرسمية والخاصة، وقد مهدّ لنجاح هذه البداية توافر أربعة أركان أساسية هي: القرار السياسي والإيمان بالتعريب وسيلة لتحقيق بعث حقيقي للأمة العربية، ووضوح الهدف والإفادة من المناخ المواتي"<sup>14</sup>.

تثار عملية تقويم التعريب في سورية بحثاً عن التفعيل الصحيح لهذا المسار، ولا يمكنني إلا

---

<sup>14</sup>. غدير زيزفون "اللغة العربية والتعريب العلمي في سورية ونظرة إلى المستقبل، قضايا وحلول" مجلة الموسم الثقافي. عمان: 1997، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الخامس عشر، ص 17.

أن أقول بأن التعريب في سورية أصبح حقيقة راسخة رسوخ البنية الاجتماعية اللغوية المعتمدة على أحدث النظريات، فمسيرة 83 سنة من التطبيق كافية لإظهار العيوب والمزايا التي تحملها عملية تعميم استعمال اللغة العربية في مختلف المجالات. ومع ذلك فإن دراسات أعدت وأجهزة علمية وضعت لهذا الغرض من مثل: البحوث التربوية والعلمية والوزارات، والمجلس الأعلى للعلوم<sup>15</sup>. والمجالس الجامعية المختصة.

وإنها لتقر بأن:

- تعميماً حقيقياً للغة العربية في كل المجالات (عربية كاملة).
- تحكماً في الاختصاص الدقيق بما فيه علم الذرة.
- مؤسسات علمية لها مكانة دولية محترمة.
- علماء ومهندسين وأطباء لهم المكانة العالمية.
- إنتاجاً علمياً بالعربية يكفي الوطن العربي.
- تأطيراً محلياً بالعربية، وتصديراً للبد الفنية للعالم الغربي والعربي.
- تحكماً في اللغات الأجنبية: تدريساً وترجمة وتعجماً.

**السودان:** وثاني بلد له باع متميز هو **جمهورية السودان** الذي يسير بخطى جبارة دون قرار سياسي مثير، والذي وضع حداً لكل تلطف في القول أو جدل أو تراخ في التطبيق "وضع القرار السياسي حداً فاصلاً للجدل القائم المطول حول قضية التعريب في السودان ونقلها من طور الهم والنظر إلى حيز الفعل والنفاد"<sup>16</sup>. فلقد نصب الهيئة العليا للتعريب ومدّها بأسباب الحركة العلمية،

---

<sup>15</sup>. يقوم هذا المجلس بتحضير ومراقبة الخطط العلمية التي تشكل جوهر خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية على المستوى المحلي. كما يراقب مختلف التغيرات التي تحدث على الخطط اللغوية، ويعدّ مرصداً لغوياً يرفع تقريره السنوي للمعنيين.

<sup>16</sup>. دفع الله الترابي "اللغة العربية والتعريب العلمي في الحاضر ونظرة إلى المستقبل، قضايا وحلول" مجلة الموسم الثقافي. عمان: 1977، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الخامس عشر، ص 116.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

وبما يجعلها قادرة على تقديم ما ينفع الناس ويساهم في التغيير والتطوير والتحديث خدمة للغة القومية التي لا بديل عنها، وذلك باعتماد الخطة التعريبية الآتية:

- الإيمان العميق بعروبة البلد، وباللغة العربية لساناً.
- رصد موازنة سنوية لعملية التعريب على الآماد الثلاثة.
- اعتماد جدول زمني محدّد لاستكمال كل أشكال التعريب.
- التعريب التدريجي سنة مسنة.
- وضع كتب متميّزة علمياً موضع الترجمة كل سنة.
- الترجمة من اللغات الأجنبية، وخاصة من الإنجليزية.
- التقويم الدائم عبر ملتقيات وندوات يحضرها الأساتذة المدرسون للمواد العلمية.
- المراجعة المستمرة لكل خطوة تُتخذ في مجال العربية، أي المراجعة التقويمية، وليس التراجع عمّا أقرّ من برنامج تعريبي شامل.

وبهذه المنهجية الخاضعة للفحص باستمرار؛ خاض السودان عملية التعريب بنجاح حسب ما أكدته الدراسات الميدانية، ويعيش الآن سنته الأخيرة من النجاح الباهر. وهكذا تمثلت معالم منهجيته في:

1. التدرّج في التطبيق
2. الفصحى الميسّرة لغة التدريس
3. دراسة مواد في اللغة الأجنبية
4. دراسة مواد في اللغة العربية
5. الإبقاء على الرموز والصيغ الرياضية العالمية على هيئاتها
6. لجان التعريب بالجامعات

وبهذا المنهاج استطاع السودان تذليل العقبات الآتية:

1. عدم توحيد المصطلح العلمي والاختلاف حوله

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

2. التعريب يعزل الدارس عن علوم الغير ومعارفهم، والعرب في هذا الزمان ليسوا أهل ريادة علمية لا سيما في علوم التقانة.

3. ضعف المكتبة العلمية في تخصصات كثيرة

4. مصادر العلوم الحديثة موجودة في اللغات الأجنبية، فلمَ عدم الأخذ منها مباشرة؟

وفي ذات الوقت حلّ قضية الأستاذ المعرّب، والمصطلح العلمي، والكتاب المنهجي المقرّر .

ولقد قومت التجربة السودانية، وخلص التقويم إلى النتائج التالية:

• استيعاب الطلاب للعلوم بالعربية بشكل أحسن من الإنجليزية.

• قناعة المدرسين بالتدريس بالعربية.

• تأليف الكتب بالعربية لم يعد صعباً.

• القرار النهائي باستكمال مرحلة التعريب الشامل بنهاية سنة 2002م.

ليبيا: إن الجماهيرية العربية الليبية مؤمنة بعروبتها حتى النخاع، وتعمل جاهدة على تجسيد الهوية اللغوية بكلّ ما أوتيت من وسائل، وقد دخلت تجربة التعريب الشامل مؤخراً بطموح كبير، وذلك من خلال:

• التعريب التام لفروع الهندسة والعلوم التطبيقية.

• التعريب التدريجي لميدان الطب.

• القيام بحملات توعية حول الوحدة اللغوية للأمة العربية.

• ربط اللغة بالمصير المشترك.

وكل هذا لا يمنع من أن تطرح قضايا عالقة، مثل: نقص الهيئة التدريسية المعربة، قلة الوسائل العلمية، نقص الكتاب المعرّب... وهذه هي الصعوبات التي يلاقيها كل بلد يدخل معركة استعادة الهوية اللغوية.

اليمن: إن اليمن السعيد الذي يطل علينا من باب المنذب، ليخطو خطوات عملاقة في مجال توظيف واستعمال اللغة العربية التي دخلت مرحلة القرار السياسي الطبيعي؛ باعتبار اللغة العربية

لغة البلد، فلا تحتاج إلى قرار يجسدها في بلدها. ومع ذلك فإنه وضع لبنات التعريب كما يلي:

- تعريب الإرادة تعريباً شاملاً.
- تعريب المراحل الأساسية تعريباً شاملاً.
- تعريب العلوم الإنسانية في الجامعات تعريباً شاملاً.
- بداية تعريب العلوم في الجامعات تعريباً تدريجياً.
- بداية تعريب كليات الطب.
- موقع اللغة الإنجليزية عامل مساعد للعربية وتفتح على العلم والعالم.

تبيّن الدراسات بأن لليمن مثل ليبيا، عزيمة عربية لا تهادن في مجال لغته التي لم تنزل ذات مرة إلى المساومات، ولم تكن عامل المقارنة، إلا أن طموحه الكبير لم يستطع تجسيدها في الميدان العلمي لعدة نقائص، ومن أهمها:

- ضعف الاتصال بالعالم العربي
- عدم وصول المطبوعات التي تديرها المؤسسات العلمية الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- قلة الأطر الوطنية المعربة والأطر العربية المتعاونة
- ازدياد التلاميذ والطلبة، والتوسع في بناء الجامعات، والقلّة في التأطير.
- وهكذا نشهد نمواً ثقافياً معتبراً في هذا البلد الذي يجب أن تمدّ له يد المساعدة العلمية في جوانبها المتعدّدة، وخاصة فتح الحدود أمام المطبوعات التي تصدرها المؤتمرات العلمية العربية، ومطبوعات الدول العربية التي لها ريادة في مجال التعريب من مثل سورية والسودان، ومطبوعات المؤسسات العربية التي تتضوي تحت جامعة الدول العربية. وإنّ نجاح التعريب في اليمن يعدّ نجاحاً للعربية خارج أوطانها، باعتبار الموقع الجغرافي لهذا البلد الذي يحاذي كثيراً من دول شرق آسيا الإسلامية التي تتطلع إلى الوطن العربي من خلاله، حيث يتجسد فيه الإسلام والعروبة والعربية.

ثانياً: دول عربية نجح فيها التعريب بقرار سياسي ثم أخفق:

1. مصر: تعدّ جمهورية مصر العربية من الدول العربية الأولى التي خاضت ميدان التعريب، وهذا منذ دخول العرب هذا البلد، فاستمدت العربية في مصر عنفوانها من الدول الإسلامية وسيادتها، فعروبة مصر لا تناقش، حيث كانت العروبة فيها لغة العلم من القرن التاسع حتى نهاية القرن الحادي عشر، وأثناء إنشاء محمد علي باشا مدرسة الطب في القاهرة سنة 1827م، وظلت تدرس بالعربية حتى عام 1887م، حين تحول التدريس فيها إلى الإنجليزية بضغط سياسي من البريطانيين. وهكذا عزّبت كلية الطب والصيدلة، وتوقفت المسيرة وعزلت العربية عزلاً مباشراً عن تدريس العلوم الحديثة. ومع يقظة الضمير الوطني سنة 1919م لم يستطع فرض العربية.

وفي السنوات الأخيرة تشهد هيئات علمية ولغوية تعمل في صبر على اتخاذ العربية لغة للعلم وتطبيقاته، ونجد نصوصها تؤكد أن لغة التعليم هي العربية دون سواها لتكون واسطة لنشر المعارف وترقية العلوم بين الناطقين بالضاد، ولكي ترتقي اللغة العربية نفسها بهذه الوسيلة. ولكننا نجد تلك النصوص تفتح المجال للغات الأجنبية لـ "اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات الخاضعة لهذا القانون وذلك ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغة أخرى"<sup>17</sup>، وهذه الرخصة هي التي أعطت الفرصة للإنجليزية للتوسع على حساب العربية، فتبين إحصائية محمود حافظ أن نحواً من 23% من الطلبة يتلقون دروسهم حتى اليوم في معظم المقررات الدراسية بلغة أجنبية هي الإنجليزية، وفي كلية الطبّ البشري والبيطري وطبّ الأسنان والصيدلة وكلّيات العلوم والهندسة والمعاهد العليا للتمريض الطبيعي<sup>18</sup>. كما أتاحت هذه الرخصة التراخي

<sup>17</sup>. محمود حافظ "اللغة العربية في مؤسسات التعليم العالي ووسائل النهوض بها في مصر" مجلة الموسم الثقافي.

عمان: 1988، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، العدد السادس، ص 16.

<sup>18</sup>. محمود حافظ "اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والتعليم العالي ووسائل النهوض بها في مصر" مجلة الموسم الثقافي. عمان 1988، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، العدد السادس، ص 18-19.

والإهمال وخلق العقبات والحاجز النفسي، وكلها عوامل أدّت إلى إخفاق التجربة المصرية رغم ما لها من موارد بشرية هامة وما لها من شدة العزيمة تجاه العربية التي هي أداتهم العلمية. وفي الحقيقة لا حجة للأستاذ المصري في هذه المسألة باعتبار الرصيد المعرفي الذي يدخره، وهو الذي عزّب كلّ الوطن العربي. ويبقى أن الوهم والتهيب والتردد من العوامل التي يمكن إزالتها بالعزيمة العربية التي لا تنقص الأستاذ المصري ذا الكفاءة العالية دولياً.

2. **العراق:** ينصّ الدستور العراقي على أن اللغة الرسمية في الجامعات العراقية هي اللغة العربية... ولمجالس الجامعات أن تقرّر تدريس بعض المواد العلمية بلغات أخرى.

وهكذا أصبح تطبيق الجزء الأخير من القانون هو الساري حالياً في كليات الهندسة والطب رغم قرار التعريب سنة 1976، وما قرّره الجامعات، وما صدر من تشريعات، وقانون الحفاظ على اللغة العربية سنة 1977م، الذي نصت المادة الثانية منه على أن "على المؤسسات التعليمية في مراحل الدراسة كافة أن تعتمد اللغة العربية لغة التعليم، وعليها أن تحرص على سلامتها لفظاً وكتابة وتنشئة الطلاب على حسن التعبير والتفكير بها، وإدراك مزاياها والاعتزاز بها".

أخذ مشروع التعريب تؤتي ثماره، غير أنّه سرعان ما نادى أصوات بالتريث في تعريب الهندسة والطب، إلى غاية استكمال تعريب المصطلحات العلمية وتوحيدها، وتعريب الكتب العلمية، فخبث جذوة التعريب<sup>19</sup>، وبذلك ثبّطت العزائم، ولم يصبح التفكير في جدول التعريب ذا أهمية، فخاب الأمل بذلك التريث الذي هو علامة من علامات الفشل.

3. **الجزائر:** عرفت الجزائر أسوأ استعمار مثل الفيتنام، وهذا الاستعمار الذي ترك جذوره الثقافية رغم رحيله، وهاهي ذي تلك الجذور قد أُنِعت؛ تناضل من أجل بقاء اللغة الفرنسية في الجزائر فقط دون غيرها من اللغات؛ باعتبارها لغة فعلية؛ إلا أنّها غير دستورية.

---

<sup>19</sup>. جميل الملائكة "اللغة العربية والتعريب العلمي في الحاضر ونظرة إلى المستقبل، قضايا وحلول" مجلة الموسم الثقافي. عمان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الخامس عشر.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

ولقد عرف التعريب مراحل وخططاً عديدة، بدءاً من التعريب التدريجي الذي شهدته الستينيات والسبعينيات. ومع أمرية 16 أفريل التي وضعت حداً لذلك التدرج في مراحل التعليم الأولى، شهدت المدرسة الأساسية تعريباً كلياً مع أوائل الثمانينيات. وفي ذات السنة عزّبت العلوم الإنسانية في الجامعة، مع تحديد سقف زمني بنهاية 2000م، الذي يمسّ كافة العلوم الدقيقة والهندسة والطب.

ولقد صاحب هذا تفاؤل كبير مع تعريب الإدارة والمحيط، وأدى ذلك الزخم والقرارات الرسمية إلى تجسيد العربية في موطنها بقوة القانون، وصاحب ذلك صدور قانون تعميم استعمال اللغة العربية، الحامل للصرامة، وتعزيم كلّ من تسوّّل له نفسه عدم تطبيق المواد الدستورية. كما يحتمل المسؤولية التامة لكلّ الأفراد والمسؤولين الذين لا يعملون على تعميم استعمال اللغة العربية. ولم تبق النوايا الحسنة عند هذا الأمر، بل تأسس المجلس الأعلى للغة العربية، الذي يعمل على تجسيد تلك القرارات التي حددتها له مهامه التطبيقية، ومنها:

- متابعة تطبيق كل القوانين الهادفة إلى تعميم استعمال اللغة العربية وحمايتها وترقيتها وتطويرها.

- يكون التعليم والتربية والتكوين في كل القطاعات، وفي جميع المستويات والتخصّصات، باللغة العربية، مع مراعاة كفاءات تدريس اللغات الأجنبية.

- صلاحية النظر في ملائمة الآجال المتعلقة ببعض التخصصات في التعليم العالي.

ومع كل هذه القوانين الطموحة فإن أيدياً خفية عملت على تجميد كل تلك المراسيم والقوانين، وهي صيغة من صيغ الفشل الذي مني به تعميم استعمال اللغة العربية وذلك بخلق بعض المعوقات التي عملت على وقف مسار العربية في بلدها، ومنها:

• تجميد قانون العربية.

• عدم تجسيد تلك النصوص الملزمة بمعاقبة المتسبب في عدم العمل على تعميم استعمال اللغة العربية.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

- التسامح في بنود كل القوانين الخاصة بمجال تطبيق تعميم استعمال اللغة العربية.
- الهيئات الموضوعة لخدمة اللغة العربية لم تتضح صلاحيتها، وبقي بعضها رهن التريث.
- الآجال المنصوص عليها في القانون لنهاية التعريب الشامل لم تحترم.
- الحديث عن مراجعة في بضع الثوابت.

ولقد خاب ظننا وتأسفنا كما تأسف الكثير من الأخوة العرب الذين تحاورنا معهم في هذا التريث غير المنتظر؛ باعتبار الجزائر أسوة في هذا المجال، ونجاح العربية فيها نجاح للوطن العربي، واستمرار للإرادة الحرّة التي تأبى الحياة دون لغتها. ولكن الظروف لم تواتر الجزائر أن تواصل المسيرة بخلق بعض القلائل على مستوى وطننة الأمازيغية أو ترسيمها، وبظهور أصوات تنادي بضرورة الاهتمام بالقضايا الداخلية، وهي أهمّ من المسألة اللغوية.

4. الأردن: بدأت محاولات التعريب في الثمانينيات بين الأخذ والمدّ، تارة يشهد تطبيقاً محدوداً لفترة قصيرة، ثم ما يلبث أن يتراجع. وهكذا إلى غاية التسعينيات حيث عُربت السنة الأولى والثانية من التعليم الجامعي. وعند مواصلة تعريب السنة الثالثة ظهرت صعوبات أدّت إلى إجهاض عملية التعريب. وهذا لعدة نقائص يمكن إجمالها في أن المحاولات كانت فردية، ولا خطة أو إطاراً يجمعها، كانت حملات مؤقتة وغير متكاملة بين الكليات، ولا قرار إلزامياً مفروضاً. وهكذا مرت العملية كأنها سحابة صيف أمطرت ثم جف مطرها بسرعة، مثلما نزل بسرعة.

لم تجد اللغة العربية منفذاً إلى التعليم العالي في الأردن، رغم أن قوانين الجامعات الأردنية تنصّ على أن اللغة العربية هي لغة التدريس، ويجوز في حالات استثنائية التدريس بلغة أخرى تقتضيها الضرورة القصوى<sup>20</sup>. ولقد أصبح الاستثناء هو القاعدة التي تطبّق بكل قناعة ورضى؛ فالعربية يدرّس بها المواد الأدبية، والإنجليزية تدرّس بها المواد العلمية.

---

<sup>20</sup>. مجمع اللغة العربية الأردني، ندوة حول "واقع التعريب في الجامعات الأردنية". عمان: 1991 الموسم الثقافي التاسع، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.

رغم تلك الفجوات الخطرة التي أبانتها الدراسات العلمية<sup>21</sup> من أهمية التدريس بالعربية التي نالت استحسان الطلبة في الجامعات الأردنية، وأنه لا جدوى من الوقوف في وجه التعريب، وأن مستوى الطلبة في الإنجليزية ينهار يومياً "والتعليم باللغة الأجنبية يعيق الدارس مهما كانت مرحلته الدراسية، وتتمثل هذه الإعاقة في الجوانب التالية:

1. لا يفهم جيداً ما يسمع من شرح.
2. لا يفهم ما يقرأ فهماً جيداً.
3. لا يجيد التعبير عن نفسه بالكتابة.

إذا قرأ أو تكلم أو كتب فإنه يفعل ذلك ببطء ويستغرق وقتاً طويلاً، فلا يؤدي واجباته الدراسية على وجه جيد<sup>22</sup>. إن التعريب أخفق في الأردن، ولكن لم تتجح الإنجليزية، لأنها جسم غريب عن المجتمع، فلا تسمع إلا إنجليزية مكسرة استعمالاً، وتقرأها ضعيفة كتابياً.

### **مكانة اللغات الأجنبية في الوطن العربي**

عند الحديث عن مكانة اللغات الأجنبية في الوطن العربي نعني بذلك مكانة اللغات الأجنبية في المنظومات التربوية العربية في المقام الأول، ثم مكانتها في الإدارة، وأخيراً مكانتها في الشارع أو في الاستعمال العام.

إننا في زمن تتقاسم فيه الساحات العربية لغوياً لغتان أجنبيتان هما: الفرنسية والإنجليزية، وهما اللغات الفعلية في الوطن العربي. وإن التاريخ يشهد أن اللغة العربية عاشت زهاء خمسة عشر قرناً في الوطن العربي استوعبت فيها مدنيتان مختلفتان، وورثت حضارات متعددة، وأضافت إليها حضارة خالدة لا تزال آثارها ماثلة للعيان. ولكن تأسيساً على ما مضى ندرك أننا اليوم أمام حرب حضارية جديدة، وظفت فيها اللغة سلاحاً جديداً، فما هي ذي الطعنات تلو الأخرى تلحق

---

<sup>21</sup>. عادل أحمد الجرار "اللغة لعربية والتعريب العلمي في الحاضر ونظرة إلى المستقبل، قضايا وحلول" مجلة الموسم الثقافي. عمان: 1997، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الخامس عشر ص 55 - 56.

<sup>22</sup>. المرجع السابق ص 55-56

الهوية الوطنية في بعدها اللغوي، وأصبحنا نلزم أنفسنا باستعمال اللغات الأجنبية بدل العربية لنكون معاصرين، وإلا عفا علينا الزمان.

**\* اللغة الفرنسية في المغرب العربي:** تنصّ المنظومات التربوية لكلّ من: المغرب وتونس<sup>23</sup> وموريتانيا على الازدواجية الفعلية. وتسود اللغة العربية في كل من منظومتي التربية والتعليم في الجزائر وليبيا. وما تزال اللغة الفرنسية قائمة في التعليم العالي بالجزائر في الهندسة والعلوم البحتة والطبّ. هذا على المستوى النظري، وأما على المستوى الفعلي فنجد اللغة الفرنسية وهي اللغة الأجنبية الأولى بلا منافس، ثم نجد المدّ الفرانكفوني نشيطاً في فتح رياض الأطفال والمدارس والمعاهد والثانويات، بمناهج فرنسية بحتة، وبدأت تظهر الخلفية الفرانكفونية بلباس حديث. وأما على مستوى الإدارة فنجد الفرنسية تفرض نفسها في المغرب وموريتانيا، وتحاول تدوين السلطة التابعة لها بحيث لا يكون لها القرار، وأن تجعل الفرنسية هي لغة التواصل الإداري، فيكون الشعب غريباً على إدارته وبلده. وهكذا ما تزال متحكمة في الجوانب المالية والاتصالات في الجزائر. وأما في ليبيا فنجد انحساراً تاماً للغات الأجنبية. وعلى مستوى الشارع العام فإن العربية بدأت تسترجع مكانتها الاجتماعية رغم التشبع اللغوي الفرنسي لدى أصحاب الامتيازات الكبرى الذين لهم الحظوة والجاه والسلطة، والملحقين بالقطب الفرانكفولي فكراً وعقلاً.

#### **\* ماذا حققت الفرنسية في بلدان المغرب العربي؟**

في الحقيقة لم تشهد دول المغرب العربي قطيعة مع الاستعمار، بواسطة ثقل الموروث الاستعماري الذي جعل بلدان المغرب مكبلة بقيد الفرانكفونية، ولذلك لم تحقق إلا الزواجع الثقافية، والهزات الفكرية وأرضاً بوراً. فنشهد ازدواجية معقدة؛ بل متوحشة<sup>24</sup>، فلم تنل العربية مكانها منذ

---

<sup>23</sup>. هناك حركة تعمل على تدريس الطبّ بالعربية، وهي حالات أفراد، ومبادرات ذاتية معتبرة وجيدة ونالت رضى الطلبة. إلا أنها لم تبارك بقرار إلزامي يعمل على التوسع في هذا المجال خاصة على مستوى الطبّ الشرعي، أو طب العظام.

<sup>24</sup>. أقصد بالازدواجية المتوحشة ما يلي:

استقلال هذه الدول، فالتعليم العالي يسير بالفرنسية في كلّ الأقطار والمراكز المالية بالفرنسية في كلّ البلدان، والمصانع والتعامل مع الخارج بالفرنسية، أضف إلى هذا المجال الإعلامي الذي هو في معظمه فرانكفوني، وتلحق الآن كل تدهور في حياة المواطن بالعربية أو بالمنظومة التربوية المعرّية.

ولقد حققت الفرنسية التبعية المطلقة بالمنظومة الفرانكفونية التي لا تزال تعمل على مس الوحدة الوطنية والتشكيك في عروبة هذه البلدان، وخلقت سياسة التمييز الطبقي في تسجيل الأبناء؛ بحيث لا تختار سوى أولاد الطبقة البورجوازية وأبناء الفعاليات العليا، فالإنسان الذي يدخل في حلبة الفرانكفونية يصبح براقاً وتفتح في وجهه كلّ الأبواب، بخلاف المتمسك بالعربية فهو تقليدي وأصيل. وتستعمل مختلف الأعمال من أجل النفوذ، وذلك بخلق النعرات؛ مثل إحياء الأعراف البربرية القديمة في المغرب التي أحدثت قلاقل بين البربر والعرب. وطرحت في الجزائر المسألة الأمازيغية، وهي حق أريد به باطل من خلال التهويل للمسألة بعد خروجها السياسي من الأرض، وسبق أن حكمت هذا البلد أكثر من 130 سنة فلم تعط الأمازيغ حقوقهم الثقافية وتنادي الآن بالحقوق الثقافية للأقلية في الجزائر. كما نشاهد سريان فعل التبشير بالنصرانية في موريتانيا، فتستغل هذا الشعب الجائع والذي لا حول له، تمّده بالطعام والصليب معاً، وبهذا السلوك الفرنسي خلقت طبقة تدافع عن الفرنسية في أقطار المغرب العربي، فهم الذين يجهرون بالقول: اللغة العربية ليست لغة علم ولا تفيد الإنسان المعاصر، وهي عامل من عوامل نكسة المدرسة الجزائرية والتي خلقت إرهابيين وأن البربر ليسوا عرباً، وأن الفتوحات الإسلامية استعمار عربي، وأن الاستعمار الفرنسي جاء ليحضرنا ويداونا ويمدنا بأساليب العيش الحديثة، وأن

- 
- طغيان اللغة الأجنبية في مراحل التعليم على حساب اللغة الوطنية.
  - توظيف اللغة الأجنبية في المعاملات الإدارية والعامة.
  - خدمة اللغة الأجنبية من غير أهلها، مثلما يخدم الأفارقة الآن اللغة الفرنسية ويدافعون عنها أكثر من الفرنسيين.

الاستعمار لم يقتل إلا الذين لم يعرفوا مزاياه.

وهكذا يجتهد أنصار الفرانكفونية من خلال العمل الحزبي والإعلامي والسياسي للتضييق على الغيورين من أبناء الوطن، فيعملون في فرق ضيقة مع كل من يؤمن بقضية الفرنسية وعن طريق اتخاذ التربية والتعليم وسيلة لإصلاح المجتمع، وبها ومن خلاها وفي ضوئها تتطور الأوضاع الاقتصادية والثقافية والتعليمية والتربوية في البلدان التي تتخذ الفرنسية لغة مدرسة وإدارة، ويبقى الاضطراب سائداً في جميع مشاريع الإصلاح؛ لأنهم لا يفسحون المجال حتى للغات المحلية أو اللغات الأجنبية ذات التأثير الواسع، أو التي لها سلطة علمية مثل الإنجليزية، وهي اللغة العلمية العالمية، ويعتبرون أن الفرنسية هي كل شيء، وهذا ما يوحي لنا بالتبعية المطلقة إلى قطب الفرانكفونية المنهار، رغم ما تعانيه من نظام العولمة والتي لا تقل عن معاناة الشعوب الأخرى، فأصبحت ضعيفة مقزّمة، أمام لغة النظام الدولي الجديد والتي هي الإنجليزية. فهؤلاء قوم إمعة للفرنسة التي تجاوزها الزمان، وباليات هؤلاء التبع يدرون أن الفرنسية لا تحتضن إلا عوامل الماضي وسلبياته، وهي جزء من الإمبريالية الابتلاعية.

### \* اللغة الإنجليزية في الشرق الأوسط ودول الخليج

وإذا أجلنا النظر في المشرق العربي وديول الخليج، فنجد أن منظوماتها التربوية الأساسية معربة، وتعتمد الإنجليزية لغة أجنبية أولى. وإن الإنجليزية كونية تتحكم في كثير من دول العالم الثالث عن طريق منظومة الكومنولث، فكل الدول العربية مريوطة بأوهن الخيوط.

فإذا تحسنا على المدّ الفرانكفوني في دول المغرب العربي، فإن الإنجليزية تنتشر على مستوى أكثر لتشكل شبكة قوية يصعب اختراقها من خلال العولمة اللغوية التي فرضتها على لغات الشعوب الضعيفة؛ بتكوين جيش من المثقفين جلّهم أصحاب الامتيازات الكبرى الذين أعدتهم لاستلام المناصب العليا في الإدارات.

وعلى العموم فإن الأنجلزة تخترق كل المظاهر الوطنية في الوطن العربي، لكنها بمنزلة الدار الكبيرة التي إذا لم تتعش فيها لن تصاب بأذى البرد<sup>25</sup>، فهي كونية لما لها من العلم وتمثل نموذجاً كاملاً بذاته، قوامه التقنية والعلمية والعقلانية، كما تتطوي على أمور إيجابية إنسانية حيوية لا بدّ منها رغم الغزو الثقافي الذي ينطوي على فعل سلب وموقف استلاب.

وإن النجاح الباهر الذي حققته الإنجليزية لم يكن على مستوى اكتساح العالم الفرانكفوني التابع لفرنسا فحسب؛ بل نجحت الثقافة الإنجليزية في جرّ عدد كبير من اللغويين الفرنسيين أنفسهم، جرياً وراء المصطلحات العلمية؛ فالدراسات تشير إلى أن في الإنجليزية تُستحدث تسعة آلاف كلمة في السنة، في حين أن الفرنسية لا تتوفر إلا على عدد محدود جداً<sup>26</sup>.

لست ضد اللغات وهي آية من آيات الله، ولست ضد تعلم اللغات، فكل لغة بإنسان والمهم عندي باحثاً أن أبحث عن موقع للغتي تحافظ على مقوماتها الرئيسة من دون فقد كلي أو محو

<sup>25</sup>. مثل جزائري محلي يضرب للإنسان الذي يقصد المبيت في الدار الكبيرة التي تسقبل دائماً الضيوف فإذا لم يتعش الضيف فإنه يجد ملاذاً من البرد، لأن الدار مقصد بالضيوف.

<sup>26</sup>. محمد المكي الناصري، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط2. شركة بابل، 1993، ص 155.

لشخصيتي، مع إمكانية استغلالها في تحقيق عولمة لغتي لتصبح سلعة تجارية يتسوق فيها، ضمن أرضية مشتركة بين شعوب الكرة الكوكبية. ولكن المؤسف أن نجد تشبث كثير من الأنظمة العربية بالفرنسية أو الإنجليزية التي حرّمت المواطن العربي من سوق الشغل، ويجزم كثير من الباحثين الاقتصاديين والاجتماعيين أن هذا الخيار المفروض هو السبب المباشر في تقوقع الخريجين ضمن دائرة البطالة، وها نحن في وقت ضاع الطالب والمطلوب، فما بقي إلا التطفل على اللغات الأجنبية، فيا ويح على العربان الذين تحيا في بلادهم لغة بودلير ولغة شكسبير، وتغيب لغة الضاد!.

**اللغة العربية والعولمة اللغوية<sup>27</sup>:** إن العولمة ليست غولاً تأتي على كل ما هو أمامها، فهي لا تमित إلا الميت، ولكنها تدفن من لا يريد حراكاً. فلا يجب أن ننظر إلى الجوانب السيئة للعولمة، بقدر ما يجب تثمين الجوانب الحسنة. وهي كثيرة وهذه الجوانب تتيح فرصة الإسهام في اختراع المصطلحات العلمية، وتعمل الاقتراض من العربية إلى اللغات العالمية.

لا يمكننا جدد الآثار الإيجابية للعولمة في تيسير الحوار الحضاري بين العرب وغيرهم من الشعوب، كما لا يمكن نكران الآثار الإيجابية للعولمة في تطوير العربية ونشرها. ولعل الإسهام الإيجابي في عمليات العولمة من قبل متحدثي اللغة العربية، وتقوية التبادل الثقافي عنصران مهمان في إزالة العقبات أمام اللغة العربية، كما نذكر بالإيجاب الإفادة القوية من الإنترنت في تعليم اللغة العربية وتوفير المعلومات الضرورية... ومن هنا فإنه يجب العمل على تحقيق عولمة اللغة العربية في كل جوانبها الصوتية والأدبية واللغوية والكتابية، وقد يمس هذا بعضاً من التغيير الجذري في نشر الممارسات التعبيرية والخطابية والثقافية الغربية للوصول إلى الفصحى المعاصرة، وإلى لغة مال وإدارة وعلم واتصال "اعتماد اللغة العربية في التعامل التجاري بين الدول العربية وغيرها، ويمكن تحقيق هذا المطلب إذا توافرت شروط أساسية، منها توافر الموارد المالية في الدول العربية، والقدرة على الإسهام في مجال الأعمال الذي يتم التبادل فيه، والمتابعة الفاعلة

---

<sup>27</sup>. صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية. الجزائر: 2000، دار الهدى بعين مليلة، ص 332-354.

لتنقل الممارسات التعبيرية والخطابية الإنجليزية (أو الغربية) بهدف تقديم البدائل العربية لها من قبل توسع استعمالها. ولكن المؤسف أن الشركات والجامعات في الدول العربية تزيد في المأساة اللغوية باشتراطها على المتقدمين بطلبات الوظائف إجادة اللغة الإنجليزية كتابةً وتحدثاً، فكأنها مؤسسات إنجليزية وليست عربية<sup>28</sup>. فمن الضروري استثمار القيمة الاقتصادية للغة العربية بوصفها رأس مال عربي؛ باستخدامها في المجالات الاقتصادية والتجارية، ومساندة دروها في التقدم الاقتصادي في الوطن العربي، وهذا باستغلال كل الوسائل الإلكترونية والاتصالية المتوفرة على المستوى العالمي لخدمة العربية وثقافتها. فلا محيد من تعليم العربية وتعلمها ونشرها خارج أوطانها بوصفها أداة تجارية تتناقل بين المجتمعات والثقافات، ويقضي ذلك ربطها بالمجالات الحيوية، والاستعانة في هذه العملية بالوسائل الاتصالية الحديثة كافة، وتنسيق الجهود في نشرها في الدول الإسلامية والدول الغربية.

إن العولمة اللغوية لرهينة في العصر الحاضر باللغة الإنجليزية، كما تستند إلى مراكز القوة الغربية التي تمارس التحكم في العلوم والتقنية وتسيطر عليها، وتجيد الهندسة الاتصالية واللغوية أو تقانة اللغة، وتستغلها في نشر الأفكار والقيم الغربية، فهذا من حسنات العولمة ومن فوائد اللغة العربية أن تستغل هذه التقنيات المعولمة في ترقية اللغة العربية تقنياً (تكنولوجيا).

#### **تأجيل تطبيق التعريب لغاية استيفاء شروط نجاحه**

يطرح بعض الباحثين النزيهين مسألة تأجيل البتّ في القرار السياسي للتعريب إلا بعد استيفاء شروط نجاحه، وهذا نوع من المعارضة الإيجابية في الحقيقة، فرأيت إدراجها لاطلاع القارئ بهذه الحجج التي ترفع في كثير من المناسبات العلمية. ويقضي مني الرأي والرأي المخالف أن أنقلها دون مناقشة.

---

<sup>28</sup>. أحمد عبد السلام "العولمة الثقافية وتبعاتها للغة العربية" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. عمان: 2001، العدد 60 ص 132.

1 - خلق آليات التواصل العلمي باللغة العربية: إن العصر لا يقرّ بلغة الشعر والخطب الرنانة، فلغة العصر هي لغة الإشارات والأزرار والإنتاج والآليات المرنة التي تقصر حجماً وتحمل جبلاً من المعلومات، فأين مقام اللغة العربية من هذا الواقع الذي يزداد تعقيداً كل يوم، وتظهر فيه معجزات يقصر العقل عن تصوّره الآن. ألا نرى أن العربية في هذا المجال قد سجّلت قطيعة معرفية في لغة العلوم، فبقيت أسيرة العلوم الإنسانية، علماً أن اللغة الآن سلعة لابدّ من حملها المادة العلمية كي تباع وتستهلك.

2 - محلّ اللغات أو اللهجات المحلية في مسيرة التعريب: إن التعريب يمسّ بعض الخصوصيات الثقافية المميزة لبعض فئات المجتمع العربي، فلا شكّ أن ذلك سيؤثر في انتزاع حقوق الهوية اللغوية. فلم نر مثلاً في القوانين العاملة على ترقية اللغة العربية في كل الدول العربية ذكراً للخصوصيات الثقافية التي تركها أجدادنا قبل الفتح الإسلامي. فأين الحقّ الذي تصونه كلّ النصوص الدولية: من حقّ كل عرق أن يمني ثقافته وتراثه. وأين محلّ اللهجات واللغات الوطنية في الدساتير التي يجب أن تصون التعدّد اللغوي لفئات المجتمع العربي؟.

3 - إنجاز مكانز وذخائر وموسوعات علمية ولغوية عربية: تعتمد اللغات على مالها من رصيد معرفي متميز، وذلك من خلال إنجاز رصيد معرفي كبير يعتمد كبنية معرفية قديمة وحديثة من خلال المكانز والذخائر والموسوعات الحاملة للرصيد المعرفي المتميّز لذات اللغة وشخصية الوطن. فهل حقاً استوفينا حقّ لغتنا العظيمة التي لها من التراث والمعاصر ما تنوء به الجبال، وهل عملنا على برمجته وفهرسته لتسهيل العودة إليه والاستئناس بمضمونه. وإن الأمل قائم في هذا المجال من خلال تلك المساعي العلمية والاجتهادات التي تقوم بها فرق عربية لإنجاز الرصيد المعرفي العربي في كل أشكاله<sup>29</sup>. ولكنها قليلة بالمقارنة مع الدول التي

<sup>29</sup>. دوائر المعارف/الموسوعة العربية الميسرة/الموسوعة العربية/موسوعات: اليمن - فلسطين - المغرب/ الذخيرة اللغوية (الإنترنت العربية)/المعاجم الكبيرة. وما خزّنه بعض الخواص في كل من الأردن وأبو ظبي

تتحكم في تقنيات العلم.

4 - مراعاة الظروف الحالية التي هي مخالفة للظروف الماضية: نحن نعيش في عالم لا بقاء فيه للخال، ولا حياة للغة غير منتجة للعلم. ولقد ظهر غول العولمة الذي يأتي على دحر اللغات الضعيفة، والعربية منها. فما أحسن أن ننتمي إلى الأقطاب الكبرى التي تعتمد اللغات الحية والعلمية. وليس فعل كثير من البلدان ببعيد عنا (اتخاذ اللغات العلمية لغات رسمية) فلا قدسية للغة إذا كانت لا تؤكّلي الخبز ولا تسقيني الماء، ولا ترفع هامتي أمام الشعوب.

5 - الهجمة العولمية على اللغات الضعيفة: أصبح لزاماً لمن يرغب في الإفادة التامة من الوسائل الحديثة إجادة اللغة الإنكليزية، باعتبارها لغة العولمة، أضف إلى ذلك أن لغات الشعوب الضعيفة لا ينظر إليها لضعف أبنائها عسكرياً واقتصادياً، "هناك حقيقة أخرى قد تكون مرة، هي أن اللغة قد تصبح عالمية لسبب واحد، هو القوة السياسية لأصحابها وبخاصة القوة العسكرية، والأحداث التاريخية شاهدة على ذلك. ولكن العالمية هي القادرة على رعايتها وتوسيع انتشارها، وبصفة خاصة في عصر التطور الاقتصادي العالمي، وتؤديها التقنية الاتصالية الحديثة، والمؤسسات الاقتصادية والصناعية العالمية"<sup>30</sup>. ومن هذا المنطق نرى العربية ينعدم فيها تكامل شامل لتلك الإمكانيات؛ الأمر الذي يجعل الإمكانية المرشحة لتكون عامل ضعف؛ فمعناها معرض للهدم حتى في مجالات التربية والتعليم والمناهج التي تحقق النقلة النوعية المطلوبة، وانتهاءً بمجالات الإعلام والسياسة ومعايير التقييم العلمي.

6 - ملاحقة المتسجدات المعاصرة بهذا التخلف الكبير: لا شك أن التخلف ظاهر في لغتنا في جميع مستوياتها، وأن كل لغات الشعوب المتحضرة تتقدم باستمرار، والبون يتسع بين التقهقر والتقدم. وهنا تطرح مسألة حسم الوقت في قضايا استدراك ما فات، فهل يمكننا تدارك التأخير، وكيف يمكن تعويض التخلف اللغوي أمام التقنيات التي لا تنتجها العربية. فبكل تأكيد تزداد اللغات الحية تقدماً بتقدم أهلها، وتتخلف اللغة العربية بتخلفنا، فاللغة كحال أهلها،

---

<sup>30</sup>. Crystal, David, English as a Global Language, Cambridge University Press. Cambridge: 1997, p 1-2

إذن كيف نعرب بإبداع غيرنا؟

ولكن هل يعني هذا أنه لا توجد صعوبات في هذا المجال؟ المؤسف أن العربية تعاني الإهمال في أوطانها في المقام الأول، كما تواجه مشكلة المقاومة الداخلية للتطور اللغوي من قبل المحافظين، فبالفعل لا يمكن نكران الصعوبات التي ما تزال عالقة وتحتاج إلى حل راهن، وخاصة ما يتعلق بتعريب المعلومات الوافدة من الثقافات الأجنبية، أو الجهد في وصف الآلات والأجهزة واقتراح الأسماء للمخترعات، لتمكين مستعملي اللغة العربية من متابعة تطور المعلومات الوافدة من الثقافات الأجنبية، أو الجهد في وصف الآلات والأجهزة واقتراح الأسماء للمخترعات، لتمكين مستعملي اللغة العربية من متابعة تطور المعلومات وتقديم التخصصات.

وأمام هذه الصعوبات الموضوعية، بصرت بأنه لابد من حل لهذه اللغة، أنهجرها لأنها سبب تخلفنا، وسبب مشاكلنا الحالية، وتلك خسارة كبرى، وسبة في وجوهنا، أم نهتم بها وهو الحل وفي يدنا، فاخترت الثاني لأنه هو الصواب والأجدى، بل هو الحق الأقوى. فكم يكون مجدياً عندما يقع الاهتمام بها، داخلياً وخارجياً، وكم يكون الأمر سهلاً عندما تجتمع الآراء على الإصلاح، وكم يكون الأمر سهلاً عندما تنصب جهود العرب المادية على التغيير نحو الأحسن، وكم يكون مجدياً الفعل القومي تجاه الهوية اللغوية!

**القرار السياسي والهوية الوطنية:** إن الهوية الوطنية ليست شعاراً ترفع في المناسبات قصد الاحتفاء بها لحفظ العرش وتضييع الأمة والتاريخ، كما أنها ليست حلماً ينظر إليه على أنه صعب التحقيق فيترك للأجيال القادمة. فالهوية وعي الذات والانتماء بعمق وممارسة ذلك في العلاقة مع الآخر، بوعي الماضي والحاضر في إطار البنى الأرضية واللغوية التي أنت تحتل موقعاً يميزك عن الآخرين، ضمن الضمير والمعيار والذوق، وما يعمل على ترسيخ منظومات القيم التي تنتمي إليها. فكل هذه القضايا تحتاج إلى حسم كي لا يقع العبث في الأداء الوطني والقومي، فهي قضية وطنية، وقضية فكرية، وقضية دينية وقضية عرقية، وقضية سياسية،

وقضية اقتصادية، وقضية استعمارية، وقضية وحدوية وتعددية<sup>31</sup>. فحق على السياسي تحقيقها، وبها يحافظ على الحق التاريخي للأمة، وحق عليه استثمار الشعور العربي الإسلامي الذي يشكل الرصيد المعنوي والروحي في إعادة بناء ما أفسده المستعمر، ودعم الاعتزاز والافتخار بمنجزات علمائنا وبأحثنا.

إن اللغة هوية وهي قيمة من تلك القيم التي يتميز بها الفرد، وبها يظهر إنيتة ومقوماته والإمكانات والمعطيات التي تجعل من نهضته ومن أمر امتلاكه للقوة على أرضية العلم والإيمان أمراً ممكناً. ولا يعني التمسك بالهوية هو التمسك بالخطاب الديني العاطفي، أو العيش على تاريخ الأجداد، بل تتطلب الهوية "دخول عصر الحداثة . والعولمة الآن . وتنازلاً جوهرياً في: اللغة والعقيدة والخصوصية القومية . المقومات الرئيسة للهوية . وعن الأهداف والحقوق والثوابت المبدئية والتاريخية الوطنية والقومية، وعن المصالح والقضايا الرئيسة لشعب أو لأمة أو لمجموعة بشرية...<sup>32</sup>". وسوف تظهر هذه التنازلات خطاباً موضوعياً يسعى إلى امتلاك العلم وتحويله إلى نماذج إنتاجية بالقوة، كما تظهر مراجعة شجاعة للمواقف الثقافية ونحن نتطلع إلى التخلص من الهيمنة ونشكو من تشوية المقصود لثقافتنا وقيمنا وعقيدتنا، وتلك هي الخصوصيات العصرية، وبها نكون أولاً نكون؛ لأن الوضع العربي لا يريح، ولا يرضي القاصي والداني، وكل من يهمله أمر الأمة، كما أن الخطاب العربي في مسألة الهوية لفظية مقصورة على الفم. وفي هذا المجال يحضرني قول وزير الثقافة في الجمهورية الثانية بفرنسا الذي غير كثيراً من أنماط السلوك الثقافي، فاستدعاه رئيس الجمهورية وقال له: أردت التغيير الجذري وهذا ليس من اللازم، فقال: **إني أفعل كل ذلك من أجل التمايز ومن أجل أن نكون أو لا نكون.**

<sup>31</sup>. عبد الكريم غلاب، من اللغة إلى الفكر. الدار البيضاء: 1993، ص 16.

<sup>32</sup>. علي عقله عرسان، ثقافتنا والتحدي خطابنا وخطاب العصر. دمشق: 2001، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 24.

**القرار السياسي واللغات الوطنية:** لقد أثبتت العربية على مر العصور، وشهد تاريخ الفتح الإسلامي سرعة انتشارها واندماجها ونجحت على كل الصعد، حتى قيل: من يدعي العلم لا يجهل العربية. ولكننا في العصر الحاضر نراها رهن مناورات سلطوية أو حزبية ترفع في المناسبات دفاعاً عن البقاء في الكرسي. وأحياناً لا نتصدى للمشاكل اللغوية مباشرة بل لبعض جوانبها التعليمية والمصطلحية، دون استراتيجية واضحة للإصلاح اللغوي الشامل، وذلك في إطار خطة قومية أكثر شمولاً. وعند عجزنا نبدأ في التخليط بين العربية والعاميات، أو بين العربية واللغات المحلية، فنغرق في قضايا بسيطة من خلال تناول حل المشاكل اللغوية، وتعلن الحروب على اللهجات أو اللغات المحلية، ويبرهن بعضهم على استبدال العربية باللغات المحلية، وتقدم حلول في واقع الخلط بين اللغة الرسمية واللغة الوطنية، وهذا كله من عوامل التخلف الفكري والعجز عن تلبية مطالب المجتمع اللغوية، وبدب الخلاف وتضيق الجهود سدى، دون الوصول إلى طرح منظومة المجتمع من منظور ثقافي معلوماتي، بتجاوز حدود الخطاب اللغوي الواقف في الماضي.

لا تأخذنا الشوفينية أو التعصب أو القومية من إلغاء الخصوصيات اللغوية لفئة من الفئات باعتبار ذلك خطراً على اللغة العربية ونزوعاً إلى تصاعد النزاعات والخلافات، وذلك ما يجعل فكرة القومية موضع الشك وموطن الوهم الذي تدخل منه التفرقة والخلل. وإن المجتمع العربي مزيج من الأعراق الذين عزهم الله بالإسلام، وأضاف إلى مقومات شخصيتهم معالم حية مؤثرة في الذاكرة والوجدان، يتوظف الرصيد المعرفي والحضاري الذي تمتلكه اللغات السابقة للعربية والتي هي التاريخ والحضارة لتلك الأقوام الذين تمازجوا مع العرب، ودافعوا عن اللغة العربية حباً فيها. ولكن كل هذا لا يمنع من تنمية ثقافات تلك الأقوام، فلا مانع أن تحيا لغات وطنية في الوطن العربي، باعتبارها مظهراً ثقافياً من مظاهر التمايز لبعض القوميات التي يجب ألا تغيب وتطوى كأنها لم تكن، وإنها لتشكل الدعامات الكبرى للوحدة الوطنية. وإن الحق في التنوع الثقافي اليوم قاعدة من قواعد القانون الدولي الذي تزيكه القوانين الأممية ومواثيقها، وجاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الدولي ما يلي:

1. لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما.
2. من حق كل شعب ومن واجبه ان ينمي ثقافته.
3. تشكل جميع الثقافات، بما فيها من تنوع وخصب، وبما بينها من تباين وتأثير متبادل جزءاً من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعاً<sup>33</sup>.

فلا يمكن نكران وجود اللغات البربرية في شمال إفريقيا، واللغة الكردية في العراق واللغة القبطية في مصر، واللغة الآرامية في الشام... ويقع عبء التخطيط اللغوي لهذه اللغات المحلية على كاهل السياسي الذي يجب أن يخرج بقرار يرضي كل الأطراف إذا تأزمت الأمور واشتدت، بل لا يتوقف عمله عند هذا الحد، فعليه أن يتابع كل السبل لحسم القضايا اللغوية بكل قناعة.

وهذه اللغات الوطنية أو المحلية يجب أن تتعايش مع اللغة العربية عن طريق:

- إقامة مؤسسات تعمل على إحيائها.
- تثمين خطابها المعزز للوحدة الوطنية.
- وضع وسائل الإعلام لها.
- كتابتها بالحرف العربي.
- تدريسها على المستويات المحلية إرادياً.
- وضع آليات تقنية لتحديثها وعصرنتها.

#### **مرافعات عن تعميم استعمال اللغة العربية**

إنني لا أفقد الأمل في المستقبل وفي التغيير نحو الأفضل، ولكن ما أحوجنا إلى ساحة الإحساس بالندية أمام الشعوب، وإزالة القنوط والإحباط في مسيرة المجتمع العربي، وإلى جبهة عربية تعمل بوعي ومسؤولية في كل مجالات الحياة، وما أحوج المتقنين إلى فعل مشترك لإزالة العنكبوت الواهي في مجال الدفاع عن لغتهم، وأن لهم أن يلتقوا في دارة فعل مشترك للدفاع عن

---

<sup>33</sup>. أصدره المؤتمر العام للمنظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم في دورته الرابعة عشرة، يوم 4 نوفمبر

هويتهم اللغوية. وما أحوجنا إلى ثقافة تقاوم كل أشكال التصفية والإذابة والمحو والغزو وإلغاء الوجود للذات العربية، ولكن أين نجد هذه الثقافة التي تؤدي دورها في التحرر بالوعي المعرفي من كل أشكال التبعية والاضمحلال؟!

وفي هذا المقام أسعى للمرافعة بحجج علمية عن المعوقات التي تلتصق بعملية عدم فتح ملف تعميم استعمال اللغة العربية إلا بعد تهيئة العوامل التالية:

1. مشكلة المصطلح العلمي
2. الكتاب العلمي المعرب غير متوفر
3. الهيئة التدريسية المعربة قليلة

وسبق أن كنت مقتنعاً بأن هذه العوامل لا بد من تهيئتها قبل المناداة باستصدار القرار السياسي، ولكن في هذا الوقت أنظر إليها من باب (حق أريد به باطل)، فلا مجال للمناورة بعد هذه المدة التي وقعت فيها كل التهيئة. ولا بد من كلام في كل نقطة؛ والتي تحتاج كل واحدة إلى كتاب متخصص.

أولاً: مشكلة المصطلح العلمي: سأطيل الكلام في هذه النقطة، وأقف عند المؤسسات الكثيرة التي وضعت لخدمة اللغة العربية في الوطن العربي، ويوجد في الساحة العربية أكثر من مجمع لغوي وعلمي، وهذه المجامع حصراً هي:

1. المجمع العلمي العربي السوري أنشئ سنة 1919م.
2. مجمع اللغة العربية في القاهرة أنشئ سنة 1932م.
3. المجمع العلمي العراقي أنشئ سنة 1947م.
4. مجمع اللغة العربية الأردني أنشئ سنة 1976م.
5. مجمع اللغة العربية السوداني أنشئ سنة 1993م.
6. مجمع اللغة العربية الليبي أنشئ سنة 1998م.
7. المجمع الجزائري للغة العربية أنشئ سنة 1998م.

8. أكاديمية اللغة العربية المغربية، أنشئت سنة 2002م.

وهناك مؤسسة تنسيق بين هذه المجامع وهي: اتحاد المجامع اللغوية الذي أنشئ سنة 1956م.

**أهداف المجامع العربية:** نصت قوانين إنشاء هذه المجامع على أنها وجدت من أجل:

■ العناية بسلامة اللغة العربية، والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة المعاصرة.

■ العناية بالبحث والتأليف في آداب العربية وعلومها.

■ وضع المصطلحات العلمية.

■ البحث في المخطوطات والعمل على الترجمة من العربية وإليها.

■ إحياء التراث الإسلامي.

■ نشر البحوث، وتشجيع الترجمة في مختلف ميادين المعرفة.

وأما اتحاد المجامع العربية، فمن أهدافه:

■ تنظيم الاتصال بين المجامع العربية وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبنزائها اللغوي والعلمي.

■ العمل على توحيد المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية العربية ونشرها.

وأمام هذا الحشد من المؤسسات، نسألك ماذا قدمت هذه المجامع والمؤسسات للغة العربية؟ لا ننكر أن هذه المجامع والمؤسسات الثقافية قد أسدت للغة العربية جهوداً محمودة بدءاً من النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من اللغات الأوروبية، إلى تأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد. كما يجدر بنا أن نذكر تلك الأعمال العلمية الجبارة في مجال تعريب المصطلحات التي طلبتها مصالح الحكومات والأفراد والمؤسسات الصناعية، إلى جانب المساهمة في وضع الكتب المدرسية. دون أن نغض ما أديتها هذه المؤسسات من أعمال

قوية في الحفاظ على اللغة العربية والعمل على توسيعها، وتعريب المحيط. كما يجب التنويه بأعمال المجيعين، والحق أن كثيراً مما ننعم به في استعمالنا اللغوية كان وراءه مجمعي، وننوه بالمؤسسين لهذه المؤسسات بأنهم أصحاب فضل في مجالات كثيرة؛ حيث اسهموا في خدمة اللغة العربية وتطويعها للتعبير العلمي وإذاعة المحاضرات ونشر الكتب.

ويجدر بي أن أنوه كذلك بجهود كل المجامع، حيث عملت بإخلاص من أجل بقاء اللغة العربية لغة علمية معبرة، وهذا ما يقوم به مجمع اللغة العربية السوري، وتلك الجهود اللغوية التيسيرية<sup>34</sup> التي يقوم بها المجمع الخالد، مجمع اللغة العربية بالقاهرة<sup>35</sup>، وتلك الأعمال العلمية الرصينة في مجال التراث الذي تشغل المجمع العراقي، وما قدمه مجمع اللغة العربية الأردني في مجال المصطلحات وتعريبها<sup>36</sup>، والخطوات الجريئة والعلمية والجسارة في مجال التعريب الذي يقوم به المجمع السوداني<sup>37</sup>.

---

<sup>34</sup>. ينظر على وجه الخصوص تيسيرات لغوية لشوقي ضيف.

<sup>35</sup>. ينظر: مجموعة القرارات العلمية في ثلاثين عاما، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما. إنجاز كتب في الأصول. إنجاز كتب في الألفاظ والأساليب. وينظر: وقفة مع قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عرض وتوجيه ونقد، عبد العظيم فتحي خليل، ط1. القاهرة: 1999، مكتبة الآداب

<sup>36</sup>. ولقد عرب أمهات الكتب العالمية في مجال المصطلحات العلمية حتى السنة الثانية الجامعية ولكن جهوده النيرة لم تستمر.

<sup>37</sup>. من خلال متابعتي الدائمة لأعمال المجامع، يمكن أن أضع المجمع السوداني في الرتبة الأولى الذي يسير بمنهجية عصرية في مجال تعريب المصطلحات العلمية بمنهج علمي صارم. ولقد قدم خطوات عملاقة في هذا المجال

وأما المؤسسات الثقافية فهي كثيرة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:  
**القسم الأول:** وهي مؤسسات تابعة لجامعة الدول العربية، وأقصد هنا تلك المؤسسات الثقافية والقومية التابعة للجامعة العربية<sup>38</sup>، وهي:

- مكتب تنسيق التعريب في الرباط.
  - المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بسوريا (أكاتاب)/المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت (أكمل).
  - معهد الخرطوم الدولي للغة العربية بالسودان/معهد المخطوطات بالصفاء بالكويت/معهد البحوث والدراسات العربية بالعراق.
  - الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار.
  - المكتب الأقليمي لشرق أفريقيا بمقدشو.
  - المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس.
  - الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري.
  - المكتبة القومية بطرابلس.
  - الموسوعة العربية ببغداد.
  - مركز دراسات الحضارة والفنون الإسلامية بقرادة (تونس).
  - المركز العربي للإبداعات والبحوث المسرحية.
  - المعهد القومي للتوثيق والبحث المسرحي.
  - متحف الحضارة العربية.
  - متحف الحضارة بطليطلة.
  - اللجان الوطنية للتعريب.
- وقد تم مؤخراً إلغاء بعض هذه المراكز كالجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار.

---

<sup>38</sup>. محمد عزيز شكري، جامعة الدول العربية ووكالاتها المتخصصة بين النظرية والواقع، ط1، الكويت: 1975، منشورات دار ذات السلاسل.

**القسم الثاني:** وهي مؤسسات حكومية غير تابعة للجامعة العربية، ونذكر منها:

■ **المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)/المجمع الثقافي في "أبو ظبي"/المجمع الثقافي اللبناني/مجمع فلسطين/المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان/ المجمع المصري للثقافة العلمية.**

■ **الأكاديمية الملكية المغربية.**

■ **مؤسسة آل البيت في الأردن/مؤسسة الموسوعة العربية ببغداد/مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.**

■ **هيئة الموسوعة العربية في دمشق**

■ **المركز الثقافي الدولي بالحمامات بتونس**

■ **الاتحادات العلمية العربية مثل: مثل اتحاد أطباء العرب والاتحاد العلمي المصري والاتحاد العلمي العراقي.**

■ **معهد اللسانيات في الجزائر والذي تحول إلى مركز ترقية اللغة العربية ببوزريعة بالجزائر/معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط**

■ **المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر/المجلس الأعلى للثقافة والفنون بالقاهرة.**

وهكذا تعمل هذه المؤسسات بنّودة على التنمية الثقافية في ظل استراتيجية للثقافة العربية بغية حصول أمن ثقافي عربي باللغة العربية، وهذا ما خططته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم<sup>39</sup>، وأملنا كبير في هذه المؤسسة التي تحوي مؤسسات<sup>40</sup> علمية جديرة بالتنويه بأعمالها. ويمكن القول إن هذه المؤسسات لها باع طويل في خدمة اللغة العربية، عن طريق:

• إنجاز المحاضرات وتصحيح الأخطاء الشائعة عن طريق الصحافة والإذاعة: أبجد هوز/قل

<sup>39</sup>. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية، ط2. تونس: 1990.

<sup>40</sup>. معهد البحوث والدراسات العربية/الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار/مكتب تنسيق التعريب/معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/المركز العربي للتقنيات التربوية/معهد المخطوطات/مركز قيادات وملاكات محو الأمية وتعليم الكبار بطرابلس/مركز قيادات وملاكات محو الأمية وتعليم الكبار بالبحرين/المكتب الإقليمي للمنظمة بشرق إفريقيا/مكتب الوفد الدائم للمنظمة لدى اليونسكو.

- ولا تقل/لغتنا الجميلة/لغة الضاد/اللغة والمجتمع.
- إدامة النظر في مؤلفات الأسلاف تحقيقاً ودراسة.
- الاستئناس الدائم بالمعجمات التي حفظت عبقرية هذه اللغة، وإنجاز الرصيد اللغوي.
- نقل العلم إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة، والتي كانت عماد التفتح.
- وضع المصطلح العلمي العربي، إلى درجة التخمّة المصطلحية.
- العمل على خطط التعريب العلمي في مراحل التعليم، وجعل العربية لغة التعليم والإدارة.
- العمل على تحسين مخالقات لغة الإعلام، عن طريق الاتصال.

وهناك شركات تعمل في هذا الاتجاه يجب أن نثمن جهودها، وهي تعمل بهدوء صائب؛ مثل شركة باسم السعودية للبرمجة، وشركة صخر للمعلومات، وشركة العالمية للإعلام الآلي، والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) ولجنة توحيد المصطلحات العسكرية السورية، والأمل قائم في الأسكو التي تعد خططا شاملة للثقافة العربية باعتبار الثقافة قوام شخصية حقيقية لوحدها الشاملة، لكن هذا لا يكفي، فهناك كثير من الجهود متبعة لا مبتدعة.

**وهنا أسأل أين دور المجامع والمؤسسات في كل هذه الأوضاع، وأين هذه المؤسسات وهي تشاهد تراجعاً من وضعنا الحضاري، وأين مؤسسات التنسيق وهي لا تقوم بفعل التنسيق، ولماذا تصرف الأموال إذا كان المقابل رديئاً. ومع كل هذا فإن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فهناك منحى صاعد يبشر بالخير، ويتجاوز الصغائر لتحقيق النمو اللغوي المطلوب، لكن النبتة لا تشجر ولا تزهر، إلا إذا تعهدت بالسقي والعناية، واللغة عنصر تكلفة، فلا بد للدولة أن تتفق عليها، وإلا سيعفو عليها الزمان.**

وأمام هذا الوضع والنقائص المسجلة على الوضع اللغوي الذي آلت إليه اللغة العربية، هل تكفي هذه الأعداد الكبيرة من المجامع والمؤسسات، وهي يمكن إقامة مؤسسات عديدة في بلد واحد؟ وأنه لا تكفي هذه المؤسسات لعدة اعتبارات:

1. عراقة اللغة العربية والحضارة العلمية والتراث الذي تمتلكه.

2. شساعة مساحة الوطن العربي والامتداد الواسع بين قارتين.
3. توظيف خطها في أكثر من 37 لغة عالمية معاصرة، إضافة إلى كتابة أكثر لهجات المسلمين في آسيا وإفريقيا.
4. اللغة العربية لغة رسمية في البلاد العربية، ولغة دين للمسلمين، تحتاج إلى تعلم وتوسع.
5. ملاحقة آليات العصر تحتاج إلى تجنيد قومي.

وأما هل يمكن إقامة أكثر من مؤسسة في بلد واحد. فأرى أنه يمكن للاعتبارات المذكورة، إلى جانب أننا نرى بلدانا لها أكثر من مؤسسة في إطار الترقية اللغوية..، وأحيانا نجد مؤسسة تهتم بلغة رسمية، ومؤسسة أخرى بلغة محلية، على غرار ما هو موجود في العراق، ففيها المجمع العلمي الكردي، ومجمع اللغة السريانية، وما هو موجود في الاتحاد السوفيتي سابقاً، وما هو معمول به في كل من الهند وباكستان.

وهل نجد هذه الكثرة من المؤسسات العلمية والثقافية في البلدان الأجنبية؟ أجزم قائلاً: إن كل الدول تضع جيشاً لخدمة لغتها، باعتبار اللغة سمة الوجود، ويوصفها عنصر استقطاب.

واللغة أيا كانت تحيا بالتهيئة والتخطيط المستمرين اللذين يأتیان من المختصين، وتقوم أجهزة متابعة كل تخطيط. وفي هذا المضمار يمكن الاحتجاج ببعض الدول التي تجند مؤسسات كبيرة مقابل خدمة لغتها، فنجد بريطانيا - على سبيل المثال - تضع كل إمكاناتها الثقيلة في خدمة الإنجليزية، وخاصة الإمكانات التقانية (التكنولوجية) الجبارة، ويكفي أن نعلم أن ما تقدمه من خلال وسائل الإعلام عن طريق الفيديو والديسك والإنترنت شيء لا يقدر، وكله من أجل جعل الإنجليزية لغة عالمية واقتصادية. وهناك أكثر من 150 مؤسسة تخطط لغوي منوط بها تطوير اللغة الانجليزية<sup>41</sup> من تمويل أمريكا. بالإضافة إلى المراكز الثقافية خارج بريطانيا وأمريكا، وما تقوم به من نشر اللغة الإنجليزية، دون أن ننسى أن البانتغون الأمريكي قد خصص قسماً خاصاً

---

<sup>41</sup>. فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض. مجلة عالم المعرفة. الكويت: 2000 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 140.

لنشر الإنجليزية. ولانغادر بريطانيا دون أن نشير إلى إيرلندا البلد الفقير والصغير، الذي يدفع نسبة هامة من أجل التخطيط اللغوي، والهدف هو الحفاظ على اللغة الإيرلندية، على الرغم من محدودية متكلميها. ولقد أقام الإيرلنديون حملة كبيرة سنة 1978 دامت شهراً وجندت فيها وسائل الإعلام تحت شعار: **لغتنا جزء من حياتنا**.

وأما الألمان فيجندون منحاً ودعمًا مادياً للغتهم، وهناك أقسام تسمى **(قسم الترويج اللغوي)** وتتفق عليه الحكومة بسخاء. وأعطيت إشارة خضراء لسفاراتها والملحقات الثقافية في الخارج لتقديم كل الدعم لمتعلم اللغة الألمانية.

والحاصل من كل هذا؛ أن مؤسسات كثيرة وجدت، وأدت ما عليها بشكل أو بآخر، ولولاها لما كانت هذه العربية التي نتلاغى بها الآن، ومع ذلك نسجل عليها بعض النقائص:

- نقص الإبداع في مطبوعاتها.
- قلة المردود العلمي.
- عدم وجود استراتيجية للترجمة، وشحا في التعجيم.
- سوء التنسيق.

**ثانياً: الكتاب العلمي المعرب غير متوفر:** يكفي أن أشير إلى أعمال ومنجزات مؤسستين هامتين قدمتا للغة العربية العلمية أعظم الإنجازات العلمية الراقية دولياً:

1. **مكتب تنسيق التعريب بالرباط:** إن ذكرنا لأعمال هذا المركز يأتي رداً على مشكلة المصطلح العلمي المعرب. وإنه ليكفي أن نعرض على مهامه<sup>42</sup>، لنرى أن هذه المؤسسة التنسيقية أقرت

---

<sup>42</sup>. من مهام المكتب:

- يتتبع بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والأدباء والمترجمين.
- يعمل على تنسيق هذه البحوث وتصنيفها ومقارنتها لاستخراج ما يتصل بأغراض المؤتمر.
- يعد خلاصة هذه الأبحاث لعرضها على المؤتمرات المختصة.
- يكون صلة وصل بين ما يجب أن ينشأ في كل بلد عربي من شعب وطنية للتعريب.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرين . كانون الأول / ديسمبر 2002

كماً من المصطلحات العلمية الموحدة من خلال مؤتمرات التعريب العشر، وسنخصص كل مؤتمر بإصدارته المعجمية كما يلي:

مؤتمر التعريب الأول: قاموس المعاني.

مؤتمر التعريب الثاني: معجم الحيوان / الطبيعة (الفيزياء) / الكيمياء / النبات / الرياضيات / الجيولوجيا.

مؤتمر التعريب الثالث: الجغرافيا والفلك (المجموعة الأولى) / التاريخ / الفلسفة والمنطق وعلم النفس / الصحة وجسم الإنسان / الرياضيات / الفلك (المجموعة الثانية) / الرياضيات البحتة والتطبيقية (المجموعة الأولى) الإحصاء.

مؤتمر التعريب الرابع: الكهرباء/هندسة البناء/المحاسبة/التجارة/النجارة/النفط (البترول)

- 
- يعمل على جمع المؤلفات العامة والمدرسية والمجلات الأدبية والعلمية التي تصدر في مختلف الأقطار العربية وغيرها.
  - ينسق المكتب الدائم جميع وجوه نشاط حركة الترجمة، على أن يصدر كل عام سجلاً ثقافياً يشمل نشاط البلاد العربية في ميدان التعريب.
  - يتخذ الإجراءات اللازمة لتحديد زمان ومكان الاجتماعات الدورية لمؤتمر التعريب على أساس اختيار مدينة في قطر عربي بمناسبة كل دورة.
  - في نطاق تبسيط اللغة العربية يصدر المكتب نشرة دورية تشمل ملحوظات الهيئات الفنية المختصة على الأغلاط اللغوية الشائعة مع إذاعة ذلك في أوسع نطاق ممكن.
  - يسعى المكتب الدائم في تنفيذ المشروع الذي يقضي بأن تشترك البلدان العربية جميعها في مشروع موحد من شأنه إنتاج ما يلزم للتعليم بالوسائل السمعية والبصرية من لوحات وخرائط ورسوم بيانية وأشرطة متحركة ومسجلات صوتية وبرامج للإذاعة والتلفزة، ويقوم كل بلد عربي بتقديم الاعتماد المالي الذي يلزمه للمساهمة في نفقات تنفيذ هذا المشروع.
  - يتابع المكتب الدائم توصيات مؤتمر التعريب الأول، وما يستجد من توصيات في المؤتمرات المقبلة، ويعمل ما في وسعه على أن تنفذ في البلاد العربية.
  - ولمزيد من التوضيح، ينظر: أحمد شحلان "جهود مكتب تنسيق التعريب في قضايا اللغة العربية والتعريب خلال ثلاثين عاماً" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1997، العدد 44.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرين . كانون الأول / ديسمبر 2002

الجيولوجيا/ الطباعة/ الحاسبات الإلكترونية.

**مؤتمر التعريب الخامس:** الفيزياء النووية/ التربية/ الاجتماع والانثربولوجيا/ الفيزياء العامة /الكيمياء العامة/ علم اللغة واللسانيات/ الألعاب الرياضية (الجزء الأول) المعجم العربي الزراعي/ المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية/ القاموس العام لمصطلحات السكك الحديدية.

**مؤتمر التعريب السادس:** الاقتصاد/ الجغرافيا/ الموسيقى/ الآثار/ القانون.

**مؤتمر التعريب السابع:** السياحة/ الطاقات المتجددة/ البيئة.

**مؤتمر التعريب الثامن والتاسع:** التقنيات التربوية/ الفنون التشكيلية/ الإعلام/ الاستشعار عن بعد/ الأرصاد الجوية/ علوم البحار/ علوم المياه/ المعلوماتية/ الهندسة الميكانيكية.

**مؤتمر التعريب العاشر:** معجم مصطلحات تقنيات الأغذية/ الموروثات (الجينات)/ الطب البيطري/ الحرب الإلكترونية/ الصيدلة.

أبعد كل هذا الانتاج الوفير من المصطلحات، وهذا الكم ما تزال الحجة قائمة؟ لا شك أن هذا غير كاف، باعتبار المصطلح يتمشى والتطورات الحالية، ولكن لا يعني أن العربية تنتظر استكمال وضع المصطلحات لتبدأ التعريب، وهذه مغالطة كبيرة للعوامل الآتية:

- المصطلح مشكلة تعاني منه كل اللغات، فلماذا نعهده مشكلة على اللغة العربية فقط؟
- المصطلح لا ينتهي وليس محدداً بسقف ما، فهو دائم الولادة، مع المنتجات المتلاحقة.
- المصطلح ابن بيئته، فمن الطبيعي أن تطرح علينا اللغات المنتجة للعلم مصطلحاتها كون لغتنا غير منتجة للعلم.

• المصطلح وضع واستعمال، فنحن نضع المصطلحات، لكننا لا نستعملها.

• المصطلح رعاية وتجديد، فأنى للمصطلح المعرب أن ينمو ويتطور ويعبر عما وضع له؟

ولكن أمام هذا الكم المتميز والنوعي، لاننسى أن هذه المصطلحات تعاني عدم وصولها إلى المستعمل، فهي حبيسة أدراج المكتب، فلا تتجاوز حدود المملكة المغربية، وإن تجاوزتها عن

طريق الصلات الفردية، فلا تجد منبرا لاستعمالها، والأهم من كل هذا أن نستعملها في الكتب المدرسية التي تعمل على توحيد مصطلحات أطفالنا. ولذا نشكو دائماً قلة المصطلح العلمي، في الوقت الذي تعاني العربية **تخمة المصطلح**، لو يحصل انتشارها ويحصل العمل بها ما دامت موحدة ووقع عليها الإجماع العربي من خلال ملتقيات التعريب العربية.

2. **المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق:** هذه المؤسسة المتخصصة التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تقوم بتأدية المهام الآتية<sup>43</sup>:
- المساعدة على تعريب التعليم العالي والجامعي بفروعه وميادينه كافة في الوطن العربي بما في ذلك تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث والمستخلصات، ترجمة وتأليفا ونشراً وتوزيعاً، والتعاون مع الجهات المعنية الأخرى العربية والدولية.
  - متابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة العلمية والأدبية والفنية في العالم والتعريف به واختيار الجيد الملائم منه لتعريبه.
  - تنسيق مجهودات الترجمة والتأليف التي تتم في الوطن العربي وتنشيط تبادل الخبرات والمطبوعات بين المؤسسات العربية العاملة في هذا الميدان.
  - إجراء المسوح والبحوث والدراسات التربوية حول قضايا التعليم العالي والتنسيق بين مؤسساته بهدف تحسين كفايته الداخلية والخارجية، وإحكام الربط بينه وبين التنمية في الوطن العربي.
  - إغناء الثقافة العربية بتعريب الرفيع من روائع الفكر العالمي في العلوم والآداب والفنون، ونقل ما لم ينقل إلى العربية.
  - إقامة أشكال متنوعة من التعاون مع الجامعات العربية ووزارات التعليم العالي والبحث العلمي، وسائر الجهات المعنية الأخرى في البلاد العربية لتعريب العلوم فيها.
  - تنظيم مؤتمرات وندوات عربية ودولية مشتركة وحلقات بحث وورش عمل والمشاركة فيها لمعالجة الأمور المتعلقة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بما يخدم التكامل العربي

<sup>43</sup>. عن دليل المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق (أكاتاب) الصادر سنة 2001م.

علمياً وثقافياً واقتصادياً وتنموياً.

- العمل على الاستفادة من بحوث العلماء والطلاب العرب داخل الوطن العربي وخارجه، والإسهام في ترجمة ملخصات ومستخلصات من أطروحاتهم ودراساتهم حسب أهميتها التطبيقية لمشاريع الإنماء العربي المتكامل.
- إنشاء مصرف للمعلومات في مجال أهداف المركز وغاياته وأعماله.
- إصدار دورية علمية تعالج الموضوعات التي يختص بها المركز، وتعرف بنشاطاته ومشروعاته.

وأما الإصدارات العلمية لهذا المركز، فيمكننا ذكر عناوين إصدارته إلى غاية 2001/6/30 وهي موزعة إلى فئتين: فئة كتب الهندسة والعلوم التطبيقية، وفئة الكتب التربوية. وسأقتصر في ذكر الفئة الأولى التي عمل المركز على استجلاب أكفأ الكتب عالمياً في التخصصات العلمية، والتي نالت شهرة دولية، وتدرس في الجامعات الكبرى وأسند ترجمتها إلى كفاءات علمية مشهود لها بالمكانة العلمية الرفيعة في ميدان الترجمة العلمية من مختلف لغات العالم:

هندسة الفيزياء النووية/هندسة المفاعلات النووية ج1 - ج2/الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث/دليل التنمية المائية في الوطن العربي/الاتصالات بالألياف البصرية/معالجة الصور الرقمية/الجيوفيزياء التطبيقية/الأسس الفيزيائية لليزرات التقانية/الأسس الهندسية لإنشاء الليزررات التقانية / طرائق المعالجة السطحية بالليزر / معالجة المواد غير المعدنية بالليزر / نظم التطوير الطبي / المدخل إلى ميكانيك الكم / الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم / أنظمة الاتصالات الإلكترونية المتقدمة / كهربية الريف / الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات / طب الأمراض المعدية والتغذية/المعالجات الراهنة في الممارسة السنية/الآلات الكهربائية والميكروية / التجاوب المغنطيسي النووي / حفظ اللحوم بالتبريد والتجفيد / المعادلات التفاضلية: الكتاب الأول + الكتاب الثاني / الكيمياء التحليلية / الكيمياء الفيزيائية / الكيمياء الحيوية المصورة / علم البيولوجيا: ج1 - ج2 / الفيزياء المتقدمة / بحوث العمليات / كيمياء تحليل

الأغذية / الكيمياء الزراعية والبيئية / معالجات الاضطرابات الفكية والإطباق / الكيمياء العامة  
في سؤال وجواب / الطاقة وسلامة البيئة / التطبيقات العملية في معالجة اللثة / المدخل إلى  
الإحصاء الطبي / حقن البنزين وتقانة الحفازات.

**ثالثاً: الهيئة التدريسية المعربة:** تخونني الإحصائيات الدقيقة في هذا المجال، ولكن يمكن  
الإشارة إلى تلك الهيئة التدريسية التي تلقي دروسها الآن باللغة العربية في كل من: كليات  
الجمهورية العربية السورية/كليات الجماهيرية العربية الليبية / كليات جمهورية اليمن / كليات  
الجمهورية السودانية/بعض الكليات في جمهورية مصر / بعض الكليات في جمهورية العراق /  
بعض الكليات في الجمهورية الجزائرية / بعض الكليات في المملكة الأردنية الهاشمية. دون أن  
نستثني تلك الاجتهادات الفردية التي يقوم بها بعض الأساتذة في كثير من الدول العربية  
بالتدريس باللغة العربية. وهناك فئة كبيرة من الأساتذة سبق أن درسوا بالعربية، فلما انتكس  
التعريب في بلدانهم أصبحوا يدرسون بالإنجليزية أو بالفرنسية.

وعلى العموم، فإنه لا يجب أن تأخذنا الشوفينية في هذا المجال، ولكن يمكن الإشارة إلى أن  
الحاجة أم الاختراع، فإن كانت العزيمة قوية، فستقل الحديد، وتستهل الصعب، والمهم في كل  
هذا أن يحصل القرار السياسي للتعريب، وستظهر الكفاءات.

**وأخيراً: لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام وفشل في معظم الدول العربية!.** إن هذه  
العبرة تحمل أسى وتعجباً، ولم تطرح سؤالاً؛ لأن السؤال يحتاج إلى جواب، وقد لا يكون الجواب  
مقنعاً أمام التخفي الذي يمكن ان يحتاج به كل من له سلطة القرار السياسي.

ولا أملك إلا أن أقول: إنه بعد سرد هذه الحثيات العلمية، وبعدما أهرقت أوراق، وسودت  
صفحات، وسال مداد غزير، وقيل كلام كثير في التعريب، وانقسم الباحثون بشأنه إلى مناصر  
ومراوغ وضد، فأن لنا أن نحزم رأينا ونشده ونقول:

يتحمل العرب جميعهم وزر التعاون في لغتهم، باعتبارها قضية وقع التسامح أو التهاون في  
شأنها، فغالب الارتباط المادي بها والذي يؤدي إلى التعلق العاطفي لمواجهة التحديات المعاصرة،

من مثل وضع استراتيجيات هادفة تعمل على النهضة القومية التي عرفها العالم العربي، وعرفت العربية خلالها صحوة معتبرة، بدءاً من النهضة الإسلامية في عهد المأمون، وتأسيس بيت الحكمة، إلى المد القومي أيام محمد علي باشا، وأيام الثورات العربية المتلاحقة التي تتادي بنصرة اللغة العربية في أوطانها، وإلى المد العروبي أيام جمال عبد الناصر وبومدين. وكانت تلك أحلام المواطن العربي التي لم تستطع أن تتجسد في الساحات العربية.

وهناك شيء في نفسي أريد التركيز عليه، وهو أن اللغة انعكاس لحال الأمة، تكبو بكوبتها، وتنهض بنهضتها، فهي ترتبط بحركات التقدم الحضاري والزخم الجمعي. ومن خلال هذا علينا أن نعبئ أنفسنا ونواجه التحديات المعاصرة التي تقتضي منا إعادة بناء الذات العربية، وتحديد سماتها، وتوطيد دعائم علاقاتها بالشعوب الإسلامية وفتحها الإنساني.

ويقتضي العمل المستقبلي تأسيس جمعيات وحركات نوعية في مختلف المجالات، وتنظيم هجرات إلى الغرب قصد توعية الجاليات العربية وتنوير أفهامهم، وتقديم النصح لهم، لأن العربية ليست ملكاً لأحد "فليست العربية من أحكم بأب ولا أم، العربية لسان فمن تكلم العربية فهو عربي". وأرى في المقام الأول أنه من يؤمن بقضية يبدع في إيجاد سبل خدمتها ونصرتها، ومعناه ما أحوجنا إلى تبصير أنفسنا وأبنائنا بالعيوب التي تجعلنا ننهزم في مواجهاتنا كي نتجنبها، وليس أضر في ما نأخذه من مناهج وقيم تربية من أن نعرف ونؤكد أننا عرب مسلمون، فما أحوجنا إلى تكوين المربين القادرين على قراءة حاضرنا وماضينا بعيون العصر فيها الثقة والافتدار. ويبقى أن أرفع هذه التوصيات التي أراها وسيلة هامة أمام تيسير عملية تعميم استعمال اللغة العربية في الوطن العربي، أو هي بمنزلة الأسس التي تعمل على إزالة الصعوبات أمام تعميم استعمال اللغة العربية في الوطن العربي:

**أولاً: إيمان العرب بمبدأ التعريب:** هو ركن ركين تقوم عليه البداية من أجل دعم الهوية اللغوية في بعدها التعريبي الذي يعني الاستعمال الجماعي للغة. ويقتضي منا هذا أن نتخذ

**القولمة<sup>44</sup>** بمعناها الفعلي في تضافر كل الجهود لتجسيد هذا الإيمان. وينعكس الإيمان الذي يتربى عليه الطفل في المنظومة التربوية والفكرية، ومن هنا علينا أن نرمي بنقلنا في المدرسة لأنها هي أساس التغيير، فالمدرسة ليست جدراناً وشعارات، بل هي المنهج والمادة العلمية ومستوى الأداء العملي، فهل ننهض بأعباء مواجهة استحقاقاتها. وهذا هو الجزء الأساس من استراتيجية عربية كان يجب أن تأخذها القمم العربية بالحسبان لبناء إنسان عربي مشبع بقيمه ومثله، ويدافع عنها باستماتة دون حش أو حث. فما كان يجب أن تطرح قضية اللغة الوطنية للمناقشة، أو تكون مجالاً للمزايدة مع أو ضد. وهذا لم يلاحظ على مستوى كل الدول التي تحترم شخصيتها ورموزها الوطنية، اللهم في الدول المتخلفة التي بقيت في بقع من أنا؟ وما هي أصولي؟ وإن النية في سوء استغلال الوضع غير الطبيعي للغة العربية فتطرح قضية عدم الإيمان بالعربية أو بمبدأ التعريب الذي هو الجزء الحساس في الهوية، بل يفتح المجال لمزاحمة اللهجات كلغات بديلة عن العربية.

**ثانياً: بناء جسور التواصل بين السياسي والثقافي:** ويحصل ذلك عن طريق مراجعة صريحة للمواقف والاعتقادات على أرضية من الفهم والانتماء والنظرة المستقبلية الواعية لكليهما. وعلى المثقف تحضير الأرضية العلمية التي على ضوئها يأخذ السياسي قراره أو ليتمكن من التعامل بموضوعية مع ما يقدمه المثقف. وبناء على ذلك يرتبان بيتهما في جو يقوم على الثقة التي تؤدي إلى رؤية سليمة أقرب إلى الثوابت، وحين تقوم هذه الثقة تلتقي رؤيتهما على تطلعات وطموحات وأحلام تجعل رؤيتهما تميل إلى الكمال. وتتفني كل مستلزمات القرار المتخذ في ظلال الضغط والتشبيث بالموقع أو بالرأي أو بالمصلحة الذاتية.

---

<sup>44</sup>. القولمة مصطلح قسّمه على العولمة، والمراد منه: جعل اللغة العربية قضية قومية وعالمية. أي الإيمان بها واستعمالها في كل مجالات الحياة العربية وعالمياً: هو العمل على مواكبتها مقتضيات العصر.

ولكن لا يعني أن السياسي رهين المثقف، فلكل منهما مجاله الخاص، وما يلزم المثقف ليس بالضرورة يلزم السياسي. ومن خلال هذا اقترح تنظيم ندوة عربية يحضرها المختصون وأهل القرار السياسي لتدارس مختلف الصعوبات التي تنجم عن القرار السياسي للتعريب وفي ذلك اللقاء يكون الحسم النهائي، دون أن يرمي الكلام إلى الشارع، ونتخاضم بكلاميات مكروهات.

**ثالثاً: تجديد الخطاب العربي في مجال اللغة العربية:** نحن بحاجة إلى خطاب عربي جديد في قضية اللغة العربية؛ خطاب تكون مفاتيحه أصلية وأصيلة وعصرية، وموضوعية وعلمية واعية في أهدافه ووسائله، متمكنة من أدواته، قادرة على الوصول والإقناع. خطاب مقرب لانفر، خطاب تهدئة وتعايش. وأن يكون مالكا للمعلومات الدقيقة، وقادراً على توظيفها بما يخدم الأهداف الاستراتيجية للأمة العربية، ويقابله العمل الدائم والعلمي المركز على أسلوب الإقناع والحجة. وكذلك يحتاج الخطاب العربي السياسي إلى مراجعة ليكون أكثر فاعلية وأقل عاطفية وأبعد عن الشعارية.

**رابعاً: ضرورة تعميم استعمال اللغة العربية:** وهذا في كل المجالات لأنها الإسمنت الوحيد للوحدة الوطنية والعربية. والتعريب ركن من أركان استكمال التحرر من السيطرة الاستعمارية، فمن الضروري بمكان أن تبنى الثقافة العربية على ثقافة وطنية واحدة أساسها لغة وطنية واحدة؛ لأن التمزق اللغوي يؤثر في الفكر وفي القرار. ولا يعني انتقاء الخصائص اللغوية الضيقة ما لم تؤثر في السلوك الوجداني العام.

**خامساً: القرار السياسي العربي للتعريب:** ليست اللغة أداة تفكير فحسب، بل أداة تواصل وذاكرة حية، وسيلة تمايز، وحاملة معارف. فلا يمكن لأية لغة أن تصمد وتحافظ على مشروعها وحيويتها ومقوماتها وهويتها وتمايزها وحضورها، إلا بقوة أهلها. ومن هنا ينبغي أن نعلم أولاً بأن اللغة لا تكون لها قيمتها إلا بنوعية متلاغيا وقوتهم الثقافية والسياسية، هذا في المقام الأول. وأما ما يلحق هذا؛ فهو القرار الجماعي للتعريب (القومي) الذي يلزم كل الدول العربية مع تكييف حسب معطيات كل بلد، فلا يمكن أن ينجح القرار السياسي الانفرادي للتعريب لبلد من البلدان في

غياب الوحدة العربية التي ننادي بها شكلاً وننبذها مضموناً. فإن كنا مؤمنين بهذا فمن السهولة على قمة عربية أن تقر هذا بجرة قلم وتترك مجال حرية التكيف المحدد بتاريخ حسب معطيات كل بلد. أو ما المانع أن نحذو حذو بلد ناجح في هذا المضمار، وهو بلد سورية العرب التي أعطت أروع الأمثلة في خدمة العربية بكل صمت.

**سادساً: اعتماد لغة عربية علمية<sup>45</sup>:** ولا يحصل هذا بشكل مقبول، إلا بعد تدريس العلوم باللغة العربية، وتعميم الثقافة العلمية بها. وإنه التحدي العصري الذي يتوقف النجاح فيه على إحداث نقلة نوعية في الأداء العلمي والتقني والثقافي والبشري، وفي مساهمة ذلك الأداء في التقدم الاجتماعي والمعرفي، وتقديم النموذج العلمي في سلوكه وممارساته ليعطي لخطابه مصداقية واقعية محسوسة وملموسة، ولا يكون الخطاب برجعاجيا برفع الشعارات وبالخطب الإنشائية المنمقة. فهل نحن قادرون على التغيير بجدية مطلقة لا تراخي بعدها؟ وهل يمكننا إقناع الأطراف الفاعلة ضدنا للانضمام إلينا؟

**سابعاً: تحديد مهام المؤسسات:** كنت أقول في أكثر من موقع: إن العربية ليس لها رب يحميها، وموسسة تدافع عنها، وأقصد من وراء هذا لا بد من تحديد المؤسسة التي تدافع لغوياً واصطلاحياً ونقدياً، فتكون هذه المؤسسات مرجعاً يعود إليها الباحث، فكما للفرنسية باريس تحميها، ولندن للإنجليزية، وسايغون للفييتامية، ينتظر من أولي الأمر تحديد المؤسسة العلمية التي تدافع عن العربية وتشرع لها، علماً أن يوجد في الوطن العربي أكثر من سنتين مؤسسة تعمل في ترقية اللغة العربية، ونلاحظ تداخلاً في صلاحيات هذه المؤسسات لغياب تحديد مهامها التي وضعت من أجلها، وأحياناً تتداخل فيما بينها، فبقيت تعيش في القول المكرور فغاب الإبداع. ولهذا يحتاج الأمر إلى تحديد المهام المنوطة بكل مؤسسة أو توزيع المهام عليها.

---

<sup>45</sup>. لمزيد من المعلومات حول تعريف اللغة العربية العلمية، يمكن الرجوع إلى كتابي: اللغة العربية العلمية. الجزائر: 2002، دار هومة.

ثامناً: اعتماد سلاح الإعلام: لاشك أن الإعلام، خاصة الثقيل منه، سلاح رابع يجب أن يعتمد في الحسم في القضايا المصيرية لما له من تأثير، فيساهم في تقديم فرص كبيرة لنشر مادة ثقافية ومعرفة هائلة، وهو قادر على تحريك العقول وإلقاء أكثر من هزة في العقول العربية الراكدة.

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرين . كانون الأول / ديسمبر 2002**

## حول الأطروحة اللغوية في ظل العولمة

إعداد: د. عبد الله حمد

أستاذ علم اللغة المشارك

جامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين

### 1. العولمة

شهد العالم مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي وما زال يشهد تحولات مهمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في العالم تتمثل في انهيار الاتحاد السوفياتي وتفرد أمريكا بقيادة العالم والهيمنة عليه، وتأسيس التكتلات الاقتصادية، وعقد الاتفاقات الدولية، واندماج الشركات التجارية العملاقة، وتفجر ثورة المعلومات، وبناء الشبكات المعلوماتية الدولية، وولادة الاتحاد الأوروبي. هذه المرحلة التي ولجتها البشرية باتت تعرف بـ "العولمة". في كتابه بعنوان "حديث النهايات" يعبر علي حرب (2000: 52) عن الحاجة إلى رؤية وفلسفة جديدة لفهم الواقع الجديد قائلاً: "لم تعد تفي بقراءة العالم وتدبر مشكلاته عقلانية ديكارت أو ليبرالية فولتير أو تنويرية كانط أو تقدمية ماركس أو استراتيجيات كلاوزفيلتز أو اقتصاديات كينز أو ديمقراطية تشيرشل وديغول، الأمر يحتاج إلى شبكة جديدة من المفاهيم أو إلى أنظمة مختلفة من المعايير"

في قلب العولمة تقبع الثقافة وفي قلب الثقافة تقبع اللغة. انه لا عولمة دون ثقافة ولا ثقافة دون لغة. إن الدور المركزي للغة في مناحي الحياة أمر لا نقاش فيه. إن العولمة التي هي في الواقع مرحلة من مراحل النظام الرأسمالي، تتخذ من اللغة وسيلة لانتشارها ووصولها إلى المجتمعات البشرية المختلفة. تهدف الدراسة التي بين أيدينا إلى محاولة استكشاف الأطروحة

اللغوية في ظل العولمة. هي محاولة محدودة لفهم الصورة اللغوية الراهنة وتحسبها في ظل هذه المرحلة التاريخية الجديدة. تعتبر الدراسة محاولة رصد لدور اللغة الإنجليزية في عملية العولمة ومن ثم النظر في واقع اللغة العربية على ضوء طروحات منطري العولمة ودعاتها. قبل الخوض في تعريف العولمة وآثارها المتوقعة لا بد من الإشارة إلى أن كلمة "العولمة" ظهرت لأول مرة في قاموس أوكسفورد للكلمات الجديدة في عام 1991 ثم غدت هذه الكلمة من أكثرها شيوعاً بفضل المفهوم الجديد الذي حملته. ومن اللافت للنظر أن الكلمة الإنجليزية Globalization وليست Globalism هي المستعملة للدلالة على مفهوم العولمة. أليس من الأولى استخدام الكلمة الثانية للتدليل على هذه الفكرة درجاً على ما ألفناه في حق النقريات والايديولوجيات مثل الشيوعية Communism والقومية Nationalism والرأسمالية Capitalism والوجودية Existentialism؟ فإذا كان المقصود هو التدليل على العولمة من منطلق أنها عملية Process قائمة ومستمرة فإن مصطلح Globalization هو الأنسب في هذه الحالة. أما إذا كان المقصود هو الإشارة إلى العولمة على أنها فكر أو أيديولوجية فإن مصطلح Globalism هو الأفضل انطلاقاً من الأمثلة المذكورة أعلاه.

لا يوجد تعريف واحد للعولمة، بل إن هناك تعريفات كثيرة وذلك تبعاً للنظرة التي يحملها المفكر عند تعريفه للعولمة. فهناك التعريف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للعولمة، وهذه التعاريف تعكس في الواقع جوانب العولمة وألوانها. أي أن هناك عولمة سياسية وعولمة اقتصادية وعولمة اجتماعية وعولمة ثقافية وهكذا. إن العولمة بنظر طرابيشي (1997) هي "صيرورة العالم واحداً" وتحويل العالم إلى قرية كونية صغيرة. العولمة كما يعرفها صادق العظم (1998) من منظور اقتصادي هي عملية رسملة للعالم، ولكن بصورة أعمق وأشمل. من ناحيته يرى مالكوم واترز (1995: 25) أن العولمة "هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد". أما عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو (1998) الذي يتناول العولمة من وجهة اجتماعية فيرى أنها "ليبرالية جديدة" تهدد أطر المجتمع التي تحفظ توازنه وتضامنه. من جهته يصف بلقزيز (1998: 92) العولمة على أنها

"لحظة تتويج العالم كونياً"، وهي عملية "أمركة" للعالم وأن مصطلح العولمة ما هو إلا اسم حركي لها. أما الجابري: (1998:17) فيرى أن العولمة عملية "قمع وإقصاء للخصوصي واحتواء واختراق للهوية الثقافية". وأخيراً فإن حرب (2000) وعبد الله (1998) يقللان من خطر العولمة على المجتمعات البشرية، ويطرحان وجهة نظر مقاربية، وهي أن العولمة ليست عملية أمركة، وهي ليست من ابتكار الأمريكيين وحدهم، وإنما هي وقائع وإنجازات. العولمة حسب وجهة النظر هذه ليست مشروعاً استعماريّاً جديداً ولا تهدف لضرب الأوطان، بل بالعكس ستكون على حد زعم أصحاب وجهة النظر هذه فرصة للتلاقح والتفاعل ولكسر النرجسية الثقافية.

إننا نرى في العولمة خطراً داهماً كما رأيناه في الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والإسباني للوطن العربي وصدقت الرؤيا. لقد أشبعنا تلك الدول وعوداً معسولة حول النمو والتطور والتحضر ثم آلت أحوالنا إلى ما آلت إليه من السيطرة والتبعية والاستغلال. من المتوقع أن تكون هذه الأمور أشد بشاعة في ظل العولمة. لم يكن ولن يكون في نية تلك الدول يوماً ما الارتقاء بالشعوب الأخرى. فإن هي قدمت بعض المساعدة، مثلاً، فلأنها تخطط أن تترك الشعوب محتاجة على المدى الطويل. وإن هي أقامت بنياناً في بلد ما فلأن في نيتها هدم الكثير على المدى البعيد. هدف تلك الدول هو تدمير الإنسان وهدف أمريكا قائدة العولمة هو استعباد الإنسان. في ظل العولمة لا يتوقع شيء سوى مزيد من الهيمنة والاستغلال فهي أشد خطراً على الشعوب من الاستعمار التقليدي العسكري. نحن هذه المرة بصدد معادلة سياسية جديدة: أمريكا والعالم. إنه عالم أحادى القطب تقف على رأسه دولة نعتها وزير خارجية فرنسا السابق فيديرين بـ "فوق العظمى". إن استراتيجية أمريكا هي السيطرة على العالم بحجة المصالح. يقول كاسبر واينبيرغر (1984:5)، وزير الدفاع الأمريكي السابق، كاشفاً القناع عن هذه النزعة: "إن كل مكان في العالم مهما كان بعيداً أو أي شعب مهما قلت أهميته إلا ويمثل مصلحة حيوية للولايات المتحدة". وحديثاً، يطلع علينا الرئيس الأمريكي وعقب الهجوم على بلده في سبتمبر 2001 ليقول ما نصه: "من ليس معنا فهو ضدنا". والتفسير الصحيح لهذه العبارة برأينا يكون ضمن إطار عمومية اللفظ وليس خصوصية السبب.

## 2. العولمة الثقافية

تعتبر العولمة الثقافية إحدى أنواع العولمة، وهي ترمي إلى عولمة ثقافة معينة وجعلها الثقافة الأكثر شيوعاً ومتبناة من قبل المجتمعات البشرية. إنها ليست بطبيعة الحال أية ثقافة بل ثقافة الدولة القوية والأولى صاحبة النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي ... إلخ. يعرف سابير (1921: 207) الثقافة بأنها "مجموعة الموروثات الاجتماعية من ممارسات ومعتقدات التي تحدد نسيج حياتنا". فالثقافة هي التي تحدد هوية الأمة وتميزها عن غيرها من الأمم. يقول الجابري (1998: 14) بهذا الصدد: إن الثقافة هي "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية، تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء". ويضيف قائلاً إن الثقافة هي "المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدرته وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل".

إن القضية لا تكمن كما يرى السيد ياسين (1998) في العمل على صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها، بل إن القضية تكمن في نشر الثقافة الغربية القائمة، وتحديدًا تلك النسخة من الثقافة الموجودة في الدولة المنتفذة الأولى، وهي أمريكا التي سحرت الملايين من الناس في آسيا، وإفريقيا، وأمريكا الجنوبية وحتى في أوروبا، وعادوا يحلمون بالتجنس والعيش فيها. تقوم العولمة الثقافية على مسالة تحويل الثقافة الخصوصية إلى ثقافة مهيمنة، لأنه من المستبعد جداً أن تقوم أمريكا والدول الغربية عموماً بالدعوة لمناقشة ما يسمى بصياغة ثقافة عالمية، لأن الثقافة الغربية بنظرهم هي الثقافة الأرقى بين الثقافات، وهي جاهزة للأخذ بها وبالتالي لا مساومة عليها وعلى قيمها. أما الثقافات الأخرى بنظرهم فهي متخلفة وبدائية ولا تصلح للحياة. هذه قناعات ثابتة لدى القائمين على تلك الدول، وإن لم يصرحوا بذلك إلا عرضاً من خلال فلتات اللسان. إنه لا يراودنا شك في أن العولمة الثقافية هي عدوان واغتصاب لا تقل خطورة عن العدوان المسلح. يقدم بلقزيز

(1998: 98) وصفا دقيقا للعلومة الثقافية قائلا إنها "فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح بالتقانة - فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة".

إن العولمة الثقافية هي في الواقع "إمبريالية ثقافية" و"اختراق ثقافي" يستهدف العقل والنفس وإقامة أسس جديدة للتفكير. أي أنها نوع من الأدلجة الفكرية التي تمس القيم المجتمعية كافة. إن الاختراق الثقافي هو الأشد خطرا لأنه يفضي إلى تشكيل وصياغة أنماط وطرق جديدة للتفكير من خلال اختطافه وتوجيهه وجهة معينة. إنه فعل يؤدي بنظر الجابري (1998: 17) "إلى تعطيل فاعلية العقل وتكثيف المنطق والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك".

### 3. العولمة اللغوية

نظراً للعلاقة العضوية بين الثقافة واللغة فإن عولمة الثقافة تتضمن عولمة اللغة والتي توصف أحيانا على أنها في حقيقة الأمر "إمبريالية لغوية". ترمي هذه الإمبريالية إلى جعل لغة مجتمع ما هي اللغة الأولى في العالم كما هي الدولة الأولى والثقافة الأولى وكما هو الاقتصاد الأول. إن الإمبريالية اللغوية هي إحدى أهم مكونات الإمبريالية الثقافية وأهمها على الإطلاق. فهي رأس الحرية لهذه الإمبريالية، نظراً لما تتمتع به اللغة من علاقة حساسة مع الفكر ودورها في التأثير على صياغة الأفكار وإنتاجها. فاللغة هي أداة للفكر، ورفي الفكر وانخفاضه يتأثران بقوة اللغة (تشومسكي، 1992). يعطي نبيل علي (2001: 240) وصفا دقيقا عن مكانة اللغة في العلوم المختلفة قائلا: "أينما يكن مسلكك في دنيا المعرفة فابحث عن اللغة: قمة العلوم الإنسانية، ورفيقة العلوم الطبيعية، وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون، ومحور تقانة المعلومات، وهندسة معرفتها ولغات برمجتها". على ضوء هذه المكانة للغة في الحياة ينبع دورها في المعركة الثقافية. لقد أصاب المسدي (1998: 319) عندما أكد أن "أعظم سلاح يستخدم هذه الأيام في معركة الاكتساح الثقافي هو دون تردد ولا ارتياب اللغة. فاللغة هي هدف نادر الوجود، منعدم

المثيل، يتوسل بها المتربصون الثقافيون الهادفون إلى إنجاز الاختراق الحضاري. فباللغة تغزى قلعة الهوية الثقافية بالنفاذ من خلال سورها ثم بخلخلتها من الداخل". في ظل العولمة تختفي النسبية الثقافية عموماً وكذلك النسبية اللغوية خصوصاً، وينصب جل اهتمام دعاة العولمة للترويج لثقافة العولمة ولغة العولمة.

تقوم العولمة اللغوية على أساس نشر اللغة الإنجليزية، وهي لغة الدولة الأولى. إلا أن انتشار اللغة الإنجليزية هو أمر جار منذ فترة طويلة وتحديدًا مع انطلاق الاستعمار البريطاني إلى أنحاء العالم عقب الثورة الصناعية في أوروبا وما زال مستمراً بفضل جهود أمريكا. لقد نفذت اللغة الإنجليزية إلى كل ميادين الحياة ومظاهرها في كل بلدان العالم. يطلق فيليبسون (1992) على هذه العملية التي تهدف إلى جعل الشعوب تتبنى اللغة الإنجليزية عملية Linguicism "أدلجة لغوية". في وصفه للإمبريالية اللغوية يقول انسري (1979: 12-13) ما نصه: "إنها الظاهرة التي يتم فيها من خلال لغة أخرى السيطرة على عقول وحياة متكلمي لغة ما إلى الحد الذي يصبح هؤلاء الناس يعتقدون أن بإمكانهم أو يجب عليهم أن يستعملوا تلك اللغة عندما يضطرون للتعامل مع مظاهر الحياة المتقدمة مثل التعليم والفلسفة والأدب والحكومات وإدارة القضاء... الخ. إن الإمبريالية اللغوية طريقة حاذقة في قتل العقول، والآراء، والطموحات، حتى مع أولئك النبلاء الكبار في المجتمع، والعمل على منعهم من تنمية القدرات الكاملة للغات الأصلية والوعي عليها".

إنه من المستبعد أن تصبح لغة دعاة العولمة، أي الإنجليزية، وخلال عشية وضحاها، أو حتى في المستقبل المنظور، اللغة المتبناة والمستعملة في المجتمعات كافة. غير أن تأثير هذه اللغة سيزداد يوماً بعد يوم بحكم انخراط هذه المجتمعات برضاها أو بغير رضاها في عملية العولمة واضطرارها لركوب هذا القطار. من المتوقع أن تدخل اللغة الإنجليزية في صراع لغوي مع اللغات الوطنية، ولكن حاجة الأفراد لاستخدام اللغة الإنجليزية سيؤدي بالتالي إلى اتساع الجغرافية اللغوية للغة الإنجليزية. وعلى الأرجح أن ينحسر دور بعض هذه اللغات في مواطنها،

ما لم يتم اتخاذ إجراءات فاعلة وحاسمة لمواجهة هيمنة اللغة الإنجليزية.

إن تحول العالم إلى قرية كونية يحتم طرح تنظيمات لغوية جديدة، وهذا سيقود كما أسلفنا إلى صراعات لغوية تقضي في النهاية، وعلى مستوى التوقعات النظرية، إلى انتصار لغة ما على اللغات الأخرى. تفيد التوقعات المتوفرة من منظمة اليونسكو إلى أن نصف لغات العالم، والتي تبلغ ستة آلاف، ستقرض في القرن الحادي والعشرين. وهناك من يتوقع نسبة أكبر قد تصل إلى 80% من المتوقع مستقبلاً أن تهيمن على الساحة الدولية لغة ذات طاقة داخلية بنائية ولأصحابها طاقة خارجية كبيرة. يتفق عدد من المتخصصين اللغويين على أن اللغة الإنجليزية هي اللغة المرشحة لتتبوأ هذا المركز، ولكن ليس بالطبع لأسباب تركيبية لغوية تنفرد بها هذه اللغة عن غيرها من اللغات. فهي لغة كسائر اللغات تتشكل من صوت ومعنى وفي نظامها عموماً لغوية. إنها وبلا شك القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية التي مكنت اللغة الإنجليزية من بلوغ هذا الدور العالمي في الماضي القريب كما كانت كذلك اللغات اللاتينية والعربية في الماضي البعيد. وها هي ذي الأسباب ذاتها، ولكن بدرجة أقوى، التي تدفع بها نحو الدور العالمي في الحاضر والمستقبل.

يرى ديفيد كريستال (1997)، أحد اللغويين البارزين في هذا العصر والمهتمين بتاريخ اللغة الإنجليزية، أن اللغة العولمة دوراً خاصاً معترفاً به في كل بلد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي مجالات الاتصالات والإعلام والمدارس والجامعات والمكتبات والتقانة التكنولوجية.

لقد أصبحت معرفة اللغة الإنجليزية ضرورة حياتية لا غنى عنها لقطاعات واسعة من شرائح المجتمع المختلفة. فطبقاً لما يراه كريستال فإن الإحصاءات المتوفرة تفيد بأن ربع سكان العالم هم طليقون في اللغة الإنجليزية، وأن هذا الرقم ينمو بازدياد حتى بات يتراوح 1.2 إلى 1.5 بليون من الناس في وقت يبلغ عدد الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية أصلاً كلغة أولى هو 380 مليون شخص فقط. ربما لا توجد لغة في التاريخ بلغت هذا النمو، وحتى اللغة الصينية فإن عدد ناطقيها يصل

إلى 1.1 بليون من الناس.

ها هي ذي اللغة الإنجليزية تنتقل من على أكتاف بريطانيا التي كانت الدولة الأولى العظمى في الماضي القريب إلى أكتاف قوة عظمى أخرى شابة، وهي أمريكا التي تمتلك مقومات عسكرية واقتصادية وثقافية وتكنولوجية وإعلامية كبيرة. إنه حدث تاريخي غير مسبوق أن تتمتع لغة بهذه الفرصة. فلم يحصل في التاريخ البشري أن استفادت لغة بشرية من هذه الميزة. أي أن تحملها دولتان عظميان في فترتين تاريخيتين متزامنتين مرة ومتعاقبتين مرة أخرى إلى أصقاع الأرض المختلفة. إنها لغة ترحف في كل الاتجاهات وتهدد حتى اللغة التي كانت منافسة لها يوما ما. ها هم الفرنسيون يقلقون على لغتهم من هذه اللغة "القائلة" والإعصار الثقافي القادم عبر الأطلنطي. ولذلك أعلنت الأكاديمية اللغوية الفرنسية حالة الطوارئ وسنت القوانين الضرورية لمواجهة هذا الهجوم، مثل عدم السماح بصياغة إعلانات باللغة الإنجليزية والحد من عدد الأفلام الناطقة بالإنجليزية والمسموح بعرضها في فرنسا.

غير أن اللافت للنظر أنه على الرغم من هذا الدور الكاسح للغة الإنجليزية ومكانتها في العصر الحاضر، فإن هناك من يرى أن هذه الهيمنة لن تكون مطلقة وقد تضعف مستقبلا. في مقالة حديثة بعنوان "النظام اللغوي الجديد" يتوقع فيشمان، أحد أبرز علماء اللغة الاجتماعي، أن الدور المساعد للغة الإنجليزية سيضعف نوعا ما. فهو يرى أنه إلى جانب عملية العولمة توجد هناك عمليتان تتفاعلان في آن واحد هما الإقليمية والمحلية وما يرافقهما من نشاط تجاري ومعاملات ذات طابع اجتماعي، وثقافي، وأنشطة أخرى. هذا سبب مهم يعمل على تشجيع استخدام اللغات الإقليمية والمحلية. أما السبب الثاني كما يرى فيشمان فهو أن هناك نسبة معينة لا بأس بها من الأفراد لن تتمكن من الحصول على فرصة تعلم اللغة الإنجليزية واستعمالها. والسبب الثالث هو الدور الكبير والمرتقب للترجمة الآلية في العمل على الحد من الاعتماد على اللغة الإنجليزية. وأخيراً، فإن هناك العامل النفسي الذي يتلخص في أن الإنسان يفرغ بفطرته للتشبث بجذوره وأرضه عندما تبرز تحديات خارجية تتهدد هويته وثقافته. إنه من المتوقع أن

يزداد الحرص على اللغة الوطنية في ظل العولمة طبقاً لهذا التفسير ويتعزز وجود ودور عدد من اللغات الوطنية والإقليمية مثل اللغة العربية والهندية والسواحلية والصينية والإسبانية. وهذا في الواقع ما تذهب إليه باريرا وولراف (2000) من أن التنوع اللهجي قد يؤثر في انتشار اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى أنه ستكون هناك حاجة لمعرفة اللغات الأخرى واستخدامها.

إن استمرارية العولمة اللغوية رهن باستمرار التفوق الأمريكي. هذا الأمر يبدو محسوماً على الأقل في الوقت الحاضر والمستقبل المنظور. غير أن التاريخ ينبئنا أن الصراع الحضاري لم يتوقف يوماً ما، وأن الحضارات الإنسانية لم تصل إلى اللحظة الأخيرة، حتى لو أعلن عن نهاية التاريخ وانتصار النظام الديمقراطي كما يزعم فرانسيس فوكوياما (1993). إن الصدام بين الحضارات متواصل ومن غير المتوقع أن تدخل الشعوب غير الغربية في النسيج الحضاري الغربي حتى لو تشبهت بالغرب. يقول صاموئيل هانتجتون (1997: 18) صاحب نظرية صدام الحضارات: "ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً، وليس هناك شك في ذلك، وما دام الغرب سيبقى غرباً، ولا يتوقع أن يصبح الغرب شرقاً - سيظل الصراع قائماً بينهما". هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإن بعض المفكرين الأمريكيين يلقي بظلال من الشك على قدرة أمريكا في الاستمرار بالهيمنة على العالم. يرى لستر ثارو (1995) أحد أبرز الخبراء الاقتصاديين في أمريكا أن القرن الحادي والعشرين هو قرن أوروبي. أما زيغنيو بريجنسكي (1998)، مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس كارتر، وأحد المفكرين الاستراتيجيين، فيسلط الضوء على المشاكل والمعضلات المقلقة لأمريكا وخاصة الداخلية منها والتي ستلعب برأيه دوراً مهماً في زعزعة قوة أمريكا مستقبلاً. أولى هذه المشاكل هي عدم قدرة أمريكا على منافسة خصومها اقتصادياً. المشكلة الثانية تتعلق بأسلوب الحياة داخل المجتمع الأمريكي. أما المشكلة الثالثة فهي على صلة بالقيم والتوقعات والاعتقادات الأمريكية التي تعرف بمجموعها الشخصية الأمريكية. "سيأتي التحدي الحقيقي" يقول بريجنسكي (1998: 127) "لدور أمريكا العالمي الخاص من الداخل، وليس من الخارج، وبالتالي، قد لا يكون انكشاف أمريكا الأساسي في التحدي الملموس القادم من خصومها، بل في التهديد غير الملموس الذي تفرضه ثقافتها التي شرعت تضعف

باطراد وتفسد وتقسم وتضعف أمريكا داخليا، بينما هي تستقطب العالم الخارجي وتفسده وتجعله غريبا وتنتشر الثورة فيه".

#### 4. اللغة العربية والعولمة اللغوية

تقف اللغة العربية اليوم في مصاف اللغات العالمية والمعتمدة رسميا من قبل الأمم المتحدة. لقد اكتسبت اللغة العربية مواقع جديدة على الخريطة اللغوية بفعل ازدياد التأثير العربي والإسلامي على الساحة الدولية وحضور العرب والمسلمين في أماكن شتى من المعمورة في استراليا وأمريكا وإفريقيا وأوروبا. ففي الوقت الذي نرى مثيلات اللغة العربية الكلاسيكية كالاتينية وغيرها قد اندثرت فإن اللغة العربية بقيت محافظة على ديمومتها عبر القرون، وهذا مرده بالدرجة الاولى الى الرصيد الحضاري الكبير الذي تحتزنه هذه اللغة. يشخص المسدي (1997: 36) سر هذه الديمومة قائلا: "فللعربية عند أهلها وزن مخزون ليس كمثله وزن عند الأمم الأخرى، فيها بعد روحاني، ومعها إرث إعجازي، وعليها هالة من القداسة واكبتها فاصطبغت بما عند أهلها، وتسلم بأمر قداستها عند أهلها من لم يكونوا من أهلها". إن العلاقة الالتصاقية بين العربي ولغته وما تحمله من تراث فكري زاخر، وهذا الانتشار الكبير للغة العربية وتزايد وزنها الحضاري في المستقبل المنظور وكونها اللغة التي استلهم من خلالها الغرب علومه النظرية والطبية والفلسفية، كل هذه الأسباب تؤدي إلى إيجاد قلق حقيقي وربما فزع عند كبار المهندسين الذين يخططون الاستراتيجية الكونية. يؤكد المسدي (1998: 320) دور المهندسين الثقافيين في هذا المضمار قائلا: "ولا يغفل هؤلاء المهندسون الثقافيون الساهرون على برمجة الذهن الجماعي في عصر الأممية والكونية عن الرسالة الحضارية والروحية التي حملت بها اللغة العربية، وهم العارفون بأن التماهي بين اللغة والهوية لم يبلغ تمامه الأقصى في الثقافات الإنسانية مثلما بلغه عند العرب بكل اطراد تاريخي وبكل تواتر فكري واجتماعي ونفسي".

إن اللغة العربية هي إحدى اللغات المرشحة للصدوم في وجه اللغة الإنجليزية بتقدير المفكرين الغربيين أمثال فيشمان عالم اللغة الاجتماعي والكاتب الإسباني كاميليو جوزي سيلا

الحائز جائزة نوبل في الأدب لعام 1989. غير أن هذا الأمر لن يكون هيناً وقد تتعرض اللغة العربية للحصار كغيرها من اللغات بسبب عدم وضوح دور المجتمع العربي في عملية العولمة ونصيبه فيها (الغذامي، 1998).

تكشف مقولات عدد لا بأس به من المفكرين سواء كانوا عرباً أو غير ذلك عن مبالغة أحياناً وتخويف وتهويل أحياناً أخرى حول تأثيرات العولمة، ويصورونها على أنها بعبع يترصد بنا وكأنه يربض على صدورنا، وعليه فلا حول لنا ولا قوة سوى الاستسلام لأفكار العولمة وخاصة العولمة اللغوية. لسان حالهم يقول: انظروا: ها هي ذي اللغة الإنجليزية، لغة أمريكا، تغزونا ولا مناص من الترحيب بها وتنشئة أطفالنا عليها. وعلى ضوء ذلك ذهب بعض الدول إلى إدراج هذه اللغة حتى في المراحل الدراسية المبكرة جنباً إلى جنب مع اللغة العربية، في وقت أدارت هذه الدول ظهورها للغة الأم، والتي لم تظفر ربما بهذه الدرجة من الاهتمام. صحيح أن للعولمة تأثيرها على الحاضر والمستقبل، ولكن يجب أن لا يصل بنا الحد إلى أن نفقد الثقة بلغتنا وبالتالي التشكك في قدرتها على المنافسة اللغوية. بالأمس، برهنت هذه اللغة على صمودها الأسطوري وقوتها الذاتية خلال حقبات الغزو المختلفة. إن صمود اللغة العربية نابع من صمود أهلها في وجه التعريب الممتد على مدى قرون، وخاصة مع بداية الحقبة الاستعمارية البائدة. إن الغزو اللغوي وخاصة الإنجليزي للغة أمنا ليس جديداً غير أن وتيرته ازدادت بشكل كبير في الآونة الأخيرة، مما يستدعي التفكير ملياً في استراتيجية جديدة لمواجهة العولمة اللغوية الجارية.

إن المطلوب من اللغويين والمفكرين العرب بكافة أطيافهم المشاركة في إيجاد الاستراتيجية اللغوية المناسبة وتحديد آلية واضحة للتعاطي مع هذا الوضع اللغوي الجديد، الذي من المتوقع أن يترك بصمات مهمة على اللغة العربية. سيزداد اللقاء والتفاعل بين اللغتين الإنجليزية والعربية. السؤال المبدئي الذي يطرح نفسه هو كالتالي: ماذا نقترض وماذا نرفض من اللغة الإنجليزية؟ أما السؤال الآخر فهو: هل يوجد في اللغة العربية من الطاقات الذاتية مما يجعلها تستوعب أفكار العولمة؟ إنه ليس من الحكمة التقليل من سيطرة اللغة الإنجليزية واختراقها لعالمنا الثقافي كما يتصور (حرب، 2000).

إن المطلوب من اللغويين والمفكرين العرب تبني منهجية علمية في التعامل مع العولمة اللغوية والابتعاد عن الانفعالية والتعصب الأعمى الذي يفقد النظر الصائب، والكف كذلك عن المبالغة والتهويل واللجوء بالتالي إلى تنغيمات وأوهام وتخيلات تقود للوقوع في أفخاخ منهجية قاصرة. ما هي فائدة ترديد عبارة البيروني "الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية"؟ أو الذهاب بعيداً في جلد الذات وتكرار مقولة "إننا نعاني من أزمة لغوية حادة تلطخ جبيننا الحضاري". هل نحن حقيقة في أزمة لغوية؟ إن الذي يختار العيش في أوهام لغوية فله أن يفعل ذلك وحده. وإن الذي يتجرأ على إعطاء تشخيصات لغوية ليست علمية فإنه لا يصنع جميلاً للمشروع اللغوي المقترح لمواجهة العولمة. إضافة إلى ذلك، فإننا نقول إن الذي يختار عدم التعامل مع الوقائع والأحداث المعاصرة، ويدأب على ترديد ذكر بعض المشاكل اللغوية مثل مشكلة الازدواجية وغيرها في هذه الظروف العالمية التي تحتم التحرك المتواصل، وكذلك التفاعل مع المستجدات أو يعمل على تكتيف اللغة العربية بسلاسل حديدية وقوانين دستورية صارمة، أو يفرض حجراً لغوياً عليها سيجد نفسه خارج دائرة الزمان، وهو كمن يحرق في البحر، لأن اللغة سننها وهو مبدأ يغيب عن بال الكثيرين.

غير انه لا بد من التصدي في الوقت ذاته لتلك الزمرة من دعاة التعريب والمشككين في لغة الأمة وثقافتها وطريقة تفكيرها وتحديدًا حول التعاطي مع المستجدات الفكرية والثقافية كما صنع العفيف الأخضر (1995) في هجومه القوي على الفكر العربي والإسلامي، ونعته بنعوت شتى، مثل السطحي والدوجمائي والاستسلامي واللاعلمي والرجعي والسردى والانطوائى. إن المطلوب هو ممارسة مزيد من الحذر واليقظة لما تطرحه وتمارسه الإمبريالية اللغوية.

ماذا يتوقع العربي من لغته في عصر العولمة؟ إنه يتوقع أن يرى لغته قوية وذات طاقة خلاقة قادرة على مجارة اللغات العالمية وكذلك لغة العولمة. إنه يود أن يجد في لغته كل ما يحتاج إليه من المصطلحات والتركيبات التي تعينه على التكيف لغويا مع العولمة. إنه يريد لها قدرة على استيعاب الأفكار الجديدة المطروحة على الساحة الفكرية العالمية. إن تخلف اللغة وضعفها يكمن في عدم قدرتها على تلبية حاجات الناطقين بها وخصوصا في إطار التطورات المتسارعة في عصر العولمة.

إن مواجهة العولمة اللغوية لا يكون كما أسلفنا بالاكنتاء باللغة الوطنية والانعزال اللغوي واتخاذ القرارات الجمعية السنوية، والتي يكون مصيرها الرفوف المكتبية، وبالتالي لا تحدث أثرا في حياة العربي العادي الذي يتعامل مع اللغة طبقا لسجيته اللغوية. بل يكون باتخاذ الإجراءات المناسبة والعملية والفعالة لخوض غمار العولمة. وهذا يتطلب من قبل اللغويين العمل على أكثر من صعيد.

أولاً: المبادرة لزيادة الاهتمام بتعليم اللغة العربية وبطرق جديدة فعالة بعيدة عن التلقين والنقل. إن المطلوب هو إحداث ثورة في تعليم اللغة العربية والعمل على الاستفادة من الإنجازات المعرفية والتقنية (التكنولوجية) في هذا المجال. من ينكر الضعف اللغوي الشديد الذي يعيشه طلابنا؟ انظر إلى طلبة الجامعة وحتى أساتذتهم واطلب منهم كتابة فقرة تعبيرية باللغة العربية أو استخراج معاني كلمات عربية من القاموس العربي، وستكتشف الحقيقة المرة. إن تمكن العربي من لغته يتيح له إتقان الإمكانيات الذهنية للتعبير عن العمليات العقلية العليا بطريقة سليمة

(حجازي، 1999).

ثانياً: النظر في قدرة اللغة التعبيرية والكشف عنها من حيث التعامل مع المصطلحات والأفكار الوافدة، وذلك بتقجير حدودها من الداخل حسب ما يقترح كمال أبو ديب، الذي ضرب مثلاً رائعاً في اكتشاف وتقجير طاقة اللغة العربية والبرهنة على قدرتها على استيعاب الكثير من المفاهيم الأجنبية وتأسيس المصطلحات اللازمة لذلك، من خلال ترجمته المتمكنة لكتاب إدوارد سعيد بعنوان "الثقافة والإمبريالية". يقول أبو ديب (1993: 43)، وهو مصيب تماماً في ذلك، "تقجير اللغة، إذن، فعل لا بد منه، لأن البنى اللغوية الراهنة، كما تطورت تاريخياً، لم تعد قادرة على استيعاب العالم الراهن كما تطور هو أيضاً تاريخياً". إن الذين درجوا على ترديد مقولة قصور اللغة العربية عن مجازاة واستيعاب الجديد خصوصاً من الثقافة الغربية سيصابون بالدهشة للألفاظ والمصطلحات والتعبيرات اللغوية التي ابتكرت واستخدمت في هذه الترجمة. إن الأفضل لهذه الفئة أن تكف عن الافتتان بالغرب ومصطلحاته أولاً وعدم الاستسلام للكسل ثانياً.

يساور الكثيرين القلق من الافتراض اللغوي. انهم يرون في ذلك تهديداً لكيان اللغة العربية وهم يعتبرون ذلك إفساداً للغة. إلا أن هذه نظرة خاطئة وقاصرة. فتاريخ اللغة العربية شاهد على صحة ما نقول. فقد شهد المجتمع العربي/الإسلامي حركة لغوية نشطة شملت الترجمة والتوليد اللغوي أو ما يعرف بالهجنة اللغوية. وقد تنبه اللغويون العرب آنذاك إلى عدم المغالاة في استخدام الهجنة لما قد يجر على اللغة العربية من "زندقة وبندقة" لغوية تطمس هوية اللغة. إنه ما من شك في أن نتائج الهجنة خطيرة لما تجره من اضطراب في الفكر. يقول أبو ديب (1993: 43) معلقاً على البعد الفكري للهجنة: "وفي هذه المرحلة التاريخية التي يزداد الهجوم فيها على الهوية حدة، وتتواتر الدعوات إلى التهجين والنغولة، تزداد الحاجة مساساً لفكر نقدي جذري لا يفقد توازنه أمام الموجات الفكرية الدارجة، فيخضع لمقولاتها دون امتحان وتمحيص وتنقيب وردع، ولا تعويه الأصولية الجامدة التي تصر على أن كل ما لم يرد في كلام العرب قبل القرن الثاني الهجري مزندق ينبغي تطهير اللغة منه. وإذا كانت اللغة فعلاً ذات علاقة تجسدية صوغية

للفكر ... وليست أداة توصيل فقط، فإن حرصنا على العربية ينبغي أن يزداد حدة ووعياً ونشيطاً. لأن اللغة المزندقة الهجينة النغولية لا يمكن، تبعاً لهذه المنظومة، أن تنتج إلا فكراً مزندقاً هجيناً".

**ثالثاً:** يجب تركيز الجهود اللغوية على هندسة اللغة حاسوبياً كما هي اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وغيرهما من اللغات، وذلك من خلال برمجتها بطريقة تتيح لمستخدمي شبكات المعلومات الدولية من استخدام اللغة العربية المبرمجة بصورة سلسلة، والتمكن من استخدام اللغة الرمزية والرقمية التي باتت المستوى اللغوي الأكثر انتشاراً في عصر المعلوماتية. وهذا يتطلب بناء قاعدة ذخيرة نصوص للغة العربية.

**رابعاً:** العمل على تنشيط حركة الترجمة في الميادين كافة وتوفير ما يحتاجه العربي المتخصص وغيره من أفكار جديدة تمكنه من التعامل مع عصر العولمة بطريقة سهلة.

**خامساً:** توحيد المصطلح العلمي في البلاد العربية. إننا ننظر إلى هذا الأمر على أنه على درجة كبيرة من الأهمية. إن ما يجري الآن من تأسيس مصطلحات شتى لمفهوم أجنبي واحد يؤدي إلى فوضى فكرية، فوحدة المصطلح هو تعبير عن وحدة الفكر (الملائكة، 1984). إن وحدة المصطلح لا تتأتى إلا من خلال وحدة الأمة، وهذا ما يريده كل عربي صاحب انتماء لهذه الأمة.

**سادساً:** زيادة الوعي اللغوي من خلال الشروع بحملات إعلامية واسعة لتوعية المجتمعات العربية معلوماتياً على واقع اللغة العربية، وكذلك من خلال وقف التعريب اللغوي الذي يهدف إلى إعطاء اللغة الإنجليزية منزلة أفضل من اللغة العربية في دارها، وإعادة زرع الثقة باللغة العربية.

**سابعاً:** مواصلة الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية. فمعرفة اللغة الإنجليزية ضرورة عصرية ملحة وذلك لأسباب شتى يحتمها العيش في عصر العولمة. ولكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب اللغة العربية. لا يمكن لأحد في هذه الأيام تطبيق اللغة

الإنجليزية من البلاد العربية فحيثما ذهبت تجد من يحتاج إلى هذه اللغة.

## **5. الخاتمة**

تضمن العرض السابق تناول مسألة العولمة وآثارها المحتملة على الشعوب. تركز العرض على العولمة من منظور كونها أدلجة فكرية تستهدف العقل والنفس. إن أخطر أنواع العولمة هي العولمة الثقافية والتي تعمل عملياً على تهديد العرب ولغتهم. فتهديد اللغة هو تهديد مباشر للهوية العربية والكيان العربي. إن التعامل مع العولمة اللغوية لا يعني بالضرورة مواجهة ومناطحة بقدر ما يعني تعايشاً استراتيجياً لغوياً بتفعيل الطاقات الفكرية واللغوية الوطنية. إن قرار الانعزال ليس قراراً صائباً وقرار الاندفاع مع تيار العولمة هو قرار كارثي.

## المراجع

### المراجع العربية

- أبو ديب، كمال. (1996) "مقدمة المترجم" في كتاب "الثقافة والامبريالية" لادوارد سعيد ص ص 13-54. بيروت: دار الآداب.
- الاخضر، العفيف. (1995) ضرورة تدمير عوائق الفكر التقليدي السحري المعرفية. قضايا فكرية، عدد يوليو.
- بريجنسكي، زيبغنيو. (1998) الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين. ترجمة مالك فاضل. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- بلقرنيز، عبد الله. (1998) العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة. المستقبل العربي 229، ص ص 91-99.
- بورديو، بيار. (1998) ما هي الليبرالية الجديدة؟ صحيفة لوموند ديبلوماتيك، آذار.
- تشومسكي، نعوم. (1992) تواريخ الانشقاق: حوارات اجراها معه ديفيد بارساميان. ترجمة محمد النجار. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- ثارو، لستر. (1995) الصراع على القمة. ترجمة فؤاد بلبع. عالم المعرفة، 204. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.
- الجابري، محمد عابد. (1998) العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات. المستقبل العربي 228، ص ص 14-22.
- حجازي، مصطفى. (1999) العولمة والتنشئة المستقبلية. مجلة العلوم الإنسانية، 2، ص ص 16-47. المنامة: جامعة البحرين.
- حرب، علي. (2000) حديث النهايات. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- طرابيشي، جورج. (1998) العولمة توحد وتقسّم، وتعلي وتخفّض، ولكنها تمضي قدماً.
- عرض كتاب بوليه. الحياة، عدد 12955، اغسطس.
- عبد الله، عبد الخالق. (1999) العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها. عالم الفكر مجلد 28، عدد 2، ص ص 39-94. الكويت: المجلس الاعلى للثقافة والفنون والاداب.
- العظم، صادق. (1997) ما هي العولمة؟ مجلة الطريق. العدد الرابع.
- علي، نبيل. (1998) اللغة العربية وعصر المعلومات. في مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين. ص ص 292-349. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- (2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات. عالم المعرفة، 267. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002

والآداب.

- الغدامي، عبدالله. (1998) اللغة العربية في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين. في مستقبل الثقافة في القرن الحادي والعشرين. ص ص 350-354. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- المسدي، عبدالسلام. (1997) العربي ولغته. مجلة العربي، 461. الكويت: وزارة الاعلام.
- (1998) الثقافة العربية والعولمة من خلال أنموذج العولمة. في مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين، ص ص 319 - 349. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- الملائكة، جميل. (1984) المصطلح العلمي ووحدة الفكر. في اللغة العربية والوعي القومي. ص ص 227 - 246. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- هاننتجتون، صاموئيل. (1997) حوار مع هاننتجتون. مجلة المجلة، 896، 13-19/4/1997.
- ياسين، السيد. (1998) في مفهوم العولمة. المستقبل العربي، 28، ص ص 4 - 13.

### المراجع الأجنبية

- Ansre , G. ( 1979 ). “ Four Rationalizations for Maintaining European Languages in Africa “. African Languages , 5/2 : 10 – 17.
- Crystal , D. ( 1997 ). English as a Global Language.Cambridge: Cambridge University Press .
- Fishman ,J. (1998 ). “The New Linguistic Order ” Foreign Policy, Winter Issue.
- Philipson , R. (1992). Linguistic Imperialism .Oxford : Oxford University Press.
- Sapir ,E. (1921) Language .London: Harcourt Brace Jovanovich.
- Wallraff, B. (2000).”What Global Language ?” Atlantic Monthly, vol.286 , No.5, pp. 52 – 66.
- Waters , M. (1995) Globalization .London : Routledge.
- Weinburger,C. (1984). An Interview. Guardian Weekly, 20 May.

## إشكالية ترجمة السوابق واللواحق في اللغة العربية "وجهة نظر"

د. آمنة بلعلي

جامعة تيزي وزو - الجزائر

يعتبر دخول السوابق واللواحق prefixes et suffixes على جذور اللغات الأوروبية من أهم الخصائص المميزة لهذه اللغات، كما أنها من أهم العوامل التي مكنتها في العصر الحديث من الريادة في صياغة المصطلحات العلمية الدقيقة، وتعدّ هذا النقد الأدبي، فعطف النقاد ومنظرو الأدب والنقد إلى صياغة مصطلحات بواسطة الإلصاق "Affixation" ليتسنى لهم التعبير الدقيق عن المدلولات والمفاهيم التي استنبطوها والظواهر المرصودة جراء قراءتهم لتراثهم النقدي منذ العصر اليوناني.

وإذا كان الغرب مصدر العلم ومُصدّر المصطلح، يعرف هو الآخر إشكالية في وضع المصطلح وتوحيده، فإن الأمر متفاقم عندنا نحن العرب منذ أن بدأ الاتصال بالغرب منذ بداية ما يعرف بالنهضة، وبعد صدمة الحداثة التي صرحت اختلافاً وثراء منقطع النظير في ميادين شتى من العلوم والنظريات، وخاصة بعد ظهور علم اللسان "Linguistique" وانفجار النظريات النقدية وما تبعها من ثورة مصطلحية، كان لها انعكاساتها الإيجابية في النقد العربي، لكن صاحبها إشكالاتها ومعوقات المعرفية والمنهجية أيضاً.

ولقد كانت ازدواجية المصطلح العلمي العربي عامة، من أبرز الإشكاليات التي أفرزتها الثورة العلمية والمصطلحية في الغرب. وكانت وليدة أسباب متعددة أهمّها تعدّد الجهات التي تتولى عملية وضع المصطلح كالمجامع اللغوية والهيئات اللسانية، والجامعات والمعاهد، والمجمعين

والأفراد العلميين، الأمر الذي حدا بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية سنة 1962 وتداركا لخطورة ذلك على وحدة الثقافة العربية، إلى إنشاء مكتب تنسيق التعريب للقيام بمهمة تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، ولتوحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي.

وعلى الرغم من جهود المجامع العلمية في وضع المصطلح كمجمع القاهرة التي تلخص الجهود المجمعية والفردية تجربته، والقاسم المشترك الذي يمكن اللجوء إليه من خلال جملة القرارات التي صدرت عنه للتخفيف من الإشكالية والمصطلحية باقتراحات ثرية وميسرة، فإنه سجل عن هذا المجمع، أنه لم يعط العناية الكافية لموضوع السوابق واللاحق، فقد أخذ عليه أن القرارات التي ظهرت حول هذا الموضوع على قلتها، لم يطبقها المجمع نفسه تطبيقاً ملائماً، وقد أعاد أحد الباحثين ذلك إلى كثرة هذه الأدوات اللغوية الأوروبية الأصل، وعدم ملائمتها للغة العربية ذات الطابع الاشتقاقي<sup>1</sup>.

ومن أجل هذا عُني مكتب تنسيق التعريب بمتابعة النشاط المصطلحي العربي وجمعه وتنسيقه وعرضه على المؤتمرات الخاصة بالتعريب من أجل توحيده، فأصدر كماً هائلاً من المعاجم المختصة في مختلف التخصصات، إضافة إلى نشر البحوث المختلفة التي تشرح فيها طرائق وضع المصطلح وآليات صناعته، كما يعمل من خلال التخصص في هذه المسألة إلى إثارة الوعي بالمسألة الاصطلاحية، ولعل أهم ما قدمه المكتب في مجال ترجمة السوابق واللاحق تلك الوثائق الثلاث المتعلقة بها وهي<sup>2</sup>:

1. السوابق واللاحق لمحمود مختار، وتحتوي هذه الوثيقة نحو 120 سابقة و50 لاحقة في جدول يحتوي على السابقة أو اللاحقة باللغة الأجنبية، ورمزه ومثال له، كما يحتوي على السابقة واللاحقة المقابلة بالعربية (مترجمة أو معربة) رمزها ومثالها.

<sup>1</sup>. يراجع جواد حسن سماعنة، "منهاجيات وضع المصطلح العلمي"، مجلة اللسان العربي، ع 40، ص 133.

<sup>2</sup>. يراجع مجلة اللسان العربي، العددان: 24، ص 96-97، و39 ص 40.

2. منهجية وضع المصطلحات الجديدة لأحمد شفيق الخطيب، وتضم هذه الوثيقة 600 سابقة و150 لاحقة، مع ترجماتها إلى العربية، ولقد اهتمت هذه الوثيقة زيادة على السوابق واللواحق بإبراز الصيغ التي تتميز بها العربية، والتي يمكن الاستفادة منها لمعالجة مسألة السوابق واللواحق كاسم المكان والزمان واسم الآلة والصفة المشبهة، والتفعيلات المختلفة والمعنى الذي تؤديه كل تفعيلة.

3. الصدور واللواحق لمحمد رشاد الجمزاي: وهي وثيقة ينتقد فيها كما هو ملاحظ من ترجمته لـ prefixes بالصدور على خلاف السوابق، طرائق ترجمة هذه السوابق واللواحق. وذلك بإبراز مواطن الضعف والاختلاف والتضارب في الطرق المتوخاة للترجمة والتعريب. ولقد اعتمدت الوثيقة على 55 سابقة و50 لاحقة في الفيزياء والكيمياء كعينة أبرز ما جاء فيها دعوته إلى خطة عربية شاملة لمعالجة المشكلة. ولكن دون أن يقدم حلولاً ناجعة<sup>3</sup>

ويبقى جهد أحمد شفيق الخطيب معتبراً بترجماته المتعددة لكل لاحقة وسابقة، يدل واقتراحاته المنهجية في التعريب والترجمة<sup>4</sup>.

وعلى الرغم من هذه الجهود في ترجمة السوابق واللواحق، ومع تزايد المطرد يوماً بعد يوم في كل علم بتزايد المصطلحات وتطور العلوم، فقد ظل التباين واضحاً في ترجمة المصطلحات القائمة على هذه السوابق.

ولقد بدا لي وأنا أشتغل في مجال النقد الأدبي، وأعين منظومة إصلاحية ساهمت في تشكيل الوعي النقدي لظاهرة النص والنصية، والتي ركزت عليها كل المناهج النقدية، أن هناك تبايناً واضحاً في وضع المصطلح، لم يقتصر بين قطر وقطر من الوطن العربي، بل بين باحث وباحث من القطر الواحد. مما فتح باب الترادف والتعدد في المصطلحات، وأتاح فرصة

<sup>3</sup>. يراجع مجلة اللسان العربي، ع 24، ص 97، محمد المغنم، "مسألة السوابق واللواحق وطرق معالجتها"

<sup>4</sup>. يراجع أحمد شفيق الخطيب، "منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، مع ترجمة السوابق واللواحق"، مجلة اللسان العربي، ع 19، ص 37، وما بعدها.

للمفاضلات الشخصية بين واضعها فضلاً عن خلق نوع من عدم الدقة عند القارئ الذي لا يستطيع حتى أن يدرك المعنى الدقيق للمصطلح الأجنبي، ذلك أن من "خصائص المصطلح العربي الناجح بعد أداء المعنى الدقيق للمصطلح الأجنبي أن يسهل على القارئ الذي يعرف لغة أجنبية إعادة المصطلح بالترجمة العكسية إلى أصله<sup>5</sup>، وهذا ما حظي به مثلاً مصطلح التناص Intertextualité من نجاح خلافاً لمصطلحات كالبينصورية، أو التداخل النصي، مما سيأتي شرح أسبابه لاحقاً.

وإذا كان الدال يدرك من خلال مداولة، والمصطلح من خلال مفهومه، وإذا كان الهدف من وضع المصطلح هو جعل القارئ على وعي واضح بالمفاهيم، فكيف يكون الأمر إذا أسهمت المصطلحات في تغييب المفهوم، فتصبح قراءته عند متوسطي المستوى باللغة الأجنبية أرحم منه باللغة العربية.

نعين إذن الإشكالية من خلال المقارنة بين نماذج من ترجمات عربية لمصطلحات تداخل النصوص، مراعين في ذلك الأسبقية الزمنية حسب صدور المرجع الذي وردت فيه بالترجمة للمصطلحات التي وضعها Gérard Genette في كتابه Palimpsestes الذي ترجم تارة بأطراس وأخرى طروس وتارة تطريسات، وكان الوحيد الذي قدم منهجية تحليل شاملة لما عرف قبله عند باختين الحوارية Dialogisme وعند جوليا كرسثفا بـ Intertextualité، لأنه وضح هذه المفاهيم النظرية بالتطبيق وتركيب المصطلحات المعبرة عنها، فيقدم خمسة أنماط من علاقة La Transtextualité التي ترجمها سعيد يقطين التعاليات النصية، وهي كل ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص<sup>6</sup> وهذه الأنماط على قاعدة متصاعدة من التجريد والاستلزام والشمولية بهذا النحو:

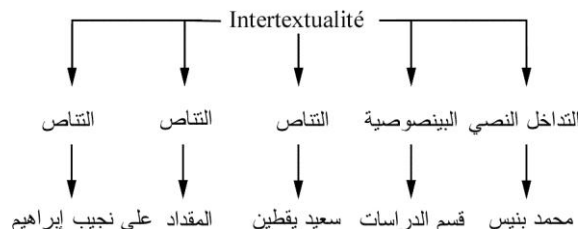
1.Intertextualité ,2.Paratextualité, .Metatextualité,4.Hypertextualité.5.Architextualité

<sup>5</sup>. مجلة اللسان العربي، ع 24، ص 116.

<sup>6</sup>.Gerard Genette, La littérature au second degré, Ed Seuil Palimpsestes, 1982, p.7

وقد تدرج جنبيت في عرضه من المستوى الأقل تجريداً إلى الأكثر تجريداً مؤخراً  
L'hypertextualité لأهميتها، إذ بها تتجسد كيفية حدوث العلاقات بين نص (أ) Hypotexte  
(سابق) بنص (ب) Hypertexte (لاحق)<sup>7</sup>.

أما مترجمو هذه المصطلحات\* فهم محمد بنيس، وسعيد يقطين (المغرب) قسم الدراسات  
بمركز الإنماء العربي (لبنان) وقاسم المقداد (سوريا) وعلي نجيب إبراهيم (سوريا). ولقد وقع  
عليهم الاختيار لمساهمتهم في ترجمة هذه المصطلحات الخمسة جميعها، دون أن ننفي من  
تعرض لبعضها قبلهم أو بعدهم مما نشير إليه أثناء العرض.



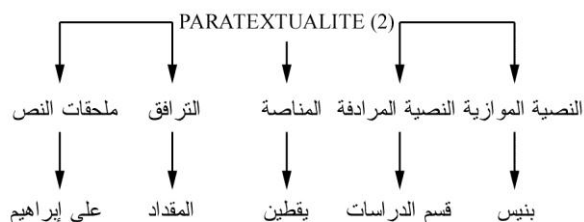
نلاحظ تداول مصطلح **التناص**، مقارنة بترجمة قسم الدراسات الذي اعتمد على الترجمة  
الحرفية Inter بـ (بين)، فيبدو المصطلح غير مستساغ لأنه لا يعبر عن معنى التفاعل أو  
التداخل بين النصوص، حيث تدخل عدة بنى نصية بشكل صريح وواضح في النص وهو ما  
يعرف بالتضمين المباشر وغير المباشر في التراث العربي.

<sup>7</sup> . IBID, p.8

\*. محمد بنيس من خلال معجم المصطلحات الذي ثبته في الجزء الرابع من كتاب الشعر العربي الحديث. سعيد  
يقطين (انفتاح النص الروائي). قسم الدراسات بمركز الإنماء العربي (مجلة العرب والفكر العالمي ع 1988 2). قاسم  
المقداد في ترجمته لكتاب القرن الأدبي في القرن العشرين لجان إيف تادي. منشورات وزارة الثقافة، والمعهد العالي  
للفنون المسرحية دمشق 1993، ص 353، وعلي نجيب إبراهيم في مجلة البحرين الثقافية. ع 24، 2000.

وهو ما يعكسه مصطلح **التداخل النصي** الذي كان بنيس قد وضعه سنة 1979 وفضل محمد مفتاح بعد ذلك وضع مصطلحات التناص في كتابه تحليل الخطاب الشعري . استراتيجية التناص سنة 1985. وأصبح شائعاً في الخطاب النقدي المعاصر، على الرغم من أن محمد بنيس يتشبث باصطلاحه، ويرى أن الطابع العفوي لترجمة التناص، لا يسهم في إنتاج شبكة العلائق التي نستطيع بها الانتقال من وحدة إلى أخرى أو من جهاز مفاهيمي إلى غيره<sup>8</sup>. والحقيقة أن استساغة التناص وتداوله يدل على استساغة الاشتقاق في وضع المصطلح، وأن الفائدة منه في تنمية الأداء العلمي باللغة العربية توازي الفائدة من دخول السوابق واللواحق على الكلمات<sup>9</sup>.

كما أن كلمة واحدة أيسر في الحفظ من كلمتين أو أكثر. وهذا ما يفسر شيوع مصطلح التناص على حساب المصطلحات الأخرى كالتداخل النصي فهو مشتق من تناص، تناصاً، على وزن تفاعل، التي تدل على التفاعل الحادث بين شيئين نظراً لتماثلهما أو توافقهما، ما يقتضي أن يتقبل الواحد الآخر دون أن يحدث ما يثير التنافر.



ترجمت السابقة pera بالشبيه والنظير، والمجانِب والشاذ<sup>10</sup>، ولها دلالات متعددة ترتبط بالشبه والإحاطة كقولنا مثل paramedical . أو parapherique وقد تتعدى معنى الإحاطة لتحمل معنى المنع كقولنا parapluié، ومن خلال هذه الترجمات المختلفة تماماً، والتي يبتعد فيها مصطلح

<sup>8</sup>. محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، ج 3، دار تويقال المغرب. 1990، ص 181.

<sup>9</sup>. مجلة اللسان العبري، ع 39، ص 30.

<sup>10</sup>. ترجمة أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان، ع 19، ص 58.

النص مع مفهوم هذه العلاقة التي تربط النص به من عنوان وعناوين داخلية، ومقدمة، وإهداء، وغلاف وكلها بمثابة العتبات Seuil كما يقول "جنيت"، لكنه فضل مصطلح Paratextes لتقنيته، وهي العناصر المذكورة التي تحيط بالنص، وتساعد القارئ الذي لا يعود إلى التوثيق الخارجي على معاملة النص معاملة خاصة، ويحصره في أطر محددة<sup>11</sup> وهذا يعني أن هذه العناصر تلعب دور الممهّد والّدال على ما سوف يكون عليه النص، وإن كان مصطلح الترافيق يؤدي جزءاً من المعنى فإن عدم تقنيته وغياب عنصر النص يبعده عن المفهوم، فيبدو أقرب إلى حقل آخر كالحقل الاجتماعي مثلاً، والجهاز المفهومي في حقل علم النص يترجمه نسق لغوي تتعالق وحداته للكشف عن البنية الداخلية لهذا العلم، وهذا ما يعكسه ظاهرياً مصطلح المناصة التي يذكر سعيد يقطين أنه صاغها من ناص (ناصص) مناصّة (مناصصة) وأدغمت الصاد، على وزن مفاعلة التي من فاعل وتأتي كما أشار سعيد يقطين في تعليقه لهذا المصطلح، لإفادة الاشتراك والجوار بين النصين مثلما عثر عليه عند فخر الدين قباوة في كتابه علم الصرف بإيحاء من الأستاذ أحمد الإدريسي<sup>12</sup>.

إن مصطلح المناصة وإن كان يؤدي معنى المفاعلة (التفاعل) وهي العلاقة الأساس بين عناصر Paratextes والنص، إلا أنها لا تحوي مفهوم الإحاطة أو الموازة المرتبط بسابقة Para، ولعل في عدم تداوله دليلاً على عدم إيفائه بالغرض، على الرغم من أن سعيد يقطين يبدو على وعي بمنهجية وضع المصطلح كاستشارته ورجوعه إلى اللغويين، ومحاولة فهم المعنى الوضعي لمادة نصص والمعنى الفرعي للكلمة المشتقة مناصّة، لكن اشتراكها فيه مع كلمة تناص تجعل الفرق غير واضح بين المفهومين، وحذا لو كان اتجاه التعاون بين المترجم واللغوي يتعدى الاستشارة الواحدة، "وإن كان التعاون المتخصص في مجال ما، بين الاختصاصي اللغوي لا

<sup>11</sup> . Palimpsestes, p.10.

<sup>12</sup> . سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 102 (الهامش 19)، ط 1، المركز الثقافي العربي . بيروت . الدار البيضاء، 1989.

يؤدي دائماً إلى أفضل النتائج كما يقول أحمد الخطيب<sup>13</sup>.

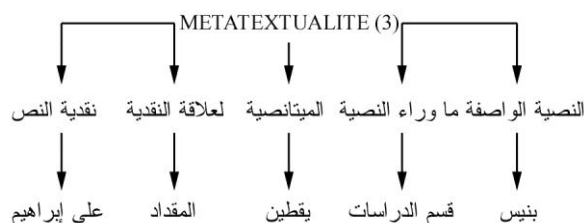
وهذا يعني أنه يفترض في منهجية وضع المصطلح معرفة اللغة التي ينقل عنها، ومعرفة خصائص اللغة التي ينقل إليها. وهذا هو الإشكال الذي تطرحه ترجمة النص المرادف، والنص الموازي، فإذا كانت الموازنة تحقق وجود مشابهة أو مناسبة بين مدلول السابقة para اللغوي ومدلولها الاصطلاحي حين ألصقت بالنص، فإن هذا يشير إلى أن مصطلح بنيس يستوعب المعنى العلمي paratextualité، على الرغم من أن تفضيل الكلمة المفردة على العبارة أفضل لأنها تسمح بالاشتقاق والنسبة والجمع والثنية، والنصية الموازية أفضل من المرادفة لما توحى به كلمة مرادفة بالتطابق في المعنى مع ما ترادفه. ولكن يبقى أنه لدينا في تراثنا مصطلح "الحواشي" الذي يطابق في مدلوله مصطلح paratextes، لأنه يشتمل على الشروح والفوائد والفروع والعناوين وكلها تشير إلى عناصر paratextualité كما أوردها "جيرار جنيت"، ولقد أشار حسام الخطيب إلى مصطلح النص المرفل في الإعلاميات<sup>14</sup> يمكن أن يؤدي المدلول نفسه الذي قصده جنيت من paratexte. وتبقى ضرورة اعتماد الأفراد في المصطلحات ليس من باب الامتثال المطلق لهذا القاعدة، ولكن إذا وجد فقط لدينا البديل في تراثنا، وهذا ما يدخل في باب التأصيل على غرار ما يفعل طه عبد الرحمن في مجال المصطلح التداولي "Pragmatique".

<sup>13</sup>. أحمد الخطيب: مجلة اللسان العربي، ع 19، ص 38.

<sup>14</sup>. حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع hypertexte، ط1، المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنز، سوريا، 1996.

\*. نذكر على سبيل المثال كتبه في أصول الحوار وفلسفة علم الكلام، اللسان والميزان، فقه الفلسفة وغيرها.

نلاحظ في البداية أن الترجمة اللغوية للسابقة META والتي تعني: وراء، بعد، تغير، تبدل، لا تتناسب مدلولاتها هذه مع ما أُصطلح عليه "جيرار جنيت" بظاهرة METATEXTUALITE،



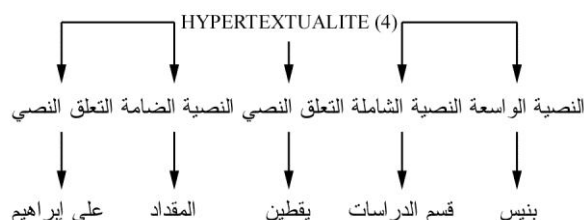
"والتي هي علاقة تعليق بين نص وآخر يتحدث عنه دون ضرورة إيرادها أو استحضاره"<sup>15</sup>. وإذا كان التعليق على الشيء يأتي بعده، وقد يحدث تغيراً فيه، فهذا لا يخول لذا ترجمة هذه العلاقة بـ ما وراء النصية، لأنها ترجمة حرفية مستهجنة، لا تفي بالغرض، وهي ترجمة مضللة تبتعد عن الدقة، التي لا نكاد نعثر عليها كذلك في مصطلح ميتانصية لسعيد يقطين، وهو تعريب جزئي للسابقة META، وتعتبر من أكثر الوسائل خطورة على العربية، لأن تعريب المصطلح كاملاً أهون، بل إنه يغدو ضرورة في بعض المصطلحات العلمية كـ بعض الألفاظ المشتقة من اليونانية كتيلفون، وتلفزيون، وبعض الأسماء الكيماوية كاليورانيوم، والبلوتونيوم. والجدير بالذكر أن معجم القاهرة يورد مئات من هذه المعربات في المعجم الوسيط. وذلك طبقاً للقاعدة المطبقة في التعريب وهي أن كل ما هو أصيل في اللغة المنقولة يعرب بالترجمة. أما الألفاظ العالمية التسمية والمستعملة في معظم لغات العالم المتحضر، فهذه كلها تعرب<sup>16</sup>، ولنا ندري ما الذي جعل سعيد يقطين يلجأ إلى هذه الطريقة في حين تبدو ترجمة زميله بنيس موفقة إلى حد كبير فالنص الواصف، مثل اللغة الواصفة METALANGUAGE تستوعب معنى العلاقة التعليقية للنص، في حين أن تعريب ميتانصية لا يفهمه إلا المختصون، وقد يغيب المعنى لو كان التعريب جزئياً كما هو الحال عند يقطين.

<sup>15</sup> . PALIMPSESTES, P.11,

<sup>16</sup> . أحمد شفيق الخطيب، ع 19، ص 38.

أما ما وراء النصية فهي كغيرها من الترجمات الحرفية، التي إضافة إلى غموضها، فإن تركيبها من الطرف "وراء" لا يؤدي إلى توليد صيغ مرتبطة بالظاهرة Metatextualite، وليست قابلة للاستشاق للتعبير عن مختلف المقامات في الصياغة.

أما نقدية النص، والعلاقة النقدية فلا شيء يوحي فيهما بالاصطلاح العلمي المرتبط بالتفاعلات النصية.



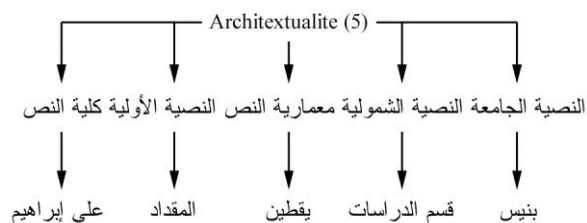
يقصد جيران جنيت بظاهرة Hypertextualite كل علاقة جامعة لنص (ب) نص لاحق (Hypertexte) بنص سابق (Hypotexte) يرتبط به بطريقة مخالفة لطريقة التعليق، بحيث أن النص (ب)، لا يتحدث عن النص (أ)، وإنما يتيح عنه بواسطة عملية التحويل Transformation دون أن يذكره أو يصرح به بالضرورة<sup>17</sup>، وهذا يعني أنه انطلاقاً من عملية التحويل تبرز علاقة أوسع بين النصين، وكأن النص اللاحق ينحدر ويشق من النص السابق فيحمل مواصفاته الأساسية. وبذلك فإن ترجمة المصطلح بالتعلق النصي يشترك فيها مع جميع مصطلحات التفاعل النصي، وإن كانت تعبر عن شدة التفاعل وعمقه، فربما هذا ما حدا بالمقداد إلى ترجمة المصطلح بالنصية الضامة، والضم علاقة احتواء قد لا تسمح بالاختلاف، في حين أن نوع العلاقة بين النص السابق واللاحق قد تبدأ احتواء وتنتهي اختلافاً يعبر عن فريدة النص اللاحق، كما في المحاكاة الساخرة Parodie أو المعارضة pastiche. ولذلك فمصطلحاً النصية الواسعة لبنيس والنصية الشاملة لقسم الدراسات يأتيان ليعبرا عن هذا النوع من العلاقة لدلالة الشمول

<sup>17</sup>. PALIMPESTES, P13.

على الاحتواء والتضمن، مثل الوسع لكن يفوق مصطلح النصية الواسعة، النصية الشاملة، في التعبير عما يفرزه الواسع من طاقة وقدرة على العطاء من خلال الظواهر المختلفة التي تنتجها على المستوى الأسلوبى والدلالي.

وما دامت كل هذه الأشكال من التفاعل النصي تعبر عن التعلق فيما بينها، وهي العلاقة الأساس التي تقوم بين النصوص، كان يقتضي من المترجم أن يصوغ المصطلح بمراعاة الوظيفة التي تنتج في كل مستوى عن عملية التفاعل هذه، وهذه المعايير المهمة عند سعيد يقطين مثلاً، والتي راعاها بكل دقة محمد بنيس، حيث تتناسب كلمة واسعة مع المعنى اللغوي لكلمة Hyper والتي تعني، فوق"، من حيث دلالتها على الكثرة والزيادة والطاقة؛ في حين أن شمل وضم تعني الجمع قليله أو كثره، وعلق تعني التشبث، وكلاهما يعبر عن العملية وليس عن الظاهرة التي تدل على الكثرة والمبالغة. وما دام مجمع القاهرة قد أقر في دورته العاشرة أنه يصح صوغ المصدر من الفعل للدلالة على الكثرة والمبالغة على وزن "تفعال" كما تصح صياغتها مما لم يرد فيه فعل للضرورة في لغة العلوم<sup>18</sup>.

فإنه يبدو لي أن كلمة "تنصاص" كانت ستفي بالغرض الذي تعنيه النصية الواسعة تبعاً لقاعة الأفراد في وضع المصطلح.



<sup>18</sup>. يراجع المعجم المفصل في علوم اللغة، ص 775.

يجعل جيرار جينيت من ظاهرة L'architextualité التصنيف الجنسي Générique لنص ما<sup>19</sup> أي مجموعة من الخصائص العامة التي ينتمي إليها كل نص على حده<sup>20</sup>. ولقد جعلها جينيت بديلاً لما كان يعرف بالجنس الأدبي الذي اعتقد زواله، واجتماع خصائص كل جنس فيما سماه بـ Architexte، وكان عبد الرحمن أيوب أول من ترجم هذا المصطلح "بجامع النص" في ترجمته لكتاب جنيت "مدخل لجامع النص" وذلك في بداية الثمانينيات وتبناه الباحثون لدلالته على المفهوم الذي أراده جيرار جينيت، على الرغم من أن السابقة Arch من حيث دلالتها اللغوية لا تعبر عن معنى الجمع بل تعني رئيسي . أولي . بدائي<sup>21</sup>، وهذا يعني أنه عند عملية الإلصاق Affixation لصياغة المصطلح قد ينحرف المعنى، فينتقل من الوضع إلى الإصلاح، وهذا هو الوضع الذي بدأ به مصطلح Architextualité، وكما وضحه المصطلح العربي "جامع النص" الصحيح من حيث تعبيره عن المفهوم، لكنه حيك بنفس الطريقة التي تصاغ بها العبارة الفرنسية، حيث تسبق الصفة الموصوف. وإذا كانت السوابق الأجنبية تعتبر في أغلبها صفات، والصفة الفرنسية تستغرق الموصوف ولكنها لا تنزع عنه أهميته، فإن تقديم الصفة في العربية فضلاً عن عدم استساغتها لأن الصفة تتبع الموصوف، ويجعلها تستغرقه عن الناحية الدلالية وتغيب "النص" وهو المقصود.

ولذلك نجد محمد بنيس يعيد الصياغة الأصلية فيترجم المصطلح إلى النصية الجامعة، والمسافة ضيقة جداً مع مصطلح النصية الشمولية، وإن كان مصطلح الشمولية يوحي بانضمام أشياء أخرى إلى النص كالمسرح والشعر والرواية وغيرها من الأجناس.

<sup>19</sup> . PALIMPSESTES, p.12.

<sup>20</sup> . عبد الرحمن أيوب، مدخل لجامع النص، دار توبقال، المغرب، ط 2، 1986، ص 1.

<sup>21</sup> . يراجع أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان العربي، ع 19، ص 44.

إن هناك ارتجالية وعدم دقة، تلاحظ على ترجمة سعيد يقطين "معمارية النص" التي عمد فيها إلى نقل المعنى الاصطلاحي لكلمة Architecture، للتعبير عن مجموع الخصائص الأنجاسية لنص ما، كما أن ترجمة المقداد الحرفية النصية الأولية لاعتماده المعنى اللغوي للسابقة Arch بأولي، لا يعبر عن المعنى الاصطلاحي المراد، ولقد أشرنا سابقاً إلى مخاطر الترجمة الحرفية<sup>22</sup> ويقترح علي إبراهيم مصطلح "كلية النص"، وبعد ما يشير إلى أن عبد الرحمن أيوب ترجمه قبله "بجامع النص"، وسعيد يقطين "معمار النص"، يخالف الاثنين باقتراحه لأن جبرار جنيت كما قال يقصد من خلاله مجموعة الخصائص العامة التي تجعل من النص كلا (جنساً)<sup>22</sup>، وهذا الاستنتاج لا ينفي كون النص مجموع خصائص عامة تجعل منه نصاً، مثلما فهمه من ترجموا المصطلح قبله. وتبقى كلمة الكلية التي هي مصدر صناعي من اسم يدل على شيء معنوي مجرد وإن عبر عن تحقق الجمع، لا يفي بمفهوم الخصائص العامة الجامعة، لأن الكل قد يرتبط بخاصية واحدة. ولكن يبقى الاختلاف دلالة على الرغبة في التميز والتفرد، وحتى وإن التفت الأخير إلى الأول فليس من باب التأكد من أن المصطلح السابق قد يفي أو لا يفي بالغرض ومحاولة إيجاد منهجية ملائمة لوضع المصطلح وآليات إشاعته واستطاعته بل لمخالفته فقط، وقد يغيب عن ذهنه، أنه لا يكفي أن يكون المصطلح قد صيغ على أسس سليمة أو أقرته سلطة ما، "فالمصطلح قد لا يشيع ويبقى في بطون الكتب والمعاحم لأسباب اجتماعية ونفسية يدرسها أصحاب علم اللغة الاجتماعي، وقد يضطر المترجم إلى استعمال مصطلح يرى فيه عيباً عملاً بمبدأ الشيوع والانتشار<sup>23</sup>.

<sup>22</sup>. يراجع علي نجيب إبراهيم، "انفتاح النص"، مجلة البحرين الثقافية، ع 24 - 2000، ص 129.

<sup>23</sup>. يوسف إلياس، "ترجمة النصوص الأخبارية"، المجلة العربية للدراسات الدولية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ع 2، 1984.

إن هذه المصطلحات التي تنتمي إلى نظرية النص، والتي صاغها جيرار جنييت لوصف الهيئة التي يرد بها النص في تفاعله مع بقية النصوص السابقة عليه، وعلى الرغم من التقاطع بين هذه الهيئات والاقتراب المعنوي بين المصطلحات المعبر عنها، فإن هذا ليس مبرراً لهذا الاختلاف في المصطلحات، وقد يلاحظ أن دخول السوابق على كلمة نص كان سبباً في هذا الارتباك، بدعوى أن هذه السوابق هي من خصائص اللغات الأوروبية. لكن اتفاق الأساتذة الأخضر غزال، ومحمد رشاد الحمزاوي، وأحمد شفيق الخطيب على أن ما يعتبر سوابق ولواحق ما هو إلا جذور في واقع الأمر، وإذا أدركنا أن جذور اللغة العربية وحدها، والتي تنتمي لما يعرف بمجموعة اللغات السامية تبلغ 9273 جذراً، في حين تضم مجموعة اللغات الهندوأوروبية التي نقلت عنها العربية مصطلحاتها في القرن العشرين 500 جذراً، فإن القول بغنى اللغات الأوروبية في هذا الميدان وعجز العربية فيه، يجانب الحقيقة ويحتاج إلى إعادة نظر<sup>24</sup>.

وعليه فإن ما يلاحظ على هذه النماذج من ترجمة خمسة مصطلحات تنتمي لحقل معرفي دقيق، هو التفاعل النصي والتي امتدت على مدى عشرين سنة من سنة 1979 حين ترجم محمد بنيس Intertextualité بالتداخل النصي، تدل على أن الإشكالية ليست إشكالية ترجمة السوابق واللواحق ولا إشكالية اللغة العربية بل هي إشكالية المترجم العربي.

فليس هناك منهجية واضحة عند هؤلاء معلنة في ترجماتهم، عكس ما يفعله طه عبد الرحمن مثلاً في وضعه المصطلح التداولي، حيث يعرض المنهجية ويعلل الأسباب التي جعلته يلجأ لمصطلح دون آخر.

باستثناء محمد بنيس، فهناك عفوية وارتجالية ورغبة في الاختلاف في الترجمة، ولو نحا من جاء بعد بنيس منحاه في الترجمة لما أصبحنا أمام كم هائل من المصطلحات المترادفة بحجة اللحاق بالكلم الهائل من المصطلحات التي ترد علينا يوم بعد يوم، دون أن يلتفت الآخر للأول.

---

<sup>24</sup>. مجلة اللسان العربي، ع 24، ص 64.

تعتبر المصطلحات التي وضعها جنيت عن الصفة التي يرد بها النص نتيجة لدرجة معينة من التفاعل من المستوى الأقل تجريداً إلى أكثر تجريدية، وكان بالإمكان الاستفادة من ظاهرة الترادف في العربية، والتي يقر المفكرون لها، أو المثبتون لوردها أن كثيراً من المترادفات بينها فروق في المعنى كالاختلاف في الصفة والدرجة كالجمع والشمول والاتساع، بحيث يمكن التعبير بها عن الصفة أو الدرجة التي يستعمل لها الغربيون السوابق مثل super, supra, hypo, hyper، وهذا يعني أننا نجد من المترادفات في اللغة العربية ما يحقق المطلوب دون الحاجة إلى التركيب. ولا يتسنى ذلك إلا بالعودة إلى معاجم المعاني، وليس معاني المفردات كما هو معمول به، ومعاجم المعاني هي المعاجم المرتبة على حسب الموضوعات فهي تعقد أبواباً وفصولاً للمسميات التي تتشابه في المعنى وتتقارب وتورد كل المفردات المتعلقة بالموضوع، كالمخصص لـ ابن سيده ويمكن الاستفادة منها للتعبير عن الدرجة أو الزمن والبداءة والنهاية وتقابل معاني السوابق في اللغات الأجنبية التي يعبر أغلبها على صفات تعكس الدرجة أو المكان والزمان كـ Arch, Hyper, super, Supa, hypo وغيرها. وعند العرب أول الأشياء وآخرها كأول المطر الرذاذ وآخرها الطوفان وبينهما معانٍ تعبر كلها عن شدة هطول المطر.

لقد أشار محمد يوسف<sup>25</sup> إلى أن ظاهرة الالتصاق "Affixation" المرتبطة بالسوابق واللاحق في اللغات الأجنبية، ظاهرة واقعة في اللغة العربية وهي من الصور الصرفية التي يتم بها الاشتقاق، وهو موضوع متخصص جداً، لذلك يشير إلى المهتمين بالصرف الذين يتوقف على عائقهم حل هذا الإشكال، ولقد وفق قسم الدراسات في ترجمته لمصطلحي Hypertextualite و Architextualité في ترجمة الأولى بـ النصية الشاملة والثانية النصية الشمولية. وإن القارئ العادي، بل اللغوي غير المتخصص الدقيق في علم الصرف توحى له هذه الترجمة بازدياد اللغة العربية، حين يعبر بكلمتين من الجذر نفسه عن مصطلحين مختلفين، لكن مع قليل من التأمل

<sup>25</sup>. يراجع محمد يوسف حسن، "في تمكين العربية من الأداء العلمي"، مجلة اللسان العربي، ع 39، 1995، ص

نلاحظ أن اسم الفاعل الشاملة مرتبط بالموصوف الذي هو النص، في حين تضيف الشمولية معاني أخرى للنص، وهذا هو الفرق بين اسم الفاعل والمصدر الصناعي الذي يصعب إدراكه، وعليه فلو استغل قسم الدراسات هذه المنهجية في الترجمة لطابقت المعاني التي أرادها جبرار جنيت من هذه المصطلحات التي لا يبدو الفرق بينها إلا في الزيادة في المعنى. وهنا نشير إلى ضرورة استغلال الصيغ الصرفية المختلفة للتعبير عن المعاني المختلفة باختلاف الدرجة، الزمن أو غير ذلك.

وليس هناك مبرر للقول بأن السوابق واللواحق من طبيعة اللغات الأجنبية، وهي غريبة عن اللغة العربية، لأن اللغات المتطورة تستعمل ظواهر ليست من طبيعتها لسد الحاجة العلمية، كاللغة الإنجليزية التي لجأت إلى النحت لاستحداث ألفاظ جديدة دعت إليها الحياة العصرية، على الرغم من أن النحت ليس من طبيعتها، فاستحدثوا كلمة Brunch المنحوتة من Breakfast وLunch للتعبير عن وجبة بين الإفطار والغذاء.<sup>26</sup>

لقد لوحظ أن معظم السوابق واللواحق يمكن التصرف في معظم حالاتها باستخراج الصيغة الاشتقاقية من الجذر المعني، حيث تفيد المعنى الذي يفيد إلصاق السابقة أو اللاحقة. لا شك أن الاختلاف في الترجمات، يوقفنا على فردية وضع المصطلح على الرغم من وجود مؤسسات قائمة على وضعه، فهل هذا يعني أنه فضلاً عن عدم التفات الآخر إلى الأول، والاطلاع على الترجمات السابقة، يدل كذلك على عجز هذه المؤسسات في الإلمام بمختلف المجالات المعرفية، كالنقد الأدبي مثلاً، أو ضرورة اضطلاعها بترجمة الكتب ونشرها كذلك. إن السوابق واللواحق والتي تعد جذوراً في اللغات اللاتينية واليونانية التي هي لغات ميتة، قد لجأ إليها الغرب لحل الإشكالية المصطلحية عندهم، فلماذا لا نلجأ إلى الجذور الراكدة في اللغة العربية. بل لو التفت المترجمون إلى التراث لوجدوا فيه من الكلمات ما يتجاوز المصطلحات المرتبطة بالتفاعل النصي عند الغرب. فلقد بينت النماذج المعتمدة جهلاً بالتراث اللغوي من

<sup>26</sup> . يراجع م ن ص ن.

خلال الترجمة الحرفية والتعريب الجزئي، واللجوء إلى الغموض باسم الحادثة التي جنت على المصطلح الغربي ومقابله بالعربية على السواء.

أخيراً ولتجاوز الإشكالية، يجب العمل على قيام شبكة معلومات عربية للأنشطة المصطلحية، على غرار الشبكة الدولية في مركز المعلومات الدولي لعلم المصطلح "Infoterm"، فمن خلال مثل هذه الشبكة تتييس مجارة النشاط المصطلحي العالمي، وتسهل إشاعة المصطلحات الموحدة بين العاملين في هذا المجال في كل أنحاء الوطن<sup>27</sup>، وسوف يكون للإعلام الآلي دور كبير في هذا المجال من حيث إشاعة المصطلح وتوحيده، فيطلع عليه القارئون على الترجمة دون عناء.

لقد ركزنا في هذه المداخلة على المصطلحات المركبة من السوابق، ووجدنا إشكالية ترجمتها، ولعل الإشكالية أعمق في المصطلحات التي تنتهي باللاحق كـ isme وité وtion التي نترجم كلها بصياغة المصدر الصناعي، وسيكون له مجال آخر في بحث مستقل.

---

<sup>27</sup>. يراجع مجلة اللسان العربي، ع 39، ص 45.

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002**

التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

بحوث

معربة أو مترجمة

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

## التقانات الحيوية والمعلوماتية:

### كيف يستفيد منها الفقراء؟(\*)

ترجمة: أ.د. محمود الأشرم

كلية الزراعة - جامعة دمشق

#### 1. استخدام التقانات الحيوية في زراعة الدول النامية: الفرص والمشكلات(\*\*):

##### 1.1 تمهيد

"يقول المؤلفان في البداية "إن التقانات الحديثة Modern Biotechnology لن تحل جميع مشكلات الأمن الغذائي والفقر في العالم، ولكن باستطاعتها تقديم مكون مفتاح الحل إذا ما أعطيت الفرصة لذلك"

حالياً هناك مليار إنسان من المجتمع الدولي يعيشون في فقر مدقع ويعانون من أمراض الجوع و70% منهم مزارعون، رجال ونساء وأطفال يحاولون الحياة من قطع زراعية صغيرة جداً وفقيرة أيضاً. ومعظم هؤلاء يعيشون في بيئة استوائية تتزايد فيها ظواهر الجفاف والفيضانات والحرائق السريعة. إن غلال هذه المناطق راكدة ومعرضة كثيراً لآفات الأعشاب والأمراض والحشرات التي تصيب المحاصيل. كذلك تعاني الحيوانات من الأمراض الطفيلية والتي يصيب بعضها الإنسان أيضاً. من جهة أخرى تعتبر المدخلات الزراعية كالأسمدة الكيماوية والمبيدات

---

(\*) هذه ترجمة لثلاث نشرات صادرة عن معهد بحوث سياسات الغذاء العالمي IFPRI عام 2001، Washington,

D.C. USA وسنذكر عناوينها وأسماء مؤلفيها حين ورودها.

(\*\*) Biotechnology for Developing-Country Agriculture: Problems and Opportunities. Gabrielle J. Persley and Hohn J. Doyle. IFPRI, Washington, D.C. USA, 2001 لمؤلفيها.

مرتفعة الثمن، بالإضافة إلى أن الأخيرة تؤثر في صحة العائلات الزراعية، وتقتل الحياة البرية، وتلوث المياه عندما تستعمل بإفراط. ويبدو أن الوسيلة الوحيدة للأسر الزراعية للحياة هنا تتمثل بقطع أشجار الغابات وتنظيفها وزراعتها في سبيل الحصول على الغذاء. لقد تحرك الشباب منهم صوب المدن التي وجدوا فيها صعوبة كبيرة في الحصول على العمل والنقود الكافية لشراء الطعام ودفع قيمة الأدوية التي يحتاجونها لأنفسهم ولأولادهم.

إزاء هذه التغيرات البيئية والاجتماعية الضارة الجارية الآن في العالم النامي وجدت بالطرف المقابل ثورة علمية ومعلوماتية حديثة ستعمل على تحسين الحياة العامة والصحة لسكان الكرة الأرضية، بالإضافة إلى أنها ستشكل ثروة كبيرة لبعض الأقطار الغنية التي عمل الباحثون فيها على إيجاد وسائل اكتشافها واستخدامها. هذه الثورة العلمية تتمثل باستخدام الهندسة الوراثية والتقنيات الحيوية في تطوير الزراعة وزيادة الغلال بالمحاصيل الزراعية وإنتاجية الحيوانات من الحليب واللحم والبيض وغيرها. السؤال المطروح هنا: هل تستطيع هذه الثورة أن تكون سلاحا لمحاربة الجوع والفقر وتوفير الغذاء لفقراء العالم؟ وما هي الفرص والمشاكل والمخاطر التي تحتويها هذه التقانات الجديدة وهل يمكن إدارتها بشكل سليم؟

إنّ السؤال الأخير يعتبر نقطة هامة في ضوء العلاقة العكسية بين الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي حول الأغذية المعدلة وراثياً Genetically modified foods وضررها بالنسبة للمحاصيل الاستوائية ومنافعها التي تنمو عادة في بيئات قاسية وعلى ترب فقيرة.

## **2.1 الفرص**

### **1.2.1 تعريف التقانات الحيوية ومكوناتها التقنية :**

لقد عرّف المؤلفان Parsley and Doyle عام 2001 التقنية الحيوية بصورة بسيطة وقالوا: "هي أية تقنية تستخدم الكائنات العضوية أو المواد الناتجة عنها لتحويل أو تعديل المنتج وتحسين النباتات أو الحيوانات أو تنمية الكائنات العضوية الدقيقة لاستخدامات محددة". أمّا مكوناتها التقنية فهي:

1. الذرات Genomics التي تصف جميع الأنواع.
2. بيوانفوماتكس Bioinformatics: أي جمع البيانات الناتجة عن تحليل الذرات بأشكال يسهل الوصول إليها.
3. التبدل أو التحور Transformation: أي تقديم الجينات، بشكل إفرادي، المانحة للفائدة الكامنة للسمات الموجودة في النباتات أو الحيوانات أو أنواع الأشجار المثمرة أو الأسماك.
4. تربية الذرات والجزيئات: أي تحديد وتقييم السمات المرغوبة في برامج التربية مع الاستفادة من عملية اختيار العلامات المساعدة.
5. التشخيص Diagnostic: أي استخدام سمات الذرات والجزيئات لإحداث تحويرات أكثر سرعة ودقة للأمراض.
6. تقنية التلقيح Vaccine technology أي استخدام المحرضات الحديثة لتطوير وإعادة لقاحات الحامض النووي DNA بهدف تحسين عملية التحكم بالأمراض المميتة.

### **2.2.1 استخدام التقانات الحيوية**

في عام 1998 وصل حجم مبيعات منتجات التقانات الحيوية في السوق العالمية 13 مليار دولار على الأقل لـ 80 منتجاً تقريباً، ومعظمها ذات سمات طبية وهي في طريقها للأسواق أو قريبة منها. في السنوات الأخيرة بدأت الدول المنتجة لمنتجات التقانات الحيوية بقطف ثمار عقدين من البحوث والتنمية (R&D) المكثفة والمكلفة في التقانات الحيوية الزراعية، حيث زرعت 28 مليون هكتار بـ 40 محصولاً زراعية معدلة وراثياً transgenic عام 1998. ومعظم هذه المحاصيل كانت من أصناف القطن والذرة وفول الصويا الحديثة والمحورة وراثياً. وقد زرعت الدول النامية من المساحة والمحاصيل المذكورة قرابة 15% تقريباً.

ومن المحتمل توريد معظم حلول التقانات الحيوية الزراعية بشكل بذور نباتات جديدة أو بشكل سلالات حيوانات. ويمكن لهذه البذور أو الحيوانات أن تستخدم في عمليات الانتخاب

بالطرائق التقليدية لتحسين سلالات المحاصيل المزروعة وتطوير الحيوانات في الدول المستوردة لها. ويتمثل الاختلاف بين البذور التقليدية والبذور المعدلة جينيا في أنّ التقانات الجينية الجديدة تحدد السمات الإيجابية والسلبية بسرعة أكبر وبدقة واضحة من عمليات التربية المعتادة أو الكلاسيكية. كما يمكن للتقنيات الحيوية الجديدة تقديم الجينات المسيطرة أو المتحكمات بالسمات السلبية للأصناف النباتية والسلالات الحيوانية بشكل دقيق جدا ويفوق كثيرا الطرائق التقليدية للتحكم بها.

إن استخدامات التقانات الحيوية في الزراعة ما زالت في مهدها كالطفل الصغير، إذ إنّ الجيل الأول من الأصناف النباتية المهندسة وراثياً قد حوّر أو عدّل فقط لسمة واحدة Single trait مثل مقاومة الآفة والمبيد. أما التقدم السريع في العملية الجينية Genomics فيتمثل بطرائق نقل جينات كل من النباتات والأشجار والحيوانات وتعديل أو تحويل كل منها جينيا. إنّ تربية السمات أو الصفات المعقدة مثل سمة الجفاف التي يسيطر عليها العديد من الجينات يجب أن تصبح عادية، وهذه تعتبر مساحة كبيرة كامنّة من المنافع للمحاصيل الاستوائية التي تنمو عادة في بيئات قاسية وعلى ترب فقيرة.

ولتقرير حجم المنافع التي تقدمها التقانات الحيوية الحديثة للفقراء في الدول النامية يحتاج أصحاب القرارات والسياسيون على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية تحليل المشكلات المحددة للإنتاجية الزراعية والمشكلات الخطرة على البيئة وما هي إمكانيّة حل هذه المشكلات بتكامل التقانات الحيوية وعمليات البحوث التقليدية والتنمية وبالتالي تحديد أفضل الحلول. ويبدو أنّ معالجة هكذا أمر يعتبر حدثا ذاتيا لكل دولة، إلّا أنّ تحليل هكذا استراتيجية مستقلة عادة ضرورية لمعرفة إمكان المساهمة بالمنافع أو المخاطر الناتجة عن استخدام هذه التقانة الحديثة. عموما يمكن القول إنّ التقانات الحيوية الحديثة لن تحل جميع المشاكل المتعلقة بعدم توفر الغذاء والفقير في العالم النامي، ولكنها تستطيع أن تكون مفتاح المكونات لحل يعطي الفرصة لتحقيق ذلك.

### 3.2.1 الإطار السياسي

وكما قلنا في البداية فالتقانات الحيوية الحديثة لن تحلّ جميع مشاكل الأمن الغذائي والفقير، ولكن يمكنها تقديم مكون مفتاح الحل إذا أعطيت الفرصة، وإذا رافق ذلك مجموعة من السياسات الملائمة التي تمكّن من أو تقود إلى:

1. زيادة الاستثمارات في البحوث والتنمية بما فيها الاستثمارات الخاصة بالتقانات الحيوية
2. وضع الترتيبات المنتظمة التي تحمي وتعلم العامة من الأفراد عن المخاطر التي قد تظهر من الكائنات المحوّرة أو المعدّلة وراثياً Genetically modified organisms.
3. إدارة الملكية الفكرية بهدف تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في هذا المجال.
4. تنظيم قطاع البحوث الزراعية والبذور الناتجة عن القطاع الخاص لحماية فوائد المزارعين الصغار والمستهلكين الفقراء في الدول النامية.

### 4.2.1 بحوث القطاع العام والتنمية:

يمكن لكل السياسات المتعلقة بمساعدة الفقراء بالتوسع بالبحوث الزراعية والتنمية شاملة بحوث التقانات الحيوية التقليدية والحديثة بهدف حل المشاكل ذات الأهمية الخاصة للفقراء. فالمشاكل الخاصة بسلع الأيتام (الأغذية اللازمة للبقاء على قيد الحياة أو السلع الاستوائية التصديرية ذات الفائدة التجارية المحدودة للقطاع الخاص) تتطلب اهتماما خاصا. ويتوفر المعدلات العالية للعوائد يجب تشجيع الدعم الحكومي للبحوث الزراعية والتنمية في معظم الدول النامية وعلى المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية، حيث يساعد ذلك في تطوير السلع العامة اللازمة أو الضرورية للفقراء.

### 5.2.1 الأمان الحيوي

يعبر عن اصطلاح الأمان الحيوي Biosafety بمجموعة المقاييس المستعملة في التعرف على المخاطر الناتجة عن استخدام التقانات الحيوية، أي المخاطر المتعلقة بالكائنات الدقيقة المحوّرة

أو المعدلة وراثياً وإدارة هذه المخاطر مثل المخاطر الفطرية أو المخاطر، التي تتخطى أو تلازم التقانات المستخدمة، وتحتاج عادة هذه المخاطر لإدارة نوعية خاصة. وتنشأ المخاطر عادة عن الاستعمال الخاطئ للتقنيات أو عن التدخلات السياسية والاجتماعية في استعمال التقانات الحيوية. كذلك يتضمن اصطلاح الأمان الحيوي الخوف والقلق من الإمكانيات الكبيرة لهذه التقانات وزيادتها لفجوة الرخاء بين الأغنياء والفقراء، بالإضافة إلى مساهمتها في فقد التنوع الحيوي، وأخيراً الخوف والقلق الأخلاقي على حياة الكائنات الدقيقة المكتشفة، وتحرك الجينات (السلبية) بين أنواعها حيث تدخل في هذا الإطار.

لقد نشأت مبادئ وتطبيقات إدارة مخاطر التقانات الفطرية Technology-inherent risks بكثرة في دول نامية عديدة، حيث أخذت هذه الدول في اعتبارها طبيعة الكائنات الدقيقة ومدى تألفها مع كل من: المنتج، الملامح المميزة للعملية التي يتم بها إنتاج المنتج، ومع البيئة المقدمة له. كذلك تم وضع التنظيمات الممكنة لإيجاد المخاطر واستخراجها قبل توضعها بالمنتج عن طريق إعطاء التوصيات اللازمة أو المناسبة للعاملين. أخيراً يمكن القول إن نظام الإنتاج للمنتجات المعدلة وراثياً قد وضع بترتيب خاص يحقق الثقة لكل من المنتجين والمستهلكين ولرجال الأعمال وللمجتمعات الزراعية، بالإضافة إلى أن الاتفاقات العالمية الحالية والمقترحة التي تحكم حركات الكائنات الدقيقة المحورة وراثياً تساهم بشكل فعال في الأمان الحيوي.

### 6.2.1 إدارة الملكية الفكرية

يتمثل الهدف من إدارة الملكية الفكرية بحماية الابتكارات وقدرة توصيلها إلى التقانات المطورة في كل مكان من العالم. وتعتبر التجارة المرتبطة بحقوق الملكية الفكرية Trade-related intellectual property rights ذات قلق دائم لمنظمة التجارة العالمية World Trade Organization، نظراً لأن نظام براءات الاختراع الحالي يفضل تلك الأقطار التي لها اختراعات كبيرة وقوية كالولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وإن تعديل هكذا نظام يتطلب جهوداً كبيرة يصعب تحقيقها ضمن نظام العولمة الحالي، كما أن القصور في هذا النظام في حماية الملكية

الفكرية في الكثير من الدول النامية يحد من استثمارات القطاع الخاص في مجال التقانات الحيوية.

### 7.2.1 القطاع الخاص

تعتبر مساهمة القطاع الخاص حساسة لعملية تطوير وتوريد منتجات التقانات الحيوية الجديدة. وتشمل عادة البيئة المناسبة لتشجيع مساهمة القطاع الخاص نموذجاً أو نظاماً دقيقاً يعلم عامة الأفراد بالمنافع والمخاطر الناتجة عن استخدام التقانات الحيوية الجديدة. كما يمكن للقطاع الخاص أن يساهم في تطوير منتجات التقانات الحيوية وتسويقها، شريطة توفير البيئة المناسبة له والمتمثلة بوجود النظام المذكور، والذي يحوي: تعليم عامة الناس فوائد ومخاطر استخدامات التقانات الحيوية ومنتجاتها، إطار عمل شرعي وقانوني لحماية الملكية الفكرية، البنية التحتية المناسبة للنقل والاتصالات، نظاماً ضريبياً عادلاً، حوافز استثمارية، قوى عاملة حاذقة، دعماً للقطاع الجامعي بشكل جيد، التمويل الحكومي للبحوث والتنمية، حوافز خاصة بالاختراعات المشتركة بين القطاع العام والخاص، وأخيراً إشراك عنصر المخاطرة على المستويات الوطنية والعالمية.

### 8.2.1 توريد الحلول للفقراء

تسمى التطبيقات الناجحة للتقانات الحيوية الحديثة للمشكلات المسببة لنقص التغذية والجوع والفقر أحياناً بالحلول الحيوية Biosolutions. ويتطلب توريد هذه الحلول الحيوية لمشكلات الأمن الغذائي والفقر سياسة تنمية دائمة وجهوداً ونشاطات على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية تشمل خمسة مجالات هي:

1. تقرير الأولويات وحصر الفوائد والمخاطر النسبية وذلك بالتشاور مع الفقراء الذين غالباً ما تهملهم القيادات السياسية التي تقرر نيابة عنهم ما هو الأفضل لهم.

2. وضع السياسات المفيدة للفقراء التي تقلل مخاطر التقانات المتقدمة (المتجاوزة) Technology transcending والتي تؤثر باتجاه معاكس أي على الفقراء.

3. خلق أو إيجاد بيئة تسهل استعمال السلامة للتقنيات الحيوية عبر الاستثمارات، التنظيم، حماية الملكية الفكرية، والحكم الجيد.

4. الربط الفعال بين التقانات الحيوية وتقانة المعلومات بحيث يمكن فرض الضرائب على المكتشفات العلمية الجديدة واستخدامها (الضرائب) لمعالجة مشكلات عدم توفر الغذاء والفقر في زمن محدد.

5. تقرير أي الاستثمارات الحكومية والدولية سوف تستخدم في تنمية الموارد البشرية بهدف ضمان الحلول الحيوية لمشاكل الأمن الغذائي ووصولها للفقراء.

## 2. التنمية المناسبة: سياسات التقانات الحيوية لتطوير الزراعة القطرية(\*)

### 1.2 تمهيد

يمكن لبحوث التقانات الحيوية ان تخفض الفقر وتحسن وضع الأمن الغذائي والتغذية في العالم، وجعل استعمال الموارد الطبيعية أكثر استدامة، ولكن إذا ركزت هذه البحوث على المشكلات التي تواجه الفقراء بالدول النامية، وإذا صاحبها وضع السياسات المناسبة.

كذلك يمكن للتقانات الحيوية الحديثة زيادة الإنتاج الزراعي وزيادة الإنتاجية الزراعية في وحدة المساحة في الدول النامية، وبالتالي تزيد دخل المزارعين والعمال الزراعيين وبالتالي تقلص حجم الجوع والفقر ونقص التغذية فيها. ولكن تحقيق مثل هذه الفوائد يتطلب إعداد السياسات لعدد من الجوانب أو النقاط المختلفة. فالمزارعون الصغار في الدول النامية يواجهون تباينات واضحة في المشكلات والمحددات الزراعية: الفقد بالمحاصيل عائد للآفات والأمراض والحشرات، الجفاف يهدد دخول المزارعين وإمكانات توفر الغذاء، الأراضي الحامضية وانخفاض الخصوبة، القصور

---

(\*) أعدّ هذه النشرة:

"Developing Appropriate: Biotechnology Policies for Developing-Country Agriculture" مدير

مركز بحوث سياسات الغذاء العالمي IFPRI، Per Pinstrup-Anderson، 2001، Washington, D.C. USA

في الأصول الرأسمالية اللازمة لتغذية النباتات بالتكلفة (الأسعار) المقبولة، العوامل الإحيائية وغير الإحيائية الأخرى المساهمة في خفض الغلال، البنى التحتية الفقيرة والأسواق الضعيفة النشاط للمدخلات والمخرجات، القصور في الوصول للقروض والمساعدة الفنية، وأخيرا المشكلات المزججة للمزارعين الصغار.

إنَّ إيجاد الحلول لهذه المشكلات وغيرها سوف تفيد كلا من المزارعين والمستهلكين. وبالرغم من أنَّ التقانات الحيوية لا تستطيع حل هذه المشكلات، إلّا أنها تستطيع تقديم المكونات الحساسة للحلول، فيما إذا أُدبرت من قبل السياسات الملائمة. هناك أربع مجموعات من السياسات اقترحها الباحثون في معهد بحوث سياسات الغذاء العالمي (I FPRI) نعرض لها فيما يأتي:

### **3.2 سياسات بحوث خدمة الفقراء**

يجب أن تمتد سياسات بحوث التقانات الحيوية لتشمل التقانات المتعلقة بحل المشكلات ذات الأهمية الخاصة بالفقراء وفي طليعتها المشكلات المتعلقة بالأغذية ذات المستويات الملائمة للطاقة والبروتين والعناصر الصغرى والفقد بالمحاصيل الناتج عن العوامل الحيوية وغير الحيوية. ويجب أن تركز البحوث على المحاصيل ذات الأهمية الخاصة بالمزارعين الصغار وكذلك بالمستهلكين الفقراء في الدول النامية كالموز والكاسافا واليام والبطاطا الحلوة والأرز والذرة والقمح والميليت. في المنتجات الحيوانية وحدها تبدو الملامح أكثر ارتفاعا في الأغذية والنشاطات الإنتاجية للفقراء. حالياً يجري التركيز على بحوث قليلة نسبيا خاصة بالتقنيات الحيوية التي تساعد المزارعين الصغار والمستهلكين الفقراء على حلّ مشكلات إنتاجهم ومشكلات تغذيتهم. من جهة أخرى أكدت التنبؤات أن الفقراء في الدول النامية غير راغبين بفوائد التقانات الحيوية الزراعية الحديثة في المستقبل القريب، كونها لا تقدم لهم سوى الشيء اليسير من جهة، ولا تعطيهم فرصة للعمل بشكل صحيح من جهة أخرى.

### **4.2 توزيع الموارد العامة الإضافية على البحوث الزراعية**

هناك ثلاثة طرق للتوسع في بحوث التقانات الحيوية لفائدة الفقراء هي:

أولاً: توزيع الموارد العامة الإضافية على البحوث الزراعية: بما فيها بحوث التقانات الحيوية الواعدة للمنافع الاجتماعية الكبيرة وإيجاد نظم البحوث الوطنية الزراعية والعالمية وتوسيعها أو بناء نظام جديد. حالياً تستثمر الدول النامية المنخفضة الدخل أقل من 0.5% من قيمة إنتاجها الزراعي في البحوث الزراعية بالمقارنة بـ 2% في الدول المتطورة. ورغم الانتشار الواسع للاستثمارات في البحوث الزراعية في الدول المتطورة (التي تعطي معدلات عوائد سنوية عالية لا تقل عن 88% لأكثر من 1000 مشروع بحث زراعي تمّ بها في السنوات الأخيرة)، لا زالت الاستثمارات الحكومية والقطاع الخاص بالدول النامية في البحوث الزراعية محدودة جداً، خاصة للبحوث التي تسمح بربح عال وكاف من العوائد. لقد وجد القطاع الخاص بالدول المتطورة بأن البحوث الزراعية ما زال بإمكانها خلق المنافع الكبيرة للمزارعين والمستهلكين على السواء كما هو واضح من الدراسة الحديثة لتوزيع المنافع الواردة من استخدام فول الصويا المعدل وراثياً في الولايات المتحدة الأمريكية. إنّ أصحاب البراءات والاختراعات وشركات البذور الخاصة تحصل على ثلث الفوائد الاقتصادية الكلية، في حين يحصل المزارعون والمستهلكون على الثلثين. وبينما زادت مساهمة القطاع الخاص في البحوث الزراعية بشكل سريع في الدول المتطورة خلال الـ 10-15 سنة الماضية، إلا أنّ مساهمة القطاع المذكور في البحوث الزراعية ما زالت تمثل جزءاً صغيراً في الدول النامية.

ثانياً: تحويل المنافع الاجتماعية إلى منافع خاصة: يمكن توسيع بحوث القطاع الخاص المتعلقة بالفقراء عن طريق تحويل بعض المنافع الاجتماعية Social benefits إلى منافع خاصة بالقطاع الخاص، كما يمكن للقطاع العام جذب القطاع الخاص لتطوير التقانات الخاصة بالفقراء، وذلك بتقديمه لهذه الضمانات الخاصة بإمكانية شرائه الحقوق المطلقة للتقانات المطوّرة الحديثة وجعلها تحت تصرف المزارعين الصغار بتكلفة مقبولة منهم. إنّ حجم العرض المقدم يمكن تقريره على أساس المنافع الاجتماعية المتوقعة، وذلك باستخدام عائد سنوي متوقع للبحوث الزراعية يقع بين 60-80%. وتتمثل هنا أحياناً خطورة الإخفاق في تطوير تقنية نوعية تبقى في

الجهة الباحثة (الشركة أو المنظمة) كما هي دون عرضها في الأسواق لبيعها لسبب ما. بشكل عام يأتي عرض القطاع العام الخاص بالشركة الباحثة بعد تطوير التقنية وتجريبها وتوفيرها من قبل الشركة الباحثة. كما يمكن لكلا القطاعين العام والخاص أن يشتركا معا في البحث وبالتالي يتقاسمان المنافع بشكل يتفق عليه. في الواقع هناك فرص كبيرة للتعاون بين شركات علمية متعددة وطنية وشركات علمية أجنبية خاصة أو مؤسسات علمية أجنبية حكومية في كل من الدول النامية والمتطورة على السواء، يمكن التعاون معها في مجالات البحث العلمي الزراعي. كما يمكن للمؤسسات الدولية والإقليمية البحثية والتمويلية أن تقدم المساعدة في عملية البحث، كما فعل الباحث Jeffrey Sachs من جامعة هارفارد لتطوير لقاح الجدري للأمراض الاستوائية .

**ثالثاً: حماية حقوق الملكية:** وكما ذكر في الفقرة السابقة فالطريق الثالث للتوسع في بحوث التقانات الحيوية لمساعدة الفقراء يتمثل بإصدار التشريعات والقوانين لحماية الملكية الفكرية لشركات البحوث الخاصة التي تعمل على تطوير أنواع معينة من التقانات مثل سلالات البذور العقيمة Seed infertile offspring أو إجراء العقود المباشرة مع المزارعين لشراء البذور كل موسم. هذا الشكل من التعاون يجعل الأمر سهلاً للقطاع الخاص، بحيث يستطيع استرداد قوته ودخله لمتابعة عملية البحث. ولكن قد تكون سلالات البذور العقيمة غير ملائمة للمزارعين الصغار في الدول النامية، كونها تحدث أخطاراً كبيرة للأمن الغذائي. فالبنى التحتية المتوفرة والعمليات الإنتاجية في هذه الدول قد لا تكون قادرة على إبقاء البذور العقيمة والمخصبة منفردة، وبالتالي يواجه المزارعون الصغار تبعات قاسية عند زراعة البذور العقيمة بشكل خاطئ. إن تحذير هؤلاء المزارعين وإلزامهم بالعقود لاستعمال بذور المحاصيل التي ينتجونها ستكون مكلفة لهم وصعبة التحقيق.

## 5.2 سياسات الحماية ضد المخاطر الصحية

لا يمكن الجزم بأن الأغذية المعدلة وراثياً جيدة أو سيئة لصحة الإنسان بشكل أساسي، إذ يتوقف تأثيرها الصحي على محتوياتها النوعية. فالأغذية المعدلة وراثياً ذات المحتوى المرتفع من

الحديد القابل للهضم من المحتمل أن تفيد المستهلكين المصابين بنقص عنصر الحديد، إلا أن انتقال الجينات من نوع لآخر يمكن أن ينقل معه السمات المسببة لانتفاعات الحساسية allergic reaction. لذلك لا بد من فحص الأغذية المعدلة وراثياً لمعرفة مدى انتقال هذه الانتفاعات قبل المتاجرة بها. إنها عملية إحكام تشبه تلك التي تجري على الذرة البرازيلية المعدلة وراثياً ذات الجينة البندقية Brazil nut gene قبل المتاجرة بها. إن الأغذية المعدلة وراثياً التي يحتمل وجود مخاطر انتفاعات الحساسية بها يجب أن تحمل علامات مميزة لها Labeling، كي يتعرف المستهلك عليها خاصة في المجتمعات التي تلعب بها العوامل الثقافية - الاجتماعية - الدينية دوراً مباشراً في حياتها. كذلك قد تتطلب عملية التمييز هذه تحديد عملية الإنتاج ذاتها نظراً لرغبة المستهلك تجنب أية مخاطر صحية نوعية.

إنه من الخطأ إزالة الجينات المقاومة للمضادات الحيوية المميزة والمستعملة في البحوث قبل المتاجرة بالأغذية المعدلة وراثياً، نظراً لإمكانية تحملها المخاطر الصحية غير المعروفة. فالتشريعات الحديثة في الاتحاد الأوروبي مثلاً تتطلب إلغاء تلك الجينات المميزة قبل اعتبار الأغذية المعدلة وراثياً سليمة وصحية للمستهلكين. وبالتالي يجب أن يتضمن نظام الأمان الغذائي العام للدولة كافة إجراءات الحماية ضد المخاطر الصحية الناتجة عن الأغذية المعدلة وراثياً.

## 6.2 سياسات مواجهة المخاطر البيئية

عموماً يجب وضع النظم والتشريعات الخاصة بالأمان الحيوي، كما ذكر سابقاً، في الدول النامية قبل أن تجلب هذه الدول التقانات الحيوية الزراعية الحديثة لها، كما يجب أن تكون هذه النظم والتشريعات ذات نوعية خاصة بالدولة المعنية وتعكس عوامل الخطر المناسب. عموماً يحتاج أصحاب القرارات لتجنب المخاطر البيئية إلى وضع ضريبة تشمل انتشار السمات أو المميزات (مقاومة الأعشاب الضارة أو بناء المقاومة في المجتمعات الحشرية مثلاً) من النباتات المعدلة وراثياً إلى النباتات غير المعدلة وراثياً بما فيها البذور. إن البذور المنتجة للسلاسل أو الأنسال العقيمة يمكنها أن تكون حلاً فعالاً للمخاطر، شرط أن تكون مقرونة بعملية تلقيح

للنباتات Cross pollination وأن تكون، في الوقت نفسه، ملائمة للمزارعين الصغار. إن النموذج المستعمل لتطوير بذور فاصلة terminator seeds تعرض وعودا كبيرة لتطوير البذور التي تتجنب انتشار السمات المميزة عبر عملية التلقيح. ويجب أن تحوي البذور السمات المرغوبة (كمقاومة الآفة أو مقاومة ظاهرة الجفاف)، إلا أن كل سمة يجب أن تكون نشطة وفعالة بعد معاملتها بكيماويات خاصة، ودون هذه المعاملة الكيماوية تفضل البذور صيانة سماتها العادية بنفسها. وهكذا فإذا زرع المزارع بذورا محسنة، أي معدلة وراثياً، فإن النسل لن يبقى عقيماً، كما لا يمكن للبذور أن تعود ثانية لوضعها العادي (أي قبل تحسين السمات)، وبالتالي يختار المزارع عندها إما زراعة البذور العادية أو زراعة البذور المحسنة السمات باستخدام الكيماويات الخاصة.

هذا ويجب أن تعكس كل من التنظيمات الغذائية المأمونة والأمان الحيوي مضمون الاتفاقات الدولية ومستويات المخاطر المقبولة اجتماعياً بما فيها المخاطر المساعدة الناتجة عن عدم تطبيق أو استخدام التقانات الحيوية الجديدة بهدف إنجاز الأهداف المرغوبة. كما يجب أن يشارك الفقراء مباشرة في المناقشات واتخاذ القرارات والتعبير عن رغباتهم بالتغيرات التقنية (التكنولوجية) ومخاطر هذه التقانات وتبعاتها وكذلك أنواع خيارات التغيرات الأخرى.

## **7.2 سياسات تنظيم القطاع الخاص**

لقد بيّنا في فقرات سابقة دور القطاع الخاص وأهميته في تطوير صناعة التقانات الحيوية ونقلها سواء على المستويات المحلية أو على المستويات الإقليمية والعالمية. وبالتالي هناك تركيز دولي وإقليمي ومحلي على انخراط الشركات في المستويات المختلفة المذكورة في عملية صناعة التقانات الحيوية ونقلها والمتاجرة بها بين الدول. هذا الوضع الاقتصادي -العلمي - الاجتماعي يتطلب من حكومات الدول النامية تنظيم العلاقات بين المستويات الثلاثة لشركات القطاع الخاص، وذلك عبر التشريعات الخاصة بذلك درءاً لعمليات احتكار الشركات الخاصة بهذه التقانات، وهي محدودة جداً في الدول النامية (شركة واحدة أو عدة شركات على الأكثر المتعاملة ببذور المحاصيل المعدلة وراثياً). وكذلك هذه التشريعات مطلوبة لضمان ملكية الحقوق الفكرية

بشكل تتوافق مع إطار منظمة التجارة العالمية واتفاقية التنوع الحيوي.

## 8.2 الخاتمة

إنّ بحوث التقانات الحيوية الجديدة يمكن أن تساعد في تقليص الفقر وتحسين وضع الأمن الغذائي والتغذوي وأن تجعل الاستفادة من الموارد الطبيعية أكثر استدامة، ولكن إذا ركّزت هذه البحوث على مواجهة مشكلات وفرص الناس الفقراء في الدول النامية، وشريطة أن ترافق سياسات مناسبة. إنّ التقانات الحيوية الحديثة ليست كرة فضية، وإنّما يمكن أن تكون أداة قوية لمحاربة الفقر ويجب توفيرها للمزارعين وللمستهلكين الفقراء.

### 3. إدارة ثورة المحاصيل المعدّلة وراثياً<sup>(\*)</sup>

يقول الباحث Robert L. Paarlberg: "يمكن الحكم على رغبة الدول النامية أو ميلها بدعم أو عدم دعم انتشار إدارة المحاصيل المعدّلة وراثياً وفقاً لفرص سياسة اختيارها". وفي ضوء ذلك يطرح السؤال التالي:

هل تتبنى الدول النامية السياسات الواعدة لزراعة المحاصيل المعدّلة وراثياً أم هل تختار هذه الدول السياسات القائمة على بطء انتشار الثورة الخضراء الزراعية الثالثة (ثورة الهندسة الوراثية والتقنيات الحيوية)؟

في الواقع تظهر شواهد السنوات الأخيرة الخلط بين نوعي السياستين المذكورتين. ففي بعض الدول النامية الكبيرة كالصين وضعت هذه الدولة السياسات المشجعة للتنمية المستغلة في زراعة المحاصيل المعدّلة وراثياً، في حين لم توافق دول نامية مشهورة أخرى على زراعة هذه المحاصيل ولا على سياسة التنمية المتعلقة بها. إنّ انعطاف الدول النامية لتعزيز أو لوقف انتشار المحاصيل المعدّلة وراثياً يمكن الحكم عليه، كما يقول الاختصاصيون، من خلال السياسات التي توجد في

---

(\*) أعدّ هذه النشرة: "Governing the GM Crop Revolution: Policy choices for Developing Countries"

الباحث Robert L. Paarlberg، IFPRI، Washington، D.C. USA، 2001.

خمس حقول أو مجالات أو مناطق منفصلة وهي سياسات: حقوق الملكية الفكرية، الأمان الحيوي، الأمان الغذائي، السياسة التجارية، والاستثمارات في البحوث الحكومية أو القطاع العام، الجدول (1).

### 1.3 خيارات السياسة تجاه المحاصيل المعدلة وراثياً

#### 1.1.3 خيار سياسة حقوق الملكية الفكرية

إذا رغبت الدول النامية في إحضار تقنيات المحاصيل المعدلة وراثياً واستخدامها في أنظمتها الزراعية فلا بد أن تعترف ببعض حقوق الملكية الفكرية للشركات المطورة لهذه المحاصيل المعدلة وراثياً. وفي الحالات الشديدة يمكنها (الدول النامية) تبني نموذج حقوق الملكية الفكرية للولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي تضمن حماية كاملة للابتكارات أو الاختراعات. وفي سياسة أقل تشجيعاً يمكن تطبيق مضمون الاتفاقية الدولية لضمان حقوق الملكية الفكرية لمربي النباتات لعام 1991 التي تقوض مربي النباتات لاستخدام الأصناف المحمية Protected varieties كمورد أساسي لإيجاد الأصناف الجديدة (اتفاقية الاتحاد الدولي لحماية أصناف النباتات الجديدة International Union for the Protection of New Varieties of Plants (UPOV)). أما النموذج الأكثر ضعفاً فيشتمل على النسخة الأقدم للاتفاقية الدولية لحماية الأصناف الجديدة للنباتات لعام 1978، والتي تحتفظ بحقوق المزارعين إعادة زراعة البذور من الأصناف المحمية في مزارعهم الخاصة. أما النموذج الرابع والضعيف فلا يعترف بأية حقوق ملكية فكرية لمربي النباتات.

#### 2.1.3 خيار سياسة الأمان الحيوي

في مجال الأمان الحيوي أو البيولوجي فإن معظم السياسات المشجعة للمحاصيل المعدلة وراثياً تعمل على الموافقة على استعمال هذه المحاصيل دون أي حذر، ولكن تدرس كل حالة وحدها، أي يتم غرلة الجينات غير المتدفقة غير المرغوبة unwanted gene flow أو أخطار الأنواع غير المستهدفة. إن النموذج التشخيصي يأخذ بغرلة المحاصيل المعدلة وراثياً حالة بعد حالة، ولكن فقط بالنسبة للمخاطر التي يمكن إثباتها علمياً. أما النموذج الأكثر حذراً (الوقاية)

فيرى برفع المحاصيل المعدلة وراثياً حالة بعد حالة (لكل حالة بمفردها) وحتى دون برهان أو فحص، ما دام هناك وجود لبعض النقاط العلمية غير المضمونة (الأكيدة). والنموذج الأخير (المنع) يفترض الخطر في جميع الحالات بسبب كون المحاصيل المعدلة وراثياً عمليات للهندسة الوراثية جديدة.

الجدول (1) سياسة الاختيارات تجاه المحاصيل المعدلة وراثياً

| السمية                     | الترويج                                                                                                     | الترخيص                                                                                                                                | الوقاية                                                                                                                                       | المنع                                                                                                                |
|----------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| حقوق الملكية الفكرية       | حماية كاملة للمخترعين ومربي النبات والحقوق الأخرى وفق اتفاقية UPOV، 1991 (1)                                | مربي النبات وفق اتفاقية UPOV، 1991                                                                                                     | مربي النبات وفق اتفاقية UPOV، 1978 الذين يحتفظون بحقوق المزارعين                                                                              | عدم وجود IPRs للنباتات والحيوانات أو وجودها على الورق (2)                                                            |
| الأمان الحيوي              | عدم وجود ربط مع الرعاية، ووجود ربط أساسه موافقات الدول الأخرى                                               | ربط كل حالة وحدها بالنسبة للخطر ويتوقف ذلك على المنتج المقصود                                                                          | ربط كل حالة وحدها للأمور الصحية غير المؤكدة العائدة لعملية الهندسة الوراثية المعدلة الحديثة                                                   | عدم وجود رعاية لحالة الربط بل هناك خطر مفترض بسبب عملية الهندسة الوراثية المعدلة الحديثة                             |
| التجارة                    | تشجيع المحاصيل المعدلة وراثياً تكلفة السلع المنتجة وتساعد التصدير، ولا تحدد مستوردات البذور المعدلة وراثياً | لا تشجع ولا تمنع المحاصيل المعدلة وراثياً. السلع المعدلة وراثياً المستوردة محدودة بطريقة ما كالسلع العادية وفقاً لمقاييس (WTO) العلمية | مستوردات البذور والسلع المعدلة وراثياً محددة بشكل منفصل وبدرجة أكبر من السلع العادية. علامات التمييز ملزمة على السلع الغذائية المعدلة وراثياً | مستوردات البذور والسلع المعدلة وراثياً ممنوعة                                                                        |
| أمان الغذاء وخيار المستهلك | لا توجد موانع تنظيمية بين الأغذية المعدلة وراثياً والأغذية العادية عند فحصها أو تمييزها للأمان الغذائي      | توجد موانع تنظيمية بين الأغذية المعدلة وراثياً والأغذية العادية عند فحصها على بعض المميزات الغذائية ولكن لا تتطلب عزل قنوات التسويق    | مطلوب علامات تمييز واضحة لجميع الأغذية المعدلة وراثياً كما توجد عوازل قوية بين قنوات التسويق                                                  | ضرورة الإعلان عن مبيعات الأغذية المعدلة وراثياً ووضع العلامات المحذرة من هذه السلع كونها غير صالحة للاستهلاك الغذائي |
| الاستثمارات                | صرف موارد الثروة                                                                                            | صرف موارد الثروة                                                                                                                       | عدم صرف موارد الثروة                                                                                                                          | عدم صرف أي من الموارد                                                                                                |

|          |                                                                                 |                                                                                                                    |                                                                                                                                                          |                                                                                                                 |
|----------|---------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الحكومية | المحلية على التنمية<br>وعلى تبنّي تقنيات<br>المحاصيل المعدّلة وراثياً<br>محلياً | المحلية على تبنّي<br>تقنيات المحاصيل<br>المعدّلة وراثياً محلياً<br>ولكن ليس على تنمية<br>انتقال الجينات<br>الجديدة | المحلية الجيدة على تبنّي<br>تقنيات المحاصيل المعدّلة<br>وراثياً أو بحوثها. يسمح<br>للممولين بتمويل عملية<br>التبنّي المحلية للمحاصيل<br>المعدّلة وراثياً | المالية المحلية أو موارد<br>الممولين على أي من<br>تقنيات المحاصيل المعدّلة<br>وراثياً أو تبنّي طرائق<br>تنميتها |
|----------|---------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

ملاحظة: (1) (UPOV) = الاتفاقية الدولية لحماية الأصناف الجديدة للنباتات لعام 1991

(2) (IPR) = حقوق مربي النباتات. (WTO) = منظمة التجارة العالمية

### 3.1.3 خيار السياسة التجارية

تعتبر موافقة المستهلك على شراء المحاصيل المعدّلة وراثياً في الدول المستوردة الأساسية لاستمرار انتشار هذه المحاصيل ومنتجاتها. ومع افتراض موافقة المستهلك فإن سياسة ترويج تجارة المحاصيل المعدّلة وراثياً ستبحث أهمية المواد النباتية المعدّلة وراثياً والبذور دون وجود محددات، وكذلك ترويج زراعة المحاصيل المعدّلة وراثياً، مع الأمل بخفض تكاليف الإنتاج المزرعية، وبالتالي تصبح الدول المصدرة أكثر تنافساً. إنّ النموذج الأكثر حياداً يجب أن يكون لا مشجعاً ولا مانعاً لزراعة المحاصيل المعدّلة وأتّه يعامل البذور المعدّلة وراثياً والمستوردات السلعية المعاملة نفسها وطرق مستوردات السلع غير المعدّلة وراثياً نفسها. أما النموذج الأكثر تحذيراً للسياسة التجارية فيتمثل بتطوير وتطبيق طرق منفصلة أكثر تحديدا وتنظيماً ووضعاً للعلامات المميزة للبذور المعدّلة وراثياً أو السلع الناتجة عنها المستوردة بالمقارنة مع السلع والبذور غير المعدّلة وراثياً. أمّا خيار سياسة منع المتاجرة أو وقفها فيتمثل بحرمان المستوردات المعدّلة وراثياً من الدخول للبلد، وكذلك وضع الحواجز أمام زراعة المحاصيل المعدّلة وراثياً.

### 4.1.3 خيار سياسة أمان الغذاء وخيار المستهلك

في هذا المجال تقوم سياسة التشجيع على أساس عدم وجود أخطار على الصحة الإنسانية نتيجة استهلاك المحاصيل المعدّلة وراثياً ومنتجاتها من السلع، وبالتالي فلا ضرورة لإجراء تحريات إضافية أو وضع علامات مميزة لها. إنّ النموذج الأقل تشجيعاً يطلب علامات مميزة

لبعض الأغذية المعدلة وراثياً ضمن اهتمامات المستهلك وحقوقه لمعرفة المقاييس المميزة والمتساهلة الكافية، وبحيث لا يوجد فصل أو عزل كامل للسلع المعدلة وراثياً عن السلع غير المعدلة وراثياً (العادية). أما النموذج الأكثر حذراً سيفرض وجود علامات مميزة وشاملة للأغذية المعدلة وراثياً كافة كما يطلب عزل الأسواق، في حين يرغب نموذج المنع بالمنع الكلي للأغذية المعدلة وراثياً وتميزها بطرق واضحة لفضحها ومنع استعمالها.

### 5.1.3 خيار سياسة استثمارات البحوث العامة

يجب على الدول النامية إنشاء أو إيجاد مدى لخيارات الاستثمارات في البحوث الزراعية تجاه المحاصيل المعدلة وراثياً. ففي نموذج الترويج يمكن صرف موارد الخزينة كلها لتطوير المحاصيل المعدلة وراثياً. أما في نموذج الترخيص فهناك إمكان لصرف الاستثمارات في هدف محدد كالتصالب الرجعي للسمات المعدلة وراثياً والمطورة من قبل الآخرين في بلازما النويات المحلية Backcrossing GM traits domestic germplasm، في حين يسمح نموذج الوقاية لعلماء الدول النامية بتعقب التصالب الرجعي لنقل الجينات للأصناف المحلية إذا رغب الممولون دفع تكاليف ذلك. أما النموذج الرابع والأخير (المنع) فلا يسمح مطلقاً بصرف أية نقود وطنية أو نقود الممولين على بحوث المحاصيل المعدلة وراثياً.

### 6.1.3 خيارات السياسة لأربع دول نامية

يمكن استعمال النظام السابق لتصنيف خيارات السياسة تجاه المحاصيل المعدلة وراثياً التي يمكن وضعها أو صنعها من قبل حكومات دول البرازيل والصين والهند وكينيا للموسم 2000/1999، جدول (2). وبينما اختارت الصين سياسات النموذج الثاني (الترخيص) تجاه المحاصيل المعدلة وراثياً، فقد اختارت كل من البرازيل والهند وكينيا النموذج الثالث (الوقاية).

**الجدول (2): السياسات الخاصة بالمحاصيل المعدلة وراثياً في كل من البرازيل والصين والهند**

وكينيا للموسم 2000-1999

| المجالات الخمسة | نموذج الترويج | نموذج الترخيص | نموذج الوقاية | نموذج المنع |
|-----------------|---------------|---------------|---------------|-------------|
|-----------------|---------------|---------------|---------------|-------------|

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002

| Preventive                       | Precautionary          | Permissive      | Promotional               |                                  |
|----------------------------------|------------------------|-----------------|---------------------------|----------------------------------|
| الهند                            | كينيا والصين           | البرازيل        | -                         | حقوق الملكية الفكرية             |
| -                                | كينيا والبرازيل والهند | الصين           | -                         | الأمان الحيوي                    |
| الهند                            | كينيا والبرازيل        | الصين           | -                         | التجارة                          |
| الأمان الغذائي<br>وخيار المستهلك | -                      | البرازيل والهند | كينيا والصين              | الأمان الغذائي<br>وخيار المستهلك |
| -                                | كينيا                  | -               | البرازيل والهند<br>والصين | استثمارات البحوث<br>الحكومية     |

في البرازيل والهند وكينيا تبلورت موافقة الأمان الحيوي كنقطة أساسية لمقاومة حركة ثورة المحاصيل المعدلة وراثياً. ويعتبر هذا التصرف من هذه البلدان مدهشاً كونه يقدم الحقيقة القائلة بأن موافقات الأمان الحيوي للمحاصيل المعدلة وراثياً التي قدمها العالم الصناعي ومخترع هذه المفاهيم لم تكن قوية بما فيه الكفاية وسياسات الأمان الحيوي المقدمة منه للزراعة ضعيفة في معظم الدول النامية. وإنه لمدهش أيضاً كون البرازيل والهند قد تحركتا ببطء شديد مع موافقات الأمان الحيوي للمحاصيل المعدلة وراثياً مقدمة كل منهما الحالة الاستثمارية الجيدة التي يمكن أن تعملها معاً في كلا البلدين لتطوير المحاصيل المعدلة وراثياً.

إنّ الضغوط العالمية التي مورست على الدول الصناعية المنتجة للمحاصيل المعدلة وراثياً أدت إلى رسم وإعداد أربع وسائل لمساعدة الدول النامية في شرح النماذج الأربعة السابقة لإمكانية استخدام هذه المحاصيل المعدلة وراثياً ومنتجاتها هي:

1. المجموعات البيئية الموجودة في أوروبا وأمريكا الشمالية أعدت كل من: وسائل الإغارة، الدعاوى أو القضايا، الأعمال المباشرة لإظهار صوت الدول النامية تجاه المحاصيل المعدلة وراثياً بشكل قوي، خاصة المعارض منه.

2. شكوك المستهلك في أوروبا واليابان بخصوص المحاصيل المعدلة وراثياً لا تشجع على زراعة هذه المحاصيل الواردة من قبل المصدرين من الدول المتطورة.

3. الصوت الوقائي لبروتوكول الأمان الحيوي لعام 2000 الذي يحكم تحركات انتقال المحاصيل

المعدّلة وراثياً وهي تحذيرات أمان حيوي قوية في العالم النامي.  
4. تركيز مساعدة الممولين للدول النامية في مجال التقانات الحيوية الزراعية كثيراً على مخاطر الأمان الحيوي للتقانة (للتكنولوجيا) الجديدة أكثر من تركيزها على فوائدها الاقتصادية والزراعية المحتملة.

أما بالنسبة للصين فهناك سبب واحد أدى إلى اعتمادها سياسة الأمان الحيوي المرخص (النموذج الثاني) وهو الحل الأكبر الوارد من التأثيرات العالمية المشجعة للتحذيرات في الأماكن الأخرى.

أخيراً يمكن القول إنّ الانتشار الواسع للمحاصيل المعدّلة وراثياً في العالم النامي سوف يتوقف على أكثر من قدرة التقانات المناسبة المتوفرة، وكذلك على موافقة المزارعين لزراعة هذه الأصناف المعدّلة وراثياً. وقد تتوقف هذه الرغبات، النائمة حالياً، كثيراً على الضغوط الخارجية والتأثيرات التي تواجهها التنظيمات المعارضة لاستخدام هذه التقانات من قبل الاحتكارات الرأسمالية العالمية المنتجة لهذه التقانات .

#### 4. تقانات المعلومات والاتصالات(\*)

تعمل تقنيات الاتصالات والمعلومات Information and Communication Technologies (ICTs) على تنفيذ وتخزين ومعالجة وتوزيع وحماية وإظهار وإدارة المعلومات. وتؤلف المفاهيم المذكورة معاً استراتيجية عالمية صناعية تعتبر نفسها مسؤولة عن التكلفة المتنافسة المنحرفة. في الواقع لم ير العالم مطلقاً نقل المعلومات الفضائية بشكل مفاجئ وبهذه التقانات كما حدث منذ خمس سنوات وحتى الآن. لقد أصبح تدفق مهارات تقنيات الاتصالات والمعلومات اليوم شيفرة للتنافس الاقتصادي بين الشركات المنتجة لها.

---

(\*) أعدّ هذه النشرة: " Appropriate Technology for Sustainable Food Security: Information and Communications Technologies، الباحث في معهد بحوث سياسات الغذاء العالمي IFPRI، N. Chowdhury، Washington, D.C. USA، 2001.

إنّ استخدامات الحاسوب (لكمبيوتر) والإنترنت تزداد بسرعة خطرة إن صح التعبير، خاصة في آسيا. لقد أصبحت الشبكة العنكبوتية الواسعة The World Wide Web الانتشار (ويب) سوقا ومختبرا ومكتبة ضخمة على المستوى العالمي مجتمعة كلها في مكان واحد. وتمثل تقانات المعلومات والاتصالات في العديد من الدول النامية الكبيرة النمو الصناعي الأسرع مفترضة وأخذة بأهمية الاقتصاد الكلي. فالهاتف اللاسلكي Wireless phone ينتشر عبر الحدود الجغرافية والقطاعية والاجتماعية للمجتمعات. إنّ الدول والشركات والأفراد والمدن التي تتوفر بها البنى التحتية والمهارات والمؤسسات التقنية والمستخدمات لتقانات المعلومات والاتصالات تتطلع إلى زيادة قوة هذه التقنية وحدث المنافسة الساحقة بين منتجيها.

ولكن السؤال هنا يطرح نفسه ويقول:

**هل تعرض هذه التقانات الجديدة أية وسائل لتحسين حياة ومعيشة صغار المزارعين في الدول النامية؟ وكيف يمكن لهذه التقانات، خاصة شبكة ويب العالمية أن تصل لهؤلاء المزارعين الصغار؟**

في الواقع هناك ثلاثة طرق يقترحها الاختصاصيون لتوصيل هذه التقانات لسكان الريف وتطوير حياتهم نوضحها فيما يلي.

#### **1.4 مساهمة تقانة المعلومات والاتصالات في تجنب الفقر بالريف**

تتمثل الرابطة الأولى بين تقانة المعلومات والاتصالات والريف فقير النمو الاقتصادي نفسه. ويمكن لهذه التقانات وانتشارها الواسع في الدول ذات معدلات النمو المرتفعة المقرونة بالفقر الكبير أن تعمل وتحث على زيادة الإنتاجية في المزرعة، وبالتالي الإنتاج، والتي تعتبر من أولويات الدول النامية.

يتسم الفقراء بالريف بالأمية وانخفاض التعليم وبالتالي يفتقرون القدرة على الوصول للأسعار الحقيقية وللتقانات والمعلومات الأخرى المناسبة المتصلة بقراراتهم ونشاطاتهم المزرعية وبندخلاتهم في الأسواق الزراعية، وبالتالي بربحية مزارعهم. وتسبب عادة كل من الأمية ونقص

التعليم عزلة في النشاطات الاجتماعية والثقافية، كما أنّ الفقراء الذين يعيشون غالبا في مناطق نائية هم الأكثر بعدا عن الاستفادة من المعلومات العامة المتوفرة، التي لا يحصل الفقير عليها (مثلاً المعلومات الخاصة بالصحة ومخاطر الأمراض، برامج النقل العامة، الحقوق العامة للأفراد، التطور الكبير لأنظمة الري، الكوارث الطبيعية وغيرها). ولكن اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، نملك قدرة الوصول للمعلومات المناسبة والصحيحة والكافية والحاسمة، وفي الوقت المناسب، وبالتالي القرارات الصحيحة التي تمكن الفقراء للخروج من حالة الفقر التي يعيشونها.

#### 2.4 مساعدة تقانة المعلومات والاتصالات صغار المنتجين الزراعيين على المنافسة في

##### الأسواق العالمية:

تتوقف المعلومات اللازمة عن فقراء الريف، ضمن العوامل الأخرى، على جغرافية المنطقة وعلى درجة تحول الزراعة بالبلد نفسه. فآسيا مثلاً بعيدة جدا عن إفريقيا في درجة التحول من زراعة المحصول الواحد Monoculture إلى الزراعة المتنوعة diversified agriculture. في الزراعة المتنوعة يتحول الإنتاج بالمرزعة من زراعة المحصول الواحد إلى زراعة المحاصيل المروية ذات الغلال العالية، خاصة الحبوب والخضر والأشجار المثمرة والزراعة المائية، بالإضافة إلى تربية الحيوانات الداجنة والدواجن وزراعة الأزهار وغيرها. بالتالي فالدورة التسويقية لهذه المنتجات الزراعية أقصر بكثير من الزراعة التقليدية السابقة (المحصول الواحد) حسب وجهة نظر المنتجين الصغار، وتحتاج إلى تنسيق محدود مع المشتريين عادة. هذا الوضع يضع علامة إيجابية (مكافأة) للحصول على المعلومات الدقيقة وفي الوقت المناسب. وحالما يباشر المنتجون الصغار نشاطاتهم على مستو واسع وعندما يبدأ النظام التوزيع على مستوى القطر تستطيع عندها تقانات المعلومات والاتصالات أن تلعب دورا متعاظما في معالجة العمليات وإنجازها، والتي تخلق وتحرك قوة سلاسل العرض. وهنا لا بد من توفر السياسات المناسبة لتحسين أخطاء السوق الهامة التي تربط سوق صغار المنتجين المتكاملة بجهود التقانات المتوفرة. ودون مثل هذه السياسات سيوجد نوع من الانحراف يقود إلى عدم المساواة وعدم الاستقرار في الدول النامية.

وعلى المنتجين الزراعيين الصغار أن يشاركوا أو يساهموا في زيادة تكامل الاقتصاد العالمي عن طريق استخدام تقانة المعلومات والاتصالات، نظرا لأن العولمة ستكون مصحوبة بمنافسة شديدة، بحيث يحتاج المرء معها إعادة تحديد طرق عمله وزيادة الاعتماد على تقنيات المعلومات والاتصالات التي يمكن لها ربط المزارعين الصغار بشبكات المعلومات والاتصالات، التي تتوفر لديها المعلومات والإحصاءات الأخيرة المتعلقة بتصميم زراعة المحاصيل وحصادها في الوقت المناسب، وثم تسويقها أو تخزينها في المزرعة وفقا لحالة السوق. وفي مثل هذه الحالة ليس لوكلاء الزراعة لدى المزارعين الصغار أي خيار سوى محاولة التمسك بفوائد نقل المعلومات من الشبكات المذكورة للمزارعين أنفسهم.

ويمكن لشبكات تقانة المعلومات والاتصالات مساعدة المزارعين الصغار خلال عملية التنافس الدولية تقديم المعلومات الخاصة بالسوق بواسطة:

1. إعطاء السياسيين إمكان الوصول لسوق المعلومات في الوقت المناسب وبرؤية عملية مثلى وتزويد صغار المزارعين المنتجين بآخر المعلومات حول التدخلات الحكومية في أسواق الزراعة والغذاء.
2. تحسين ربحية تصميم الأعمال وعوائد العمل المرافقة للمزارعين وصيادي الأسماك والتجار وصغار المنتجين الآخرين عبر تزويدهم بآخر المعلومات عن أسعار الحبوب، مثلاً، وعرض المخزون المحتمل وتقنيات الإنتاج المحسنة أو الجيدة.
3. خفض تكاليف البحوث في القطاعين العام والخاص وتكاليف الصفقات.
4. تشجيع التنويع في الاقتصاد الريفي.
5. المحافظة على الحياة، وذلك عبر أنظمة الإنذار المبكر والمعلومات المتوفرة على شبكات الإنترنت حول الحلول الخاصة بالرعاية الصحية وتشخيص الأمراض.
6. استخدام الويب لتحسين التعليم والتدريب وطرق الحصول على الدخل لفقراء الدول النامية (C howdhury, 2001).

غالبا ما يمتلك صغار المنتجين الزراعيين القوة الكافية المطلوبة للحصول على المعلومات التسويقية والإنتاجية، إلا أنهم لا يستطيعون الوصول باقتصادهم لقوته الكامنة إلا عبر تلك المعلومات. وكثيراً ما يستخدم الفقراء، الذين تتوفر لديهم إمكانية استخدام تقانة المعلومات والاتصالات، هذه التقانات في تطوير استراتيجيات التسويق المطلوبة. وهذه حقيقة واقعة خاصة مع مستخدمي الهاتف اللاسلكي والإنترنت. فعلى سبيل المثال تمكن فقراء بنغلادش المستخدمون للهاتف اللاسلكي (النقال)، والمركبة شبكته من قبل شركة Grameen Phone البنغالية، استخدام هذه التقانة على أنها أحد مدخلات الإنتاج (لبقى المزارع على تماس مباشر مع تطورات السوق المرتبطة بالطلب المستهلك) وثبت عمليا أنّ لها تأثيراً هاماً على فائض إنتاج الفقراء. إنّ استخدام هذه التقانة على أنها أحد مدخلات الإنتاج بالمزرعة لم تقتصر على جنوب آسيا بل تعدى ذلك إلى لاوس، حيث يتم شراء خلايا الهاتف الخليوي كحاجة من متطلبات المجتمع، كالأستخدامات الاقتصادية (للبقاء على تماس مباشر بتطور أسعار المدخلات والمخرجات الزراعية ومعدلات صرف العملات) أو مغازلة المحبين لبعضهم التي تعد هامة أيضاً. وفي غانا والهند أيضاً يستخدم صيادو الأسماك وهم في عرض البحر الهواتف الخلوية للحصول على آخر المعلومات حول أسواق السمك وأفضل أسعاره بالنسبة للصيد المنفرد. أمّا في قرى جنوب الهند حيث اعتمد صيادو الأسماك في الماضي على المنجمين لتجنب الخسارة في الطقس العاصف، قد أصبحوا الآن يعتمدون على الهواتف الخلوية في جمع المعلومات والتقارير عن الأحوال الجوية التي تذيّعها الشبكة العنكبوتية العالمية ويب.

لقد أعدت جامعة Tamil Nadu الهندية للطب البيطري بالتعاون مع جامعة Conrail الأمريكية شبكة بريد إلكترونية ريفية بالمقارنة مع نظام إرشادي واسع حيث كان التقدم واضحاً على الخطوط المنشأة وتبلورت الفائدة بسرعة ووصول النتائج وبتكلفة منخفضة للخدمات الزراعية وبتفاعل أوسع. وفي هذا الإقليم ازداد نمو تربية الدواجن بسرعة كبيرة، خاصة المشوية منها وتوصيلها بالتالي إلى المنازل، وبالتالي أصبح التوسع بقدرة البريد الإلكتروني أولوية هامة في المنطقة.

وفي شمال شرق بنغلادش اتسع حزام الهاتف اللاسلكي الريفي عن طريق استخدام العقدة اللاسلكية المحلية (WLL) Wireless Local Loop حيث تورد هذه العقدة طاقة واسعة وكافية لدعم التطبيقات كالحمولة الدنيا للرسومات البيانية المتوفرة لملء صفحات الويب ببيانات الأسعار والإنتاج. وتعتبر هذه العقدة (WLL) أرخص بكثير من شبكة اتصالات الهاتف الجوال في النظام العالمي الرقمي (GSM) Global System for mobile communications التي تحكم حالياً سوق الهواتف الخلوية الرقمية. ولذا تظهر بكثرة ووضوح لتصبح البرنامج النهائي لاختيار الخدمات الهاتفية الريفية. وهكذا ومع زيادة النطاق لاستخدامات الهاتف اللاسلكي في الريف وتزويده بموديلات أساسية من الهواتف والإنترنت الموصولة بها سيتمكن اكتشاف مجالات الاستفادة في كل من الزراعة والتنمية الريفية وتقنية الاتصالات.

#### **3.4 ربط صغار المزارعين بشبكة تقنيات المعلومات والاتصالات**

تعتبر طريقة توصيل تقنية المحاصيل هذه لصغار المزارعين في الدول النامية من أهم النشاطات الفعالة في النقاشات الدائرة بين الشركات العالمية المنتجة لهذه التقانات . وتبلورت نتائج اجتماعاتهم بوجود ظواهر نقص أساسية، في الدول النامية، تتمثل في (تعلم القراءة والكتابة، الرأسمال الاجتماعي والفيزيقي، الطاقة الإلكترونية والبنية التحتية الفيزيكية) خاصة في مناطقها الريفية الفقيرة، وهذا هو التحدي الكبير لاتجاهات تقانات المعلومات والاتصالات الخاصة بخدمات المزارعين الصغار. ومن المهم مواجهة هذا التحدي، إذ إن ترك الفقراء عقدة التقانات هذه يجعلهم أكثر تخلفاً وصعوبة في إعادة تعليمهم والاستفادة منهم.

هذا وتتوفر لهذه التقانات بنية مجتمعية وأخرى فردية يمكنها، إذا وفّرت حكومات الدول النامية الخلفية السياسية والبنية التحتية للمعلومات والاتصالات، أن تقدم دورات التعليم للفقراء في هذه الدول، وعندها تحتاج الشركات المختصة إلى قيادات عامة للمؤسسات التي ستنفذ عمليات وسياسات التطوير. فيما يلي نعرض للسياسات المقترحة المحتملة لإيصال منافع أو فوائد شبكات المعلومات والاتصالات لصغار المزارعين:

1. خلق مناخ ملائم لاستثمار معدلات عالية من الأموال متضمنة مشاريع خاصة بالبنية التحتية للاتصالات الهاتفية والمعلومات الأساسية التي تزود مكاتب الاتصالات العامة الريفية ومراكز الاتصالات بشبكات المعلومات والاتصالات على أسس واسعة.
  2. الاستثمار في الاستثمار بشركات الاتصالات الهاتفية واتصالات الإنترنت لحد يجعلها سلعا مقبولة اقتصاديا.
  3. ربط المزارعين بالاتصالات يعزز المعرفة الآلية المرتبطة بالإرشاد المزرعي ومحوه إياه، بلهجة عامية محلية، إلى شبكة بريد إلكترونية معممة تشمل جميع المزارعين عبر الخط الهاتفي.
  4. تحديث الجمع المنظم لأسعار السلع الزراعية بالدخول على مواقع الأسواق النهائية في شبكة الويب الحكومية وجعلها بتكلفة منخفضة.
  5. تزويد صغار المزارعين بأجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) وتطبيقاته الممكنة التي تحسن إنتاجيتهم وتعزيز مضمون شبكة الويب الزراعية.
  6. ربط المدارس الريفية بالإنترنت وتعليم الأطفال على تقنيات الحاسوب (الكمبيوتر) وإنشاء مختبرات للحاسوب (للكمبيوتر) في المدارس بمساعدة هيئات التعليم الجماعية التي تعلم الأطفال خلال ساعات نظامية، كما تعلم آباءهم بعد انتهاء الدوام.
- أخيرا يمكن القول في هذا المجال، إنّ الفقراء دون استخدام شبكات المعلومات والاتصالات سيجدون صعوبة كبيرة في عملية التكامل للنمو الاقتصادي العالمية (العولمة) وأسواقها الدولية وبالتالي النجاة من دائرة الفساد والفقر الأكثر قهرا لهم. إنّ خسارة هؤلاء الفقراء، لا سمح الله، سوف تترجم لخسارة اقتصادية عالمية، نظرا لأنّ عملية انتشار هذه التقانات والاستثمار فيها يعتبر ذا أولوية كبيرة لكل من الشركات المنتجة والدول النامية التي تحوي أكثر من 80% من سكان العالم.

## 5. تقانات نظم المعلومات الجغرافية والمواقع العالمية والاستشعار عن بعد<sup>(\*)</sup>

في الفقرة السابقة تبلور بوضوح دور تقانة المعلومات والاتصالات في عملية التطور السريعة للمجتمع الدولي وشدّت انتباه جميع سكانه بما فيهم الزراعيون منهم في الدول المتطورة والنامية على السواء، حيث تعهدت هذه التقانة بمساعدة الجماعات الفقيرة المنعزلة والمحرومة من حقوقها، ويشكل يمكن لها المشاركة الفعّالة بعملية التطور وتكاملها. ولقد تمّ تعديل هذا التعهد من قبل الشركات المطبقة لنظم المعلومات والاتصالات، بحيث تتخفف فاعليته بل وقد تزيد أشكال الظلم والتمييز لفقراء العالم بما فيهم المقيمون منهم في المناطق النائية.

### 1.5 أدوات تقانات المعلومات والاتصالات

لقد تبنى الساكنون الريفيون ذوو الدخل المنخفضة بعض تقانات المعلومات بنجاح واضح وكان الهاتف النقال أكثر استخداما الذي ساعد، على سبيل المثال، في خفض التفاوت في المعلومات بين المزارعين والتجار. وهو رخيص الثمن ولا يتطلب تدريبا خاصا ويؤدي وظائف اقتصادية غير التي تستخدم في التجارة الريفية. ومن السهل أيضاً أن يشرك صاحبه أو يؤجره ليزيد فرص الدخل اللامزرعية لمشاريع الأسر الريفية.

كما تساعد مجموعة أخرى من أدوات تقانة المعلومات والاتصالات في إدارة وترجمة البيانات حول موارد المناطق كالصور والخرائط الرقمية للقرى والسدود أو لكامل البلد. ويعزز الباحثون والمخططون واختصاصيو التقانات الأخرى الاستخدام الأكبر لهذه المعلومات. وتشمل هذه الأدوات نظم تخزين وإدارة وتحليل بيانات المراجع الجغرافية Geographical Information Systems (GIS) (نظم المعلومات الجغرافية) والأجهزة والوسائل التي تقيس المواقع الجغرافية (نظم المواقع الجغرافية (Global Positioning System (GPS)، ونظم بيانات النقل الجوي التي تجهز

---

(\*) أعدَ هذه النشرة: " Appropriate Technology for Sustainable Food Security: GIS, GPS, and Remote

Sensing " الباحثان U. Deichmann and S. Wood العاملان في مركز بحوث سياسات الغذاء العالمي

2001، Washington, D.C. USA، IFPRI

استخدام الأراضي للمواسم الزراعية، وتوضح وضع الغطاء النباتي للأرض ومعلومات أخرى موضوعية (الصور الهوائية والتحكم بالأقمار الاصطناعية، أي الاستشعار عن بعد).

وبينما توجد العقبات، خاصة في الدول النامية، تقدم بيانات المراجع الجغرافية رؤية جديدة عبر النتائج العالمية لنماذج وعمليات التوطن البشري، استخدام الموارد الطبيعية وتدهورها، الإنجازات الزراعية، الأمراض والأزمات. وتعتبر الزراعة، على الأرجح، هي أكثر الأشكال فعالية واقتصادية، التي تتبلور منافعها في التركيز الجغرافي، كونها مرتبطة بالموارد الطبيعية الأساسية التي تنتجت وتتقلب بسرعة وبشكل كبير. لذا فالجغرافيا الاقتصادية والاجتماعية والفيزيائية تؤدي دوراً هاماً في تقرير مستوى الزراعة وتحديد حجمها كموقع معروض.

وتزود تقانات نظم المعلومات الجغرافية مستخدميها بالأدوات البصرية المتكاملة اللازمة لتحليل البيانات الفضائية والطاقة المفردة لدمج المعلومات الواردة من المصادر المختلفة. ويمكن لنظم المعلومات الجغرافية تمكين المستخدمين، باستخدام نظام فضائي شائع أو عام، من تحليل الكيفية التي تتفاعل أو تتكامل بها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والفيزيائية. إن المحددات، التي تقف حجر عثرة في انتشار نظم المعلومات الجغرافية، تجعل استخدام هذه النظم ذات تكلفة عالية ومعقدة بحيث يصعب معها الحصول على بيانات المراجع الجغرافية. ولكن عندما تزول هذه المحددات لا بد أن تنخفض التكلفة وتصبح هذه التقانة رخيصة وأقل تعقيداً وبالتالي أكثر فائدة واستخداماً من قبل الأفراد العاديين. كذلك ستعمل تقانات الاستشعار عن بعد وتقانات نظم المواقع الجغرافية (GPS) على خفض المشاكل الخاصة بالحصول على المعلومات الجغرافية. فمثلاً تستخدم حالياً معظم عمليات حصر الحقول الزراعية ومساحاتها وأنواع المحاصيل المزروعة فيها بواسطة نظم المواقع الجغرافية وذلك بأخذ عينات منها، كبقع توضع الأسر، ممكنة بذلك عمليات التصوير السهلة من التكامل مع البيانات الجغرافية الأخرى. إن المدى الذي يمكن لمستقبل نظم المواقع الجغرافية من الموديلات أو النماذج الداعمة وغير المكلفة وسهلة الاستخدام المزودة بضوابط متساوية لمسافة لا تزيد على عشرة أمتار ومستقبلات أخرى تضبط الغلال

للسننيمترات تقريبا.

هناك أيضاً مميزات كثيرة للاستشعار عن بعد وللتصوير الجوي. فمثلاً تنتج تقنيات عمليات التصوير الجوية الخرائط الرقمية من الصور الهوائية أو من بيانات الأقمار الصناعية التي تتكامل مع الخرائط الطبوغرافية الدقيقة ومع المعلومات الجغرافية المنسوجة. وبالرغم من تلك المميزات وانخفاض أسعار بعض بيانات الأقمار الصناعية فما زال استخدام هذه التقانات محصوراً بالمتخصصين حتى الآن.

### 2.5 كيفية استفادة الفقراء من التقانات الفضائية

تفيد التقانات الفضائية فقراء الريف بشكل غير مباشر، وذلك عن طريق إيجاد المعلومات المحسنة للبحوث وتحليل السياسات والتخطيط والمراقبة. وتستخدم التقانات الزراعية الدقيقة بكثافة مرتفعة في الزراعة التجارية، حيث تقرر هذه التقانات المعلومات المفصلة عن المواقع. فعلى سبيل المثال تحدد مستويات التسميد المستخدمة لكل قطعة في الحقل. لذا فالاحتياجات الرأس مالية والصيانة غير متوفرة لمعظم المزارعين في الدول النامية، خاصة صغارهم الذين لديهم حيازات حقلية صغيرة تجعل استخدام هذه التقانات من قبلهم غير اقتصادية.

وتعتبر عملية رسم الخرائط المشتركة من أكثر التطبيقات المباشرة لتقانات المعلومات الجغرافية في الدول النامية. فعلى سبيل المثال يتفاعل الاختصاصيون مع المجتمعات الزراعية لإيجاد مخزون من: الموارد الطبيعية، أوضاع الملكية، حقوق استخدام الأراضي، معرفة المشكلات الزراعية مثل خزن الأعلاف مثلاً بعملية استشارية هادفة لبناء إجماع أكثر توازناً واستدامة لترتيبات إدارة الموارد المستدامة. لقد أظهرت التجارب والخبرات أن القرويين بالريف يستطيعون الاتصال السريع مع المصورات الجغرافية المحيطة بهم، كما تستطيع مجموعات رسم الخرائط أن تساعد أيضاً في عملية نقل قوة اتخاذ القرارات الكبيرة والمسؤولية المالية للمستويات المحلية للحكومات.

هذا وبتزايد استخدامات نظم المعلومات الجغرافية على نحو كبير في رسم خرائط القطع

المجزأة أو الصغيرة، إذ من المعروف أن أسواق الأراضي ذات الطابع الرسمي تكون أقل فعالية إذا كانت الأراضي غير مسجلة في السجلات الحكومية، وبالتالي لا يستطيع أصحابها الحصول على الامتيازات الخاصة باستخدامات الأرض وصيانتها. كذلك لا يستطيع المزارعون، دون سندات ملكية لأراضيهم أن يحصلوا على القروض الزراعية من الجهات الحكومية المقرضة. وفي حالات عديدة تكون أوضاع ملاك الأراضي وأصولهم وحقوق استخدام الأراضي معقدة (خاصة في حالات مشاع الأرض) وبالتالي لا يتمكنون من الحصول أيضاً على القروض. عموماً تميل نظم تملك الأراضي للاتجاه المفترض بأن أية قطعة أرض غير محدد مالكيها تكون في وضع معقد نسبياً وبالتالي يمكن لشبكة ويب المساهمة في وضع الترتيبات الخاصة بالاستخدامات المشتركة لها من قبل الأطراف المتنازعة في سبيل تحقيق الفائدة المشتركة. إن إدارة مثل هذه الأوضاع المعقدة وصياغتها في لغة رقمية قاسية من فئة الأرقام عملية صعبة وقد تكون مستحيلة أحياناً.

### 3.5 الاشتراك العام بنظم المعلومات الجغرافية

تزداد التساؤلات حول الاقتصاد السياسي واستدامة نظم المعلومات الجغرافية المستخدمة حالياً على مستويات المجتمعات والبحوث وعلى نتائجها التي أدت إلى ارتفاع ملحوظ، كما تقول المراجع، في المساهمات العامة لنظم المعلومات الجغرافية Public Participation at Geographical Information System (PPGIS). وتسعى بحوث المساهمات العامة لنظم المعلومات الجغرافية توجيه الشركات العاملة بنظم المعلومات الجغرافية، كتقانات تتسع رويداً رويداً، لتحقيق المنافع لبعض الأفراد دون الأفراد الآخرين، أي تركز أعمالها على البلدان المتطورة، وبالتالي ينتاب القلق المجتمعات الفقيرة في البلدان النامية. عموماً تشمل نشاطات المساهمات العامة لنظم المعلومات الجغرافية (PPGIS) ما يلي:

1. تغيرات في السياسات المحلية والعلاقات القوية الناتجة عن استخدامات نظم المعلومات الجغرافية في اتخاذ القرارات.
2. القدرات المختلفة للوصول لبنية نظم المعلومات الجغرافية الصلبة والمرنة Hardware and

Software والبيانات والخبرات.

3. الأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية لنقص الإمكانيات والطرق النموذجية التي تجعل المجتمعات تتغلب على هذه العوائق.
4. يجب أن توظف أساليب المجتمعات وخبراتهم المحلية المختلفة، عن بعضها اجتماعيا، أفضل توظيف في نظم المعلومات الجغرافية.
5. نشاط نظم المعلومات الجغرافية كمراقب.
6. تحديد سياسات البيانات العامة المتطابقة والمؤثرة إيجابيا أو سلبيا على الأعمال المحلية الصغيرة الحجم.

ونتيجة لذلك تبلور بحثان مهمان للمساهمات العامة لنظم المعلومات الجغرافية، ركّز الأول منهما على تصميم المشاركة الحقيقية لعمليات نظم المعلومات الجغرافية الأساسية التي تعمل على حل النزاعات واتخاذ القرارات مع احترام الموارد المشتركة للمجتمعات، في حين سعى الثاني لتمثيل قدرة المنظمات اللاحكومية والوكلاء والممثلين الآخرين للمجتمعات المحلية والأهلية على استخدام نظم المعلومات الجغرافية والدفاع عن هذه المجتمعات في عمليات المشاركة والموافقات.

#### **4.5 التطبيقات الناجحة للتقانات الفضائية الخاصة بالفقراء**

لقد تمّ إنجاز العديد من التطبيقات الفضائية الناجحة المتعلقة بفقراء الريف، أي على المستويات الجماعية، مثل الخطط الزراعية والبحوث الزراعية. فالمعلومات المفصلة حول البيئات الزراعية والأوضاع الاقتصادية - الاجتماعية، مثلاً، قادرة على تحقيق أفضل استخدام للتقانات الزراعية. كما تساعد المعلومات الجغرافية أيضاً في تخطيط البنية الريفية كأولوية للاستثمارات الوطنية في كل من الطرق الريفية والكهرباء والصحة والتعليم. وتستطيع عملية تحضير خرائط الفقر أو الرفاهية أن تحسن وتحقق، وبشكل كبير، أهداف المجتمعات الأكثر فقراً، كما أنها تقلل فرص الضياع للمستقبل المنشود، على مستوى المجتمعات الصغيرة، وكذلك تقلل من فرص تسرب الموارد لغير الفقراء. بالإضافة إلى نجاح تطبيقات هذه التقانات في وضع الخطط الطارئة

والاستجابة للمناطق الريفية.

ويتمثل مفتاح نجاح تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في قدرتها على تفصيل المعلومات الفضائية. فبينما تساعد معلومات الاستشعار عن بعد وتقانات نظم المواقع الجغرافية (GPS) الأساسية في عمليات مسح الحقول وبالتالي ظهور أحيانا بعض التفاوت بين البيانات، هناك الكثير من المعلومات على المستوى الجغرافي يصعب الحصول عليها، خاصة تلك المتعلقة بآثار العمليات. وهذه حقيقة خاصة بالبيانات الاقتصادية والاجتماعية التي لا يمكن الحصول عليها بالملاحظة عن بعد، وذلك نظرا لتناثر المعلومات. إنّ الموارد الرئيسة لهذه المعلومات المتمثلة بإحصاءات السكان ومسح الأراضي لا تعطي جميع المعلومات المطلوبة. فالعاملون السابقون في هذا المجال نادرا ما حصلوا على المعلومات الأساسية، أما العاملون الحاليون فاستطاعوا الحصول على المعلومات المفصلة، إلا أنها ليست بالمستوى المتكامل والمناسب لتقوية العمل الفعّال في هذا المجال. وبالتالي فتقوية الكفاءات الرسمية وغير الرسمية لمجموعات البيانات الفضائية على المستويات المحلية تعتبر من أولى الاحتياجات ذات الأولوية.

### 5.5 الفوائد المستقبلية للتقانات الفضائية

من البداية بمكان استمرار تقديم تقنيات نظم المعلومات الجغرافية الفوائد غير المباشرة من خلال اتخاذ سياسات معلوماتية أفضل في مجالات البحوث والتخطيط ودعم التنمية، وذلك من قبل الأجهزة الحكومية وغير الحكومية. وستستمر البنية التحتية للبيانات الفضائية بتطوير خطّها الأساسي للبيانات الجغرافية التي سيسهل الحصول عليها. هذه التحسينات ستمكن أصحاب المهن الأكثر مساهمة واستخداما في رسم الخرائط الرقمية وعمليات التحليل، خاصة إذا حدث التوازن المتزايد واتخذ مكانه في نشاطات الإنترنت من خلال مخدّم شبكة الإنترنت. وبالتالي يمكن وصول المعلومات الجغرافية بسهولة للمستخدمين غير المتخصصين، وذلك باستخدام الأدوات القياسية اللازمة. إنّ التكامل مع الخطوات الأخرى للوصول إلى التقسيم الرقمي، كالتقانات اللاسلكية، سيساعد شبكات الإنترنت على توصيل المعلومات الجغرافية للمجتمعات الزراعية

المحلية المتعاونة. ومن أمثلة ذلك خرائط الجو المعتمدة على بيانات صور الأقمار الاصطناعية أو المعلومات الخاصة بأسعار سلع المنطقة مثلاً.

كذلك يمكن لهذه التقانات أن تقدم مستقبلاً استخدامات أرخص وأسهل تمكن جماعات المزارعين من إيجاد المعلومات الخاصة بالأفراد وتقاسم الموارد فيما بينهم دون وسطاء خارجيين. ومع توفر معلومات أفضل حول إدارة أوضاع الأراضي والخيارات المختلفة وفعاليات التقانات الزراعية وإدارة الموارد ربما يؤدي ذلك إلى تجنب المجتمعات للنزاعات المرتبطة بهذه الموارد، كالتي تنشأ من الإحصاءات حول حقوق استخدام الأرض. على كل حال إن التكاليف الفعالة لتوريد تقانات نظم المعلومات الجغرافية في المجتمعات الفقيرة والتبعات الاجتماعية السلبية التي قد تنتج عنها سوف يستمر بفحصها وتدقيقها الباحثون ومتخذو القرارات السياسية الخاصة بذلك.

**التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002**

## مدخل إلى مشكلة المصطلح\*

ترجمة : أ. سهيلة ميلاط

المدرسة العليا للأساتذة في الآداب

والعلوم الإنسانية/الجزائر

### 1

تشغل اللسانيات، بعد أكثر من نصف قرن من التطور (ابتداء من محاضرات سوسور، في 1916)، وضعاً غامضاً جداً في ثقافة الجمهور الواسع، وحتى الجمهور المثقف. وقد أثار هذا التطور في حدود 1956 موجة حقيقية من التحذلق اللساني؛ فبإمكان كل الناس أن يزخرفوا دون عناء كل ما يقولونه باصطلاحات لسانية يقترضونها بتسرع، فيكون كلاماً أجوف كهذا الذي لم نختلفه: "إن كلمة "كتابة"، مكتوبة بين مزدوجين، تشير إلى أثر انفتاح (؟) اللغة، ونطقها (؟)، ونقطيتها (؟). وفائق تحديدها، وتباعدها (؟)، بحيث تظهر دائماً كتابة مسبقة (؟) في الكتابة، وأثراً (؟) سابقاً، [...] وحفظاً خطياً (؟) للصوت (؟) في الكلام (؟)، وفي الوقت نفسه تدويناً نظامياً [...] هو علامة وانطماس معاً (؟)..."

إن تزايد الإنتاج الأدبي والصحافي لهذا التنوع اللغوي لـ "l'hexagonal" - هكذا يُسمى روبرت بوفي Robert Beauvais الفرنسية التملقية لمن يترصدون الكلمات الأضخم من الأشياء<sup>1</sup> - كان لا بد أن يثير ردود فعل من الضجر. ويكلفنا اليوم ارتداد هذا الرواج الذي لا دخل للسانيين الحقيقيين فيه مواقف اتهام صعبة. فالصحف نفسها والتي تعتبر مراصد لا تخطئ بهذا الخصوص، تسخر أكثر فأكثر من هذا الهوس للسانيات والذي كثيراً ما كانت تنمية دون أي

\* هذه ترجمة لمقدمة جورج موان لمعجمه في اللسانيات العامة.

<sup>1</sup> L'hexagonal tel qu'on le parle, Hachette, 1970

حس نقدي في زمن غير بعيد. فيؤاخذ على اللسانيات أنها تسلطية (رغم أن غير اللسانيين هم دائماً من يرهبون الجمهور بتقريباتهم اللسانية)، وأنها مبهورة بالحواسيب، وأنها تطلق اسم بنى على حقائق بديهية، عرفت منذ زمن بعيد. لكنه يؤخذ عليها أكثر من ذلك مفرداتها المغلقة، وإفراطها في استعمال الألفاظ المستحدثة التي تقبل تماماً أن يعبر عنها باللغة العادية. حتى إننا نتحدث هنا عن مغالطة وتمويه، فنشفق على المدرسين التعساء الذين يجدون أنفسهم قد صرعوا بالفونيمات، والرواسم والمرفيمات، والوحدات المعجمية، والوحدات الدلالية، والسمات الدلالية الرئيسية، وهي نادراً ما تقيدهم؛ ونتأسف لأننا نجد أنفسنا مجبرين على تسمية الصوامت باسمها ("الاحتكاكية، الشديدة، الخ، فيالها من رطانة!") . هكذا هي الحالة الراهنة.

وطبعاً، كثير من أسباب هذه الحالة لا يتعلق باللسانيين. فإذا أهملنا الهجومات المضادة التي يولدها لزوماً كل تحذلق باعتبارها سطحية، ويبقى أن نتأمل جيداً ردود فعل أخرى. فالانزعاج من تغيير الثقافة بعد سن التكوين، وإنفاق طاقة فكرية يطلبها كل تدريب، كان لا بد أن يشعر بقوة أكبر في مجال يتعلق باللغة وفعلاً، فأكثر مما قاله ديكارت عن العقل، إن جميع الناس - لأن جميعهم يتكلمون - مقتنعون خطأ أن المعرفة الحدسية، أي الفطرية، لكل ما يخص سيرورة اللغة هي أعدل الأشياء تقاسماً بينهم؛ وأن الشخص، ليكون لسانياً، يكفيه إذن أن يلاحظ نفسه وأن يستنبطها؛ وأن اللسانيات، بالتالي، علم فطري.

ونلاحظ أيضاً أن الموقف القديم الذي يقابل في فرنسا، بعناد الثقافة الأدبية بالثقافة العلمية له على الأقل، تأثير مماثل لأسباب التمرد الحالي ضد اللسانيات. فيبقى كل واحد متيقناً في أعماقه أن القابلية لإحدى الثقافتين تنافي القابلية للأخرى. ونستمر في الافتخار، حتى إذا كنا لا نتبين ذلك، بعدم فهم لغة العلوم الدقيقة، ونحن نقلدها لنحصل منها على المنافع دون الواجبات (هذه الممارسة الأدبية المحضنة أصبحت سهلة، وكفي أن نقلد فيها أسلوب بول فاليري (Paul Valéry)). ولا شيء يبين هذا أكثر مما تبينه العداوة المتأهبة دائماً للانبعاث، ضد بضع العشرات من التعاريف المحددة التي تقترحها الصوتيات، والتي قد تخدم المدرسين كثيراً ليحسنوا فهم أمور كثيرة

في تعلم القراءة وصعوبات هذا التعلم؛ وتخدم كثيراً أيضاً كل من يحللون النصوص الأدبية، وقد تملأ تفسيراتها الخاطئة عن الخصائص الصوتية المنسوبة استبطانياً، إلى أصوات اللغة، مجلداً ضخماً (لن يهتم به أحد وبالأأسف! مادام يبقى الجهل عاماً بهذا الشأن).

ومع هذا فلا يحق للسانيين أن يحتموا بجدالهم وراء هذه الحجج البارة كلها، ليرفضوا المواجهة بخصوص نقطة ضعف جبهتهم، النقطة التي يحق للخصوم الشعور بأنه يمكنهم استغلالها: مسألة المصطلح نفسها.

## 2

ومن المؤكد أن الشكل أقل سذاجة مما يطرحه ويحلّه غير اللسانيين. لكنه موجود، وهو مشكل حقيقي. ومن المصلحة الأكيدة لعلمنا أن نواجهه دون أن نغش.

أولاً: وخلافاً لما يعتقد قراء اليوم والذين ليسوا مجبرين على معرفة تاريخ اللسانيات، فإن المشكل ليس جديداً. إن التضخم أو البابية الاصطلاحيين ليسا ميزتين خاصتين لا تعيينان إلا الفترة الحالية، فهما مثلاً، ثمن ضعف تحضيرنا ووعينا العلميين في هذا المجال، والمقابل الحتمي لهذه التسليطية، ولهذا الغرور، ولهذا الصخب، ولهذا المغالطة، وهي الأمور التي تسود اللسانيات منذ 1960. فمشكل المصطلح بخلاف ذلك مشكل أساسي. ويطرح من جديد بالنسبة لكل فترة. عندما يبلغ علم ما المستوى الإبيستمولوجي الدقيق للتفكير في نفسه. وإذا لم يطرحه العلم نفسه فإن التاريخ يمكنه دائماً أن يطرحه عليه.

ويكفي أن نراجع، لنعي دقة هذا القول، بعض الصفحات التي خصصها جول ماروزو Jules Marouzeau للمشكلة، في مدخل معجمه للمصطلحات اللسانية، في 1941، إذن قبل أن يبلغ التطور المتهور للسانيات البنوية فرنسا. ففيه نجد تاريخاً (ص VI – VIII)، من 1910 إلى 1915 (الطبعة 3 من المعجم)، لا يذكر أقل من أربعين من المبادرات، ومن المقالات ومن الأعمال المتنوعة التي تشهد كلها على وعي بالمشكلات التي تطرحها الاصطلاحات، في فترة تبدو لنا اليوم روتينية وهادئة، لكنها كانت هي الأخرى فترة تجديد مكثف، بما أنها فترة الانتقال النهائي

من النحو المعياري من جهة، ومن النحو المقارن من جهة أخرى، إلى اللسانيات التاريخية، وسنرى أنه ليس صعباً كذلك أن نستشهد بالنسبة للقرن التاسع عشر أو الثامن عشر، بأمثلة لجموح اصطلاحي حاد، كانت بليغة كتلك التي يبدو أنها تبتلي زمننا بطريقة انتقائية، ولأول مرة، في تاريخ الأويئة الفكرية.

وفي الواقع، "إن القلق الاصطلاحي"، مثلما وصفه مرة أخرى ليف فليدال Leiv Flydal في مؤتمر اللسانيات الرومانية بمديرد في 1965<sup>1</sup>، ناجم عن أسباب مستديمة ينبغي أن يعيها كل قارئ، وخاصة كل باحث وكل طالب، عوض أن يخفوها عن أنفسهم (وهو الأمر الذي يعود بالخسارة عليهم) باستخدام تفسير مقتضب بدافع التحذوق. وقد وضع ماروزو من قبل جردا لها منذ أكثر من ثلاثين سنة، وحتى إنه قد لخص بخصوص هذا الموضوع أهم الأمور التي لاحظها جيداً أنطوان مبي Antonie Meillet وذكرها بشكل مميز قبله. فاللسانيات قد أعادت في البداية استعمال مدونة النحو التقليدي للغات الهند أوروبية، والتي كانت غير مهيأة لوصف الوقائع اللسانية للغات الخارجة عن هذه الأسرة ("الماضي" السامي لا يتطابق مع "الماضي" اليوناني، ولا مع "الماضي التام" السلافي، إلخ). فوجدت دوال قديمة نفسها مُبعدة إذن عن مدلولها الأكثر ألفة، وعمل نحو مختلف حسب المجالات أو المؤلفين (راجع: تحولات مدلول "aspect"<sup>2</sup>). وزادت من خطورة الوضع الانتقالات من لغة إلى أخرى: فهناك دوال تبدو ترجمات حرفية لنفس المدلول (مثلاً مرفيم) وهي في الواقع متطابقات غير حقيقية. فهي تناسب مفاهيم، أي مدلولات مختلفة عند بلومفيلد Bloomfield ويلمسلاف Hjelmslev وعند تروبتسكوي Troubetzkoy<sup>1</sup>. إن المصطلحات اللسانية اليوم أيضاً، وربما حتى أكثر من أي يوم آخر، تُبنى إذن، حسب عبارة ماروزو، "في عرض الاكتشافات والإحياءات". إما بتحويل معنى الكلمات القديمة، وإما بإبداعات

<sup>1</sup> Actas del XI Congreso internacional de linguisticy filologia romanicas, Madrid, C.S.I.C. ed, 1968, p.706-714.

<sup>2</sup> انظر G.Mounin, Problèmes terminologique de l'aspect, Linguistica Antwerpiensia, n°2, 1968

<sup>1</sup> انظر A.Martinet, Structural linguistics, dans Anthropology to – day, KROEBER ed, Univerity of Chicago Press, 1953, p.576.

توليدية (المعجم، ص ٧).

ويمكننا أن ندقق في هذا الوصف لأسباب القلق الاصطلاحي. فما من شك مثلاً أنه، في فترة التبادلات المكثفة حيث انتشرت ترجمة المؤلفات اللسانية، هناك كثير من التسرع وكثير من الهفوات في هذا المجال.

وقد كثرت الألفاظ المستحدثة التي هي أخطاء ترجمة ناجمة عن مجتهدين مستعجلين، أو قليلي التدقيق، أو غير أكفاء. ف Structurel بدل Structural جاءت من أولئك الذين يعرفون ويقرؤون الألمانية أكثر من الإنجليزية، والذين يترجمون في اللسانيات لأول مرة. لكننا نجد، بعدها، أناساً يؤيدون محاولة تمييز التحليل الـ Stucturel من التحليل الـ Structural! وفي كثير من النصوص المترجمة ترجمة سريعة جداً نجد الزوج émetteur (متكلم) . receveur (محصل) (بدل récepteur (متلقي) بسبب الإنجليزية receiver. و Cryptanaliste المنسوخ من الإنجليزية cryptanalist، نشأ بقلم مترجم غير فرنسي كان يجهل الوجود المؤكد لـ décrypteur [مفكك الرموز]. ونفس المترجم منحنا الزوج غير المؤلف destinataire - destinateur (بواسطة النقل من الإنجليزية الأمريكية destinator - destinee) والذي جاءت فيه لاحقة الفاعل teur شاذة بالنسبة لـ destiner. لقد كان المترجم يجهل دون شك الزوج الصحيح والمألوف في الاتصال البريدي expéditeur (مرسل) . destinataire (مرسل إليه).

وربما لم يكن يجهله، ونحن نلمس هنا سبباً آخر لكثرة الإبداع الاصطلاحي، ألا وهو جموح التجديد. فهناك بالتأكيد نفسية الباحث، بل وهناك المرض النفسي للباحث والذي يجب أن نعيه. فالافتتاح باكتشاف شيء ما لأننا أعدنا تسمية مفهوم سبق أن وضعه شخص آخر قد يكون مرضاً مهيناً للعالم، للعالم المبتدئ، وللعالم المؤهل. لقد عانينا كثيراً منذ نصف قرن لكي لا نفهم ما قاله سوسور Saussure بوضوح عن اعتباطية الدليل. واقترحنا أن نقول، عوض ذلك، إن الدليل ليس اعتباطياً لكنه اجتماعي، أو، جماعي، الخ والزوج locateur (متكلم) auditeur (مستمع) الواضح والوظيفي، والحديث نسبياً مع ذلك، سرعان ما لم يُعد جزءاً من المصطلحات

الجذابة واستبدل بسرعة بـ émetteur – récepteur، ثم خاصة بـ encodeur (مستوضع) décodeur (موضع) و destinataire – destinateur التي تعني الشيء نفسه، وقد تُخفي أننا عملياً لا نعرف شيئاً عن الاستيضاع وعن التواضيع في علم النفس اللغوي. وقد كانت هناك معارك وما زالت لمعرفة ما إذا كان يفضل، بخصوص التنعيم، الحديث عن واقعة لسانية هامشية marginal أو فوق مقطعية suprasegmental: وبفضل الصراع فإن اللفظ périphéral (تقليد حرفي آخر للإنجليزية تسبب فيه مترجم ما غير مكون لسانياً) ربما ينجح إلى الانتشار. والزوج المُفهم بشكل راسخ والمعرف بدقة paradigmatic (تصريفي) syntagmatic (تركيبية) (الذي ما زال يخيف غير اللسانيين) قد استبدل جزئياً بـ sélection (انتقاء) arrangement (ترتيب)، و concurrenc (تزامن) concaténation (تسلسل)، و similarité (تشابه) contiguité (تجاور) (وهي طبعاً ترجمات حرفية من الأمريكية). واستخدامها المدلولي ليس بمنأى عن المخاطر، إلى حد أن من أدخلها، وهو جاكبسون Jakobson نفسه، سبب التباسات في استعمال similarité و contiguité الذي ينبغي أن يكون متطابقاً (تارة معناه نحوي وتارة دلالي، وتارة الاثنان). وهذا الشغف الاصطلاحي، الذي يجبر بعض الباحثين على رد لفظ مستحدث معين لاقتراح آخر. يغطي ويعين الواقعة اللسانية نفسها. ليس خاصاً باللسانيين (المبتدئين) الذين يتوقون إلى الطرافة. فقد سبق ورأينا حالة جاكبسون. ويبدو أن إميل بنفنيست Emile Benveniste أيضاً كان يتقزز دائماً على سبيل المثال، من استعمال ألفاظ أصبحت جارية كـ التفاضل pertinence والسمة التفاضلية trait pertinent: عندما يشير إليها، فبالكلمة relevance (تقليد حرفي للألمانية Relevanz التي انتقلت إلى الإنجليزية relevancy): وبالنسبة للسمات التمييزية اقترح لفظاً مستحدثاً، حتى في 1963: اللفظ فارق mériisme، ويعدّ الوحيد الذي استعمله (121، 23، p.22، Problèmes de linguistique générale, Gallimard 1966). وحاول أيضاً دون جدوى، أن يفرض اللفظ synapsie للإشارة إلى ما كان يسمى سابقاً لفظة lexie، أو وحدة دلالية مضعفة unité sémantique diluée، أو تركيباً مفرداً syntagme lexicalisé، أي ببساطة الوحدات من النمط "pomme de terre"، و "artiste-peintre"، الخ. ومع ذلك فينفيست Benveniste ليس مبتكراً مفرطاً في الألفاظ

المستحدثة رغم أنه يُبدى ميلاً واضحاً بهذا الخصوص.

غير أن هناك حالات نموذجية للشغف الاصطلاحي، حالات علماء يبدو أنه لم يمكنهم أن يشتغلوا إلا على معجم مختلق، وداموريت Damourette وبيشون Pichon هما مثال شهير بهذا الصدد في فرنسا: فلا يُقرأ لهما على الرغم من دقة الكثير من ملاحظتهما وعلميتهما. وقد أصيب لوسيان تينيير Lucien Tesnière، الذي تقَرّد إلى حد كبير ببعض جوانب فكره، بنفس الداء: إنه يعيد تسمية كل شيء. ويلمسلاف Hjelmslev أيضاً. وفي أمريكا كانت هذه حال بلومفيلد Bloomfield الذي كان لإبداعه الاصطلاحي على الأقل تماسك نظري كبير، ولم يكن مجموعة مجزأة من العلامات. وكان هذا أيضاً لوقت ما حال نيدا Nida في علم الدلالة. وعند تتيير، أشك في أن المحامي الأكثر براعة يمكنه أن يبرر أبداعه لمصطلحات بهذه الشفافية، وبهذه العلمية، وبهذه المجانية التامة auto - ontif و anti - ontif و anontif لتعيين ضمائ الأَشْخاص للشخص الأول، والثاني والثالث، دون إي إسهام تصويري جديد بعض الجدة. ونفس الشيء نقوله عن كثير من الألفاظ الأخرى. ولا شك أن هذا الهوس الاصطلاحي أضر بانتشار مذهبه حين كان بإمكانه أن يكون الأكثر نفعا.

وتكفي هذه الأمثلة السابقة كلها لازدهار اللسانيات في فرنسا، وحتى مثال تتيير، لإظهار بقاء مشكلة المصطلح التي تتجاوز فعلاً الميول المفرطة الصغيرة لعشريتنا. وللعثور على أمثلة أخرى عن هذا يكفي أن نراجع ما كتبه نحويو القرن الثامن عشر: جيرارد Girard رئيس البروس، وأوروبان دوميرق Urbain Domergue واضع جريدة اللغة الفرنسية (الذي يستحق أن يقارن بتتيير، أو داموريت وبيشون في هذه المسألة: فالفاعل عنده يصبح judicande، والرابطة تصبح judicateur والصفة judicat، الخ).

وسبب آخر لهذا القلق الاصطلاحي، أقل إدراكاً أيضاً، وهو ما يمكن أن نسميه التداخل الاصطلاحي: فالعلوم الأقل حظاً تستعير نجاحاتها في المفردات من العلوم أو من الاكتشافات العلمية التي تحدث ضجة، لكن بشيء من التحريف، وغالباً ما يكون بلا فائدة. هكذا وجدت

اللسانيات نفسها فجأة مغمورة بـ ميكرو micro وماكرو macro اللذين جاءا مباشرة من الكيمياء العضوية؛ وهكذا لدينا وقائع ميكرولسانية وماكرولسانية، وحتى ميكرولسانيات، وميكروفونيمات وماكروفونيمات وميكروقطع، وميكرومعاجم، الخ. والاتجاه نفسه الذي يتعذر كبحه منحنا حشداً من الميتا (التي تُضحك تقريبيتها الدعية المناطقية). ولدينا أيضاً des opérationnel (وقائع عملياتية) هي أقل عملية بكثير، و différentiel (تفاضلية) تكاد تكون أقل إيهاماً، و équationnel (تعادلية) لا نعرف تماماً ماذا نفعل بها. وقد وصف سيرج موسكوفيسي Serge Moscovici، في (P.U.F., 1961) La psychanalyse, son image et son public، بشكل متميز تحولات مصطلحات عندما تخرج من ميدانها. ويستحق الكتاب أن يكون مقروءاً أكثر خارج علم النفس الاجتماعي؛ وإن عملاً مماثلاً لعمله عن اللسانيات (الحالية) وقراءها، يقدم بلا أدنى شك نتائج واضحة جداً عن تغير المفاهيم كلما ابتعدت عن المجال الذي تكون فيه عملياتية بالمعنى الحقيقي.

وعندما تضاف إلى كل هذا، كما هي الحال اليوم، روح منافسة أشبه بالروح التجارية في المجال العلمي (بسبب السباق نحو العقود التي يجب انتزاعها كل سنتين أو ثلاث). نرى علامات إظهارية حقيقية تنشأ: لسانيات تقويمية computationelle، ولسانيات تقريبية stratificationelle، الخ (لا تنطبق على شيء جديد: فليست المسماة الأخيرة إلا العلامة المسجلة لللسانيات المستويات، أو الطبقات، وقد كانت جد معروفة سابقاً).

لكن هذا التوليد المستمر الذي لخصنا مظاهره السقيمة الأكثر جاذبية، لديه أيضاً أسباب أخرى هي نفسها مستديمة، وهي أكثر عمقاً، ومن الضروري الاعتراف بها إذا أردنا ألا يتسع القلق الاصطلاحي إلى معركة ضد أفكار وهمية. فكل علم جدير بهذا الاسم يكتشف مواد جديدة: الفونيم والمونيم والسمة الدالية مثلاً، والسمة التمييزية، هي مواد لسانية كانت مجهولة منذ مائة عام، فكان من اللازم تسميتها. ويكتشف أيضاً ظواهر ومفاهيم وطرائق ومناهج ووجهات نظر. إن التثديد بالابتكار الاصطلاحي يبدو مفضياً إلى الانغلاق في معضلة لا تحتمل: فتجميد

الاصطلاح يكون تجميداً للبحث - وميّي Meillet، وماروز Marouzeau. وكل الناس يدركون ذلك؛ لكن تجنيد البحث في الوقت نفسه، تكراراً مستمراً للبابلية. فالموقف الأول غير مقبول، لكن هل يلزم هكذا الخضوع إلى الفوضى التي يسببها الموقف الثاني؟

3

إن التاريخ نفسه يثبت أن العلماء المعنيين بهذا الأمر لا يخضعون له أكثر من القراء. فما هي الحلول التي يقترحونها؟ لقد أوضح ماروزو الوضع منذ ثلاثين عاماً (المؤلف المذكور، ص IX-X). وكل ما جمعه في هذا الشأن يبقى من الجيد أن تعاد قراءته، لكن هذا المعجم يبدو غير مقروء ولا متأمل من قبل مستعمليه وإن كانوا كثيرين.

وبإمكاننا أن نستبعد الحل الطوباوي الذي يتمثل في توحيد المصطلحات، وبالتالي تجميدها: فإذا كان صحيحاً أن علماً ما ليس إلا لغة مُحكمة، حسب عبارة كوندورسي Condorcet، فكل الناس يعلمون أن العلم ليس ناضجاً نضجاً مطلقاً. والاصطلاح المثالي يفترض علماً منتهياً. فالتوحيد "وهمي"، مثلما يقول ماروزو.

وتستحق كل المواقف المحصاة الأخرى عنده الفحص. لكن يبدو من غير الفطنة الاعتقاد أن "الاصطلاح هو مسألة ذوق"، مثلما فعل يلمسلاف Hjelmslev في 1928 - والذي طبق بتوسع مسلمته هذه - وواصل قائلاً: "هو لا يمس الحقائق"، ناسياً أن العلم عمل جماعي، وأن لغة ما، وحتى اللغة العلمية، هي أداة تبليغ، وأن المجدد [في الألفاظ] المتماذي، وإن كان عبقرياً، يكاد يُجازى في هذه الحالة دائماً بالفشل: فلا نتعلم "لغته" ولا نقرأ له، ونسيء القراءة له، ولا نفهمه، ونتخلى عنه على حافة الطريق. إن تاريخ اللسانيات، مثل تاريخ كثير من العلوم الأخرى، مقبرة فسيحة للسيارات الاصطلاحية. التي لم تُسرْ مطلقاً أو تقريباً. مقبرة قليلاً ما تزار، رغم أن زيارتها مثقفة جداً، فمن الـ 106 ألفاظ التي أبدعها يلمسلاف Hjelmslev. بقيت 5% في الاستعمال الشائع. ولا يبدو أقل خطورة أن نصرح كما فعل فندرييس Vendryes (في 1928 أيضاً) بأنه "ينبغي للسانيين ألا يُسندوا إلى مفرداتهم دقة المفردات التي تستعملها العلوم الفيزيائية"

والكيميائية". ويضيف، براءة تفحصنا اليوم، أن "الألفاظ اللسانية هي [أي: يجب أن نكون] مرنة، وتحتوي على شيء من التقريب". فهذا الموقف يمثل نمط الموقف العلمي المتسامح والتوفيفي لفندرانس. ولأنه يصدر عن أحد التلاميذ الأكثر تقرباً من ميمي Meillet، فهو يبرز بمفرده صعوبات إيصال علم ما، واتخاذ موقف تجاه المعرفة.

وموقف ميمي في الواقع مختلف اختلافاً كبيراً، فهو غني أكثر وبناء أكثر. ففي مقاله "عن مصطلحات الصرف العام"<sup>1</sup> (الصادر في السنة نفسها 1928 والتي نشرت فيها الكتابات المذكورة سابقاً ليلسلاف وفندرايس، والذي هو خلاصة عام لتفكير طويل لميمي عن المشاكل الاصطلاحية)، كان يعي جيداً حقيقة أن المصطلحات ينبغي أن تستجيب لتطلعات متناقضة. فهي أولاً جزء من اللغة، أي مؤسسة اجتماعية. أي أنه لضمان وظيفتها يجب أن تكون "مشتركة بين عدد من الأشخاص" وأن "أغلب عناصرها لا يمكن أن تعدل إلا بطريقة جماعية، بحيث تقتضي استقراراً إلى حد كبير" (المؤلف المذكور، ص 29-30). ويقول أيضاً: "لكي نتفاهم جيداً، نحتاج أولاً إلى اصطلاح يكون للألفاظ فيه المعنى نفسه عند كل الناس" (المرجع السابق، ص 29). فما يلفت النظر في زمنهم، في هذه التصريحات هو أن المطلب الاصطلاحي ليس مصوغاً باسم قواعد خارجية (الصفائية أو الدقة المعجمية، والثباتية أو الثبات التصوري قلياً، الخ)، لكنه مصوغ باسم قوانين سيرورة اللغات، والتي تعمل في هذا المجال الضيق كما في جميع المجالات الأخرى: على أساس التبليغ، والتفاهم.

ومع ذلك فإن هذا المطلب الاصطلاحي، وميمي يدرك ذلك على نحو جيد أيضاً، يصطدم بواقع أن "الأصناف النحوية تختلف جوهرياً من لغة إلى أخرى، و[أنه] عندما نستبعد كل ما هو خاص بلغة ما، فإن الباقي دقيق، لا نكاد نمسك به، وهو من الغموض بحيث إنه يقدم منفعة زهيدة" (المرجع نفسه، ص 31). فهو يعي هذه الصعوبة إلى حد أن مقاله كله برهنة على أنه من غير الفطنة أن نسمي بنفس الدال: /المستقبل/ المدلولات التي تظهر صرفياً أو نحوياً في حالة

<sup>1</sup> sur la terminologie de la morphologie générale, dans Linguistique historique et linguistique générale, t.2, Klincksieck, 1961, p.23-35.

مفهوم "حدث الفعل الذي سيقع" حتى في لغات متقاربة قرابة الفرنسية والألمانية والإنجليزية والروسية واليونانية الحديثة . وهو ما يعني طرح مشكلة المصطلح بعمق أكثر بكثير من طرحها لأسباب المنفعة الفكرية أو التربوية.

وحتى إنه يقترح أن يكون الاصطلاح المثالي يتمثل في ألفظ "أفضلها تلك التي لا توجي بأي معنى، وبأي استعمال محدد، وهي أسماء اعتباطية" (المرجع نفسه، ص 31). ويعني بهذا ألفاظاً دالها لا يوقظ أي صدى دلالي متطفل، لأنه لا يناسب إلا مدلولاً وحيداً ذا استعمال صرفي معطى في لغة معطاة. فينبغي ألا نستعمل التسمية نفسها/المستقبل/ للتعبير عن البنى الصورية والتقابلات البنوية والدلالية لـ j'aimerai في نظام الفعل الفرنسي، ولـ I shall go في نظام الفعل الانجليزي، و Ich werde sein بالنسبة للألمانية، و ja napišú و ja búdu pisat بالنسبة الروسية، و Ox، Øxo بالنسبة لليونانية الحديثة، إلخ.

كما يدرك جيداً في مقال آخر، أنه "وحتى إذا أمكن للألفاظ أن تكون مناسبة للمفاهيم، فبما أن النظريات المستخدمة لتثبيت المفاهيم مصيرها التطور، فإننا مع تطور العلم، قد نرى النظريات تجر في أنقاضها اصطلاحاتها نفسها"<sup>1</sup>، ونستطيع أن نقول إن مي Meillet قد أحاط بمشكلة المصطلح، وأسبابها الإستمولوجية المحضة.

#### 4

وبما أنه مع ذلك ظل يهتم باللسانيات ويكتب فيها، فهذا لأنه كان يوجد بالنسبة له، مخرج، سواء أكان تجريبياً أم نظرياً. وهذا الحل معروف منذ أرسطو على الأقل. وهو حل العلوم الدقيقة، ومفتاح دقة الرياضيات؛ لكن العلوم الإنسانية، بسبب منشئها وعرفها الأدبيين، تبدو بنوياً شديدة الحساسية لهذه الدقة: إنه التعريف. ويصوغ مي المطلب في ثمانية أسطر، فيقول (بعد أن حلل المعضلة الاصطلاحية): "إن لفظاً يوجي بفكرة خاطئة يفقد أذاه حالماً نعرفه بطريقة دقيقة". ويضيف هذا المثال: "ليس هناك اسم غير معقول أكثر من حلقي للإشارة إلى أصوات شديدة ك:

<sup>1</sup> ذكره ماروزو، معجم المصطلحات اللسانية، ص IX.

الكاف، والفاف، أو صوت احتكاكي كالـ (ch) الألماني. لكن هناك بعض الادعاء في تغيير لفظ موافق عليه ومن السهل تعريفه جيداً". ويستنتج، وهو محق أنه "لا يوجد خطر حقيقي إلا في الحالات التي لا يمكن أن نتوصل فيها إلى تعريف دقيق" (المقال المذكور، ص 31).

وسبق أن كانت وجهة نظر سوسور Saussure، منذ 1916 (وجدير بالملاحظة أن المنظرين الحقيقيين وحدهم يدرجون دائماً مشكلة المصطلح في انشغالاتهم العلمية الأساسية. وأنه إليهم هم ندين أيضاً بالتوضيحات الفعالة والوحيدة بهذا الخصوص)<sup>1</sup>. فسوسور يبدأ المحاضرات بطرح سلسلة من التعاريف، منها - التعريف المركزي - للسان. ويقول: "مما ينبغي ملاحظته أننا عرفنا الأشياء وليس الكلمات؛ فالتمييزات المقامة ليس لديها شيء تخشاه من بعض الألفاظ الغامضة التي لا تتطابق من لغة إلى أخرى. هكذا ففي الألمانية Sprache يعني "لسان" و"لغة"؛ و Rede يطابق تقريباً "كلام"، لكنه يضيف إليه المعنى الخاص الذي يتضمنه لفظ "خطاب". وفي اللاتينية، sermo يعني بالأحرى "لغة" و"كلام" بينما lingua يشير إلى اللسان، وهلم جرا. فلا تطابق أي كلمة بالضبط أحد مفاهيم [اللغة، اللسان والكلام] الموضحة فيما سبق؛ لهذا فإن كل تعريف موضوع انطلاقاً من كلمة هو دون جدوى، إنها طريقة سيئة أن ننطلق من الكلمات لتعريف الأشياء".<sup>2</sup>

وإذا أقررنا وجهة نظر سوسور Saussure ومي Meillet، والتي فيما يخصني أؤيدها كلياً، يبقى أن نتفق حول ما يجب أن يكون عليه التعريف "الدقيق". وما يذكره سوسور في هذا الشأن خطوة إلى الأمام زيادة على الإشارة البسيطة لمي. إن التعريف المعجمي ينطلق من الكلمات ليصف، في آنية وفي زمانية، الدلالات المتنوعة والمتتابعة وغير المتجانسة غالباً؛ إنه إجراء سيماسيولوجي، ننطلق فيه من الدوال. ويقول سوسور إن التعريف العلمي ينبغي بخلاف ذلك، أن

<sup>1</sup> حتى إن رسالته إلى مي المؤرخة في جانفي 1894 تثير العواطف بهذا الخصوص (ذكرت في manuscrites

Sources, R. Godel لـ C.L.G الخ، باريس، Minard، 1957، ص 31.

<sup>2</sup> المحاضرات، طبعة نقدية حضرها Tullio De Mauro، Payot، 1972، ص 31.

ينطلق من الشيء<sup>1</sup>، ومن المفهوم، ومن التصور، وأن يصفه ثم يضعه في تطابق مع دال: إنه إجراء مدلولاتي. وبتركيب اللفظ، يحصل على خاصيته الثانية: يصير أحادي المعنى فيالنظرية التي تعرفه. ولكي يكون التعريف دقيقاً، أي علمياً، يجب أخيراً أن يكون عملياً، أو أفضل من ذلك: عملياً. إذا احتفظنا لهذه الكلمة بتعريفها الدقيق (الذي يتمثل في عمليات مرتبة منهجياً).

إن تعريف الأصوات الشديدة أو الحذف المربوط مثلاً، هو عملياتي إذا عرف اللفظ بسلسلة من العمليات، بحيث أن عدداً غير محدود من المختبرين، يكونون مزودين بهذا التعريف ويمدونه، يستخرجون من هذه المدونة بفضل هذه السلسلة من العمليات، كل الأصوات الشديدة ولا شيء غير الأصوات الشديدة، وكل الحذوف المربوطة، ولا شيء غير الحذوف المربوطة.

5

وعندما نقول هذا، يبدو أن التفكير الإيستمولوجي عن الاصطلاح قد تمخض فولد فأراً. لأن هذا الأمر يعرفه كل الناس منذ زمن بعيد، منذ أرسطو.

ونحن بهذا ننسى أنه يبقى أن نطبقه. وفي الواقع إذا دخلنا في هذا المجال نكتشف معضلة أخرى: فإما أن المؤلفين لا يعرفون ألفاظهم، وهو الاضطراب الاصطلاحي - وإما أنهم يعرفونها، لكنهم يفعلون ذلك في الأغلب لإبداع اصطلاحات خاصة، وعديمة الفائدة في أغلب الأوقات، وزيادة على ذلك خفية، فلا شيء أو تقريباً لا شيء يدخل في استعمال الجميع.

وكل الناس، قد رأينا ذلك، واعون جداً بعدم الراحة وبتشوش هذا الوضع، ليس القراء فقط، لكن اللسانيون أيضاً. ويبقى ربما أن نلاحظ الشيء الأساسي. ففعلاً، إن الجدول الذي رسمه ماروزو Marouzeau - والذي نستطيع أن نتابعه من بعده - عن الجهود من أجل التغلب على سرطان الاصطلاح يظهر موقفاً فريداً هو التسليم بالحل التشريعي، وتأسيس لجان ومجالس

---

<sup>1</sup> سنذكر بهذا الصدد، أن الشيء اللساني بالنسبة لسوسور ليس الشيء بالمعنى الشائع، والمعطى مسبقاً، فيقول: "في اللسانيات لا نقول أبداً إن الشيء يسبق وجهة النظر، بل نقول إن وجهة النظر هي التي تبدع الشيء (المحاضرات، ص 23).

علمية أو حتى وزارية، الخ، نكفلها بنكويين مقترحات وتقارير بغية تأييدها بالمؤتمرات الدولية، والتي تُعتبر الهيئات الوحيدة المؤهلة للتصويت على القانون. وفي حين أن حل مشكلة المصطلح جماعي عند الوصول وليس عند الانطلاق. فعند طرحه كجماعي من البداية، يُعفى الباحثون، ببساطة من عبء بنوء على كل واحد أن يحمله شخصياً. فالجميع تقريباً، يُرجعون لا شعورياً إلى الآخرين عناية تطبيق القواعد التي لا يتمسكون هم أنفسهم بالخضوع إليها. إنه كما بالنسبة للغات الثانوية العالمية: كل واحد موافق عليها شريطة أن تختار كلغة عالمية لغة بلده. إنه تنكّر لكون الموقف الاصطلاحي جزءاً متمماً للموقف العلمي. هكذا، هو جزء ضروري وأساسي لسلوك كل باحث. فمشكلة المصطلح هي أولاً، وفي المنطلق، مشكلة صحة فكرية وعلمية فردية، ومشكلة موقف إبستمولوجي. وهي تشكل جزءاً من القواعد الأكثر أهمية في تشكيل المعرفة. ولا تقتضي إذن مرسوماً ما من جماعة ما، حتى لو كانت كثيرة العلم، والحكمة والنية الحسنة. فلها يرتبط بالوضع العلمي لكل باحث على حدة.

وقواعد هذه الصحة الإبيستمولوجية تبدو هي الآتية:

أ) أن تُعرّف كل ألفاظها دائماً، بطريقة عملية بدقة؛ أو أن يُحدّد إلى أي تعريف مستعمل مسبقاً لهذه الألفاظ نستند صراحة. وفعلاً، فحسب عبارة مارتيني Martinet، "الاستعمال العام لبعض الألفاظ ك فونيم وحتى بنية يساهم غالباً في إخفاء اختلافات عميقة". فمثلاً (وهو أيضاً صحيح بالنسبة لعشرات الألفاظ أو حتى المئات منها: مرفيم، لفظة، شكل، معنى، دلالة، تعبير، الخ)، "تحت العلامة المشتركة والخادعة للنبوية تتلاقى مدارس ذات اهتمامات واتجاهات متباعدة تباعداً كبيراً"<sup>1</sup>.

ب) الالتزام بهذه التعارف بطريقة متطابقة في سياق العمل نفسه؛ أو تحديد كل تغيّر ذي مصدر اصطلاحي بطريقة ظاهرة. وقد ذهب بعض الكتاب المناطقية إلى حد التأكيد على أنه يجب تزويد اللفظ بقرينة تُحيل إلى تعريف من تعاريفه نقصده في جملة معطاة. والقواميس تستعمل

<sup>1</sup> A.Martinet, Economie des changement, phonétiques, Berne, Francke, 1955, p.11

هذه التقنية؛ ويتحدث لالند Lalande مثلاً، عن التعميم بالمعنى أ، أو بالمعنى ب، أو بالمعنى ج. ويقول كوفليي Cuvillier في Nouveau philosophique vocabulaire: "التجربة 2 مكتسبة دائماً بناءً على استدلال دقيق مؤسس على فكرة ولدتها الملاحظة 2 وتتحقق منها التجربة 4". ويتبع مارتيني وهذه القاعدة في La linguistique, guide alphabétique، وهكذا كان بإمكان هاجير Hagère أن يتحدث (ص 298 مثلاً) عن فونولوجيا 1، وفونولوجيا 2، وفونولوجيا 3، وفونولوجيا 4، وفونولوجيا 5، وفونولوجيا 6.

وهذه التقنية ليست بالتأكيد موصى بها في عرض غير معجمي. لكن النظام الذي تلقّنه يمكن أن يُحتفظ به، فنستطيع، كلما لزم ذلك، أن نحدد أننا نتحدث عن فونيم تروبتسكوي Troubetzkoy، وعن الفونيم البلومفيدي Bloomfieldien، وعن فونيم جونز Jones، الخ. إنه من جهة أخرى الحل الذي ينادي به مارتيني: "أن نسعى إلى عدم استعمال الألفاظ الخاصة بهذه المدرسة أو تلك دون تعريفها ودون تبرير استعمالها" (Economie، ص 12). وهو يشدد زيادة على ذلك على أهمية ألا نحشر المراجع، بلا أي إجراء آخر، في العمل نفسه أو في العرض نفسه، في نظريات مختلفة: ليس بدافع الصفائية، أو بدافع الدوغمائية، أو بدافع الانعزالية النظرية، لكن لأن خلط النظريات دون إشعار هو خلط للمصطلحات، أي المفاهيم الأساسية، حتى عندما تكون الدوال متطابقة.

ج) كلما كان الباحث مبدعاً، أو مقتنعاً أنه مبدع، كان عليه أن ينتبه جيداً للإبداع الاصطلاحي، حتى يحتاط من وهم الاكتشاف إذ يعيد التسمية، ومن عائق اللاتواصل. إن الخوف من التوسع الاصطلاحي المطلق العنان حسب العبارة الوافية لمارتيني<sup>1</sup> Martinet، ينبغي أن يكون أحد وساوس كل ذهن علمي. فصحته الفكرية الجيدة تستلزم. وهذا ربما أحد الأسباب التي تفسر قلة مؤيديها. ثقافة لسانية راسخة، وتستلزم على الأقل، هذا التمرين المصحح: التطبيق المستمر لكل الأدوات الاصطلاحية لتخصصها.

<sup>1</sup> A.Martinet, The Unity of Linguistics, dans Word, 10, 2-3, 1954, p.124.

وكلما كان الباحث مقتنعاً بتقديم الجديد كان عليه أن يتمسك بجعله قابلاً للتبليغ، وبعدم إعاقة انتشاره (والذي يصادف قبلاً المقاومة الكلاسيكية لكل ما هو جديد). لذلك عليه أن يكون أقل خضوعاً من غيره للذة إبداع اصطلاحاته، وألا يلجأ إلى التوليد إلا بعد أن يفعل كل شيء لتجنبه، فعلياً ألا نضع ألفاظاً جديدة إلا بعد استنفاد جميع الوسائل. وعلينا أولاً، أن نعاود مع مارتيني تكرار أن "التجديد في هذه المواد يزيدها اضطراباً" (Economie، ص 12). فيجب استنفاد كل إمكانيات استعمال "الاصطلاحات [...] الموجودة"، والتي لا يسع الأمر أن نستبعد دفعة واحدة" (المرجع السابق). وينبغي، خاصة في هذا الوقت من البحث والإبداع، أن يقاوم الباحث بكل ضمير منصف إغراء كل الأعداء التي تعرض نفسها عليه لتجعله يخضع للنازع التوليدي.

إنه عذر قوي كما أنه هام جداً: أن نعتقد أن الفيض الاصطلاحي هو العلامة الإلزامية لعلم في غمرة التطور، والنتيجة الطبيعية والحنمية لفترات الحداثة أو التجديد، وأن نتعاون على هذه المبادرة الحسنة بإبداع الاصطلاحات. وكما في التاريخ من شهادات بأنه لا يوجد تناظر لازم بين الاثنين، خاصة على مستوى كل باحث معزول.

وهذا عذر آخر، وهو أدق خطورة: أن نعتقد أيضاً أننا لا نهتم بالاصطلاحات إلا لتحسينها عندما تكون خاطئة، كما في المثال الواضح جداً للأصوات الحلقية gutturales (التي لا علاقة لها بالهلق، باللاتينية guttur، لكن لها علاقة في الواقع بظهر اللسان والحنك الرخو)، وهنا الفخ المنصوب دائماً، لأننا ننقل بعجلة من بضعة الألفاظ غير الملائمة بالطبع (كالحلقي) إلى التي ليست كذلك والتي، ببساطة، لا تشير إلى ظاهرة لسانية إلا من أحد جوانبها. ما هو حتى طابع اعتبارية الدليل (وقد نبه بريال Bréal إلى أن الكلمة لا يمكن أن تصف الشيء لكنها تضع له علامة فقط: /ekwos/ "الحصان"، ب، i.-e، يعني فقط "الذي يجري"، "الراكض"). ونستطيع أن نتناقص إلى أبد الآبدين حول التسمية الجيدة للظاهرة النطقية التي تحدث خلال تحقيق الفونيم الثالث للكلمة الإيطالية fatto "حدث". أيجب تسميتها /t/ مشدداً؟ لكن هذا ليس تجاوراً لصوتي /t/ تامين كفاء fato "قَدَّ": فالتاء الأولى ابتلاعية، والثانية انفجارية. والكلمة الألمانية Verdoppelung

التي تعني "مضاعف" ألا تكون أكثر وضوحاً؟ أو الاسم ممدود، أو مديد، كما اقترحناه؟ لكن النطق الطويل والنطق المزدوج، للفونيم نفسه هما مختلفان أو يمكن أن يكونا كذلك. ومارتيني هنا أيضاً محق في قوله إنه "من غير الجدوى أن نتوخى أن يكون كل لفظ بنفسه، تعريفاً للشيء الذي يشير إليه"<sup>1</sup>. فالمهم أن نعرف بوضوح الواقع الذي ندل عليه بواسطة اللفظ على نحو متطابق بينهما.

وعذر ثالث يتمثل في التمسك بتصريح آخر لمارتيني Martinet تمسكاً حرفياً، فيحسبه "الاختلافات الاصطلاحية قليلة الأهمية أو بلا أهمية إذا كانت تنتج عن اختيار ألفاظ مختلفة لنفس المفهوم، خصوصاً إذا لم يكن أحد الألفاظ سوى ترجمة للفظ الآخر، والذي استعمل في لغة أخرى"<sup>2</sup>. وبداية هذه الجملة التي ترن نوعاً ما رنة جملة يلمسلاف Hjelmslev المذكورة أعلاه، ينبغي ألا تكون معزولة عن نهايتها: فاختلاف الألفاظ التي تنطبق على المفهوم نفسه (المعرف جيداً) عندما تكون موجودة (لسوء الحظ) لن تكون ذات أهمية. إن جدالنا الأبدي لمعرفة ما إذا كان من الأفضل تسمية تحقيق الـ r النورماندي لـ rien (R) لهوياً (لأن نقطة النطق به هي اللهاة)، أو مهترأ لهوياً (لأن اللهاة هي مركز عدة حركات سريعة)، أو r مقروعاً (لأن هذه الحركات السريعة ليست اهتزازات فحسب، بل هي تعاقبات من التقلصات والتباعدات)، أو حتى flapped r (لقناعتنا بأن الفرنسية عاجزة عن تسمية هذا الواقع النطقي وبأنه، بمقتضى توجه كلاسيكي، نكون أكثر تأثراً بقوة تعبير الكلمة التي نفترضها من لغة متعلّمة في المقام الثاني)، كله ثانوي: فلا أحد من هذه الألفاظ يغطي التعريف الوصفي الكامل للظاهرة. لكن وجود هذه الاختلافات الاصطلاحية، وعدم أهميتها في أكثر الحالات بالنسبة لمن يرجعونها عن بصيرة إلى نفس التعريف التصوري، لا يبزر استنتاج عدم أهمية اقتراح تسمية خامسة، نحسبها أسلوبياً أكثر ملاءمة من التسميات الأربع السابقة.

<sup>1</sup> A.Martinet, La gémination consonantique d'origine expressive dans les langues germaniques, Paris, Klincksieck, 1937, p.9 et ss

<sup>2</sup> A.Martinet, Structural Linguistics, dans Anthropology to-day, KROEBER éd., Chicago University Press, 1953, p.576.

وإلى جانب هذه القواعد للسلوك الاصطلاحي، والتي يعود تطبيقها إلى كل باحث كفرد، فإن نصيب الاقتراحات والقرارات التي يمكننا انتظارها، وحتى تمنيتها، من بعض الهيئات المشكلة علمياً يبقى هزياً. فاللجان الوطنية للاصطلاح مثلاً، تعمل على مستوى التعليم الأولي وحده. وفعاليتها يجب أن تكون متغيرة مع الحس المدني المهني لكل بلد. ويبدو أن بلجيكا تقوم بتجربة مشجعة، إذا تتبعنا مختلف طبعاتها لـ <sup>1</sup>Code de terminologie grammaticale. وعلى خلاف ذلك في فرنسا، فإن القرار الذكي للعام 1901 بقي على ما يبدو حبراً على ورق.

لكن إذا تجاوزنا إطار التعليم، حيث يمكن أيضاً أن نشرّع بأمل نوعاً ما في النجاح، للدخول في نجاح البحث العلمي نفسه، فإن النظرة تتغير، وفليدال Flydal محقّ في اقتراحه في 1965، أن لجنة للاصطلاح يمكن على الأقل أن تستقر على أربع مهمّات:

. إنقاص الثراء المخرج في العبارات التي تناسب محتوى تصورياً واحداً (حالة الـ r اللهوي مثلاً)؛

. تبني الألفاظ التي تعكس المفاهيم النظرية المقبولة عموماً اليوم، على حساب الألفاظ التي تعكس نظريات مهجورة (مثلاً حالة: modus و dictum لشارل بالي Charles bally، واللذين لم نعد نصادفهما إلا في التحريات الفهرسية وتاريخات المسائل)؛

. تكوين اصطلاحات تقدّم دوالها ومدلولاتها حداً أقصى من التشاكية مع المعجم النظري المستعمل (إنه المطلب الكلاسيكي للمناطق، والتماسك الداخلي الذي نادراً ما يكون حاضراً في ذهن اللسانيين الاصطلاحين)؛

. بناء تعاريف إجرائية.

ومع ذلك، فيكفي أن نذكر هذه المطالب الأربعة المتواضعة لنلمح أن تلبيتها، رغم المظاهر، لا تتعلق بهيئة جماعية أيّاً كانت، لكنها تتعلق من جديد بالموافقة المنضبطة لكل باحث على

---

<sup>1</sup> انظر Eric Buysens, Pour la prochaine Édition du code de terminologie grammaticale, dans Revue des langues vivantes, Bruxelles, XXXVI-1970, n3, p.229-234

حدة، أي بالموافقة الصادرة عن قناعة عميقة. فإذا كان اللفظ فونيم عالمياً فهذا لأن موضوعه اللساني يغطي حقيقة علمية (مهما كان التفسير النظري المعطى لها) لم تستطع أية نظرية لسانية أن تستغني عنها حتى الآن. فالإجماع الاصطلاحي ليس في المنطلق، لكنه عند الوصول: عندما يكون هناك إجماع علمي عليه.

7

وللصعوبات الاصطلاحية أيضاً أسباب أخرى، لا يعرفها الجاهل بهذا العلم . وحلولها متميزة. ومارتيني Martinet ذو الواقعية الفريدة هنا أيضاً، يعطي عنها جرداً يظل جديراً بالعناية. فهناك أولاً، "البعد [المادي]، وإلى حد ما، الحدود السياسية واللسانية [التي] لا تزال يُعتد بها في العالم العلمي للوقت الحاضر" (Structural Linguistics, p.576). فليس كل شيء سريع الانتشار، كما أنه لا أحد يقرأ كل شيء كلما صدر. إن تحليلاً ما أو نظرية تكون صحيحة، ومنسجمة مع اصطلاحات خاصة، تنتشر وتتجلى ببطء. وهذا سببٌ لكي توجد دائماً صراعات بين قديم الاصطلاحات وجديدها، فعلينا أن نقبل ذلك كضمن للبحث. وزيادة على هذا فقد كان هناك، حتى في 1974، ورغم المظاهر، "انعزالية قارية" (المرجع السابق). فأمريكا مثلاً، كانت ما تزال تقرأ القليل عن الإنتاج اللساني العالمي، وتعيش في عزلة أكبر نسبياً مما كانت عليه قبل العام 1940، حيث كان الأمر محسوساً. وكان بإمكاننا أن نقول مثل هذا عن فرنسا ما بين العامين 1916 و 1960. فكلانا كان يعرف القليل عن بحوث اللسانيات في اليابان ، أين وجد تقليد سوسوري مفعم بالحياة.

ويرى مارتيني أيضاً، وبكثير من الموضوعية، الصعوبات التي تأتي من "الانحيازات" (تلك التي للمدارس المختلفة) ومن "الأمزجة الفردية (Econimice، ص 7).

فهذه العوامل المتنوعة جداً للعزلة "كان من نتائجها عادات اصطلاحية كثيرة الاختلاف، وهي في المرحلة التي نحن فيها، تُمنّل على الأرجح العائق الأكثر أهمية والذي يقف في وجه كل تعاون [أو تبليغ، أو تقاهم] علمي عالمي" (Structural Linguistics, p.576). فهذا الذي كان

صحيحاً في 1953، لا يزال كذلك عشرين سنة من بعد.

إنه من المفيد أن نرى الأشياء كما هي. فالعائق الاصطلاحي مشكل خطر بالنسبة للقارئ العادي والقارئ المثقف، وبالنسبة للساني المبتدئ واللساني الناشئ، وحتى بالنسبة للساني الراسخ. وهذا المشكل له أسباب متعددة، تقتضي حلولاً متنوعة. فلن توجد أبداً عصا سحرية ولا حل معجزة هنا، لأن الصعوبات متعلقة بالتطبيق العلمي نفسه. وهذا سبب إضافي لنكون أكثر وعياً بهذه الصعوبات، وبطبيعتها؛ وسبب إضافي لنكون أكثر حذراً. تجاه أنفسنا، بل أكثر منه تجاه الآخرين. وإلى حد كبير جداً، فإن الاصطلاح الجيد هو إنتاج نشاط علمي دقيق، لكنه ليس سببه. وحتى إذا كانت الأسباب التي يقدمها القارئ أكثر حدسية منها مصوغة بوضوح ودقة، فإنه محق في كونه متطلباً بخصوص هذه النقطة.

التحريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002

بحوث في  
مجال التعليم العالي

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

## من مواضيع تيسير تعليم النحو وحلول مقترحة

أ.د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث الموجز ان نتعرف جوانب من تيسير تعليم النحو وأن نقدم عدداً من المقترحات حول هذا الموضوع بعد عملية العرض لتلك الجوانب.

### أولاً: من مواضيع تيسير تعليم النحو

اتجهت أنظار بعض الباحثين في موضوع تيسير تعليم النحو إلى المادة النحوية نفسها، واتجهت أنظار بعضهم الآخر إلى طريقة التدريس، ورأى آخرون أن التيسير في تعليم النحو إنما يرجع إلى بناء المناهج التعليمية. وفيما يأتي وقفة على هذه الاتجاهات:

1. **المادة النحوية:** لم يكن الإحساس بثقل المادة النحوية على المتعلمين وليد العصر الحاضر، إذ إن هذا الإحساس تزامن مع كثرة الافتراضات والمماحكات والتأويلات والخلافات بين المدارس النحوية، الأمر الذي دعا بعضهم إلى الشكوى والتذمر من الشذوذ والاستثناء والتأويل فها هو ذا "دماذ" صاحب أبي عبيدة يشكو إلى أبي عثمان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره ما لقيه من عنت في موضوع واو المعية وفاء السببية من أن ما بعدهما ينصب بأن مضمره وجوباً<sup>(1)</sup>. وهاهو ذا الجاحظ يدعو في إحدى رسائله إلى الإقتصار في تعليم النحو للصبي على الموضوعات الأساسية التي تؤدي إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشدته وشيء إن وصفه، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ولا يضطر إليه في شيء على حد تعبير الجاحظ.

وثار ابن مضاء القرطبي على النحاة بعد أن هالته كثرة افتراضاتهم وتأويلاتهم ورأى أن يحذف

من النحو كل ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم، "فأحوال أواخر الكلام كأحوال أوائله لغوية بسيطة لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم ولا إلى بعد في التأويل"<sup>(2)</sup>.

ومن المحاولات العملية في العصور السابقة محاولة خلف بن حيان الأحمر البصري في رسالته "مقدمة في النحو"<sup>(3)</sup> ومحاولة أبي جعفر النحاس النحوي في كتيبه "التفاحة في النحو"<sup>(4)</sup> وتشتمل الرسالة كما يشتمل الكتيب على الموضوعات النحوية الأساسية التي يحتاج إليها المتعلم في إصلاح لسانه في كتاب إن كتبه، أو شعر إن أنشده، أو خطبة إن ألقاها، أو رسالة إن ألفها، على حد تعبير خلف نفسه.

وأول محاولة ظهرت في العصر الحديث هي محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في "إحياء النحو" عام 1937م، إذ إنه كان ثائراً على النحويين الذي قصروا مباحث النحو على الإعراب والبناء دون أن يبحثوا خصائص الكلام من حيث التقديم والتأخير والنفي والإثبات والتأكيد<sup>(5)</sup>. ودعت لجنة تيسير قواعد اللغة العربية عام 1938 إلى إلغاء الإعراب التقديري والمحلي لعدم فائدته في ضبط لفظ أو تقويم لسان، وأن نجعل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد أسمته باب "المسند إليه"، وأوصت أن يلغى الضمير المستتر جوازاً ووجوباً<sup>(6)</sup>.

ومن محاولات التيسير في القرن العشرين محاولة مؤتمر مفتشي اللغة الغربية عام 1957م الذي رأي أن الكلام العربي كله مكون من جمل ومكملات وأساليب، وأن لكل جملة ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وأما التكملة فهي كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساسية معنى يكمله، وأما الأساليب فهي تعبيرات خاصة نطق بها العرب على الصورة التي وصلت إلينا نحفظها ونقيس عليها<sup>(7)</sup>؛ وشقت هذه الدعوة طريقها إلى المناهج التربوية إيان الوحدة بين سورية ومصر، وكانت ثمة عودة عنها بعد الانفصال، فعادت المناهج التربوية في سورية إلى اعتماد مصطلحات الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل والخبر على النحو الذي كان سائداً قبل الوحدة.

ورمت محاولة تيسير تعليم اللغة العربية التي ظهرت في الجزائر عام 1976م بإشراف اتحاد المجامع اللغوية العربية إلى الاختصار من المادة النحوية ما أمكن على ما يستعمله الطلاب في

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

حياتهم، والإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تحليل، ودراسة بعض التراكيب النحوية دون تعرض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم والتعجب والتحذير والإغراء. وترك دراسة القواعد التي تستعمل نادراً كالتنازع والاشتغال، والإبقاء على تسمية المبتدأ بعد إن وأخواتها فيقال مبتدأ إن منصوب(8).

وفي الثمانينيات ظهرت محاولة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابة "تجديد النحو" وقد اعتمد ستة أسس للتجديد منها إعادة تنسيق أبواب النحو وحذف ثمانية عشر باباً من أبوابه، والأبواب المحذوفة هي باب كاد وأخواتها، باب ما ولا ولات العاملات عمل ليس، باب كان وأخواتها، باب ظن وأخواتها، باب أعلم وأخواتها، باب التنازع، باب الاشتغال، باب الصفة المشبهة، باب اسم التفضيل، باب التعجب، باب أفعال المدح والذم، كنايات العدد، الاختصاص، التحذير، الإغراء، الاستغاثة، الندية.

ومن الأسس المعتمدة إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي والإعراب لصحة النطق، فليس ثمة داع لمبحث لا سيما ما دام ما بعدها يكون مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً، ولا لإعراب كم الاستفهامية وكم الخبرية.

ومن الأسس التي اعتمدها الدكتور شوقي ضيف في تجديد النحو حذف زوائد كثيرة من مثل حذف اسم التفضيل وشروط فعل التعجب وقواعد اسم الآلة وشروط صيغ التصغير وحذف قواعد النسب، وحذف شروط الحال وأحكامها وحذف عمل المصدر . الخ.

أما الأبواب التي أضافها في باب التقديم والتأخير، وأضاف مبحثاً في حروف الزيادة وتوسع في بيان عمل المصدر والمشتقات عمل الفعل(9).

ذلك هو جانب من محاولات تيسير تعليم النحو في عصرنا الحديث، والسؤال الذي يمثل: هل شقت هذه المحاولات طريقها إلى المناهج التربوية؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن المحاولة التي شقت طريقها إلى المناهج التربوية هي

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

محاولة مؤتمر مفتشي اللغة العربية، إذ إن المناهج في عصر الوحدة بين سورية ومصر طبقت ما جاء في هذه المحاولة من اعتماد المسند والمسد إليه والتكملة والأساليب. أما بقية المحاولات فقد بقيت توصياتها دون تنفيذ كمحاولة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر في السبعينيات ومحاولة الدكتور شوقي ضيف في الثمانينيات.

ويرجع السبب إلى أن الإنسان يألف ما ينشأ عليه، وثمة صعوبة في تقبل التغيير فضلاً عن الحرص على إبقاء الصرح الذي خلفه لنا الآباء والأجداد على النحو الذي ورد عليه دون مساس به.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها أصحاب هذه المحاولات بقي التذمر من صعوبة القواعد النحوية قائماً، وويقي ضعف الطلبة في اكتساب المهارات مستمراً.

وتساءل المربون: لم لا يطبق طلبتنا القواعد النحوية تطبيقاً سليماً في الوقت الذي يطبقون فيه القوانين الفيزيائية والرياضيات بكل سهولة ودون مشقة؟

أليست الصعوبات التي نشكونها قديمة؟ وكان من أشد الأصوات ارتفاعاً صوت المرحوم الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ورئيس جامعة عين شمس سابقاً إذ يقول: "وكنْتُ أحسب أن ذلك الضعف مرجعه إلى القواعد النحوية وما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى التعليل. على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نرجعه إلى هذه الصعوبات، فهي قديمة أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية(10)" فما الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية؟

2. طرائق تدريس القواعد: ثمة ثلاث طرائق لتدريس القواعد النحوية، الطريقة الأولى هي الطريقة القياسية، وكانت سائدة في مطلع القرن الماضي، والأساس الذي تقوم عليه ذكر القاعدة أولاً أو المبدأ العام ثم توضح القاعدة بالأمثلة ليجيء التطبيق على القاعدة أخيراً، وألفت الكتب

النحوية التعليمية وفق هذه الطريقة ككتاب "قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية" لحفني ناصيف وآخرين وكتاب "النحو الوافي" لعباس حسن (11).

ويرى أنصار هذه الطريقة أنها سهلة، وسريعة في الأداء، وتؤدي إلى استقامة لسان المتعلم. أما معارضوها فيرون أن مفاجأة المتعلم بالقاعدة قد تكون سبباً في الصعوبة في التطبيق، وأنها لا تراعي المبدأ التربوي في الانتقال من السهل إلى الصعب، وأنها تضعف في المتعلم القدرة على الاستنتاج والابتكار، لاعتمادها على التلقين في حفظ القواعد واستظهارها.

ويسبب هذه السليبات عدل عن هذه الطريقة إلى الطريقة الاستقرائية التي وضع أسسها المربي الألماني يوحنا فردريك هربارت، والتي تعتمد على عدة خطوات هي: المقدمة والعرض والربط والقاعدة والتطبيق، كما تعتمد على أن يكتشف المتعلمون القاعدة بأنفسهم من خلال الأمثلة التي يضعها المدرس أمامهم، وبطريق الاستقراء يتوصلون إلى القاعدة ليجيء التطبيق عليها، ولقد ألف كتاب "النحو الواضح" لعلي الجارم ومصطفى أمين على هذا الأساس (12).

ورأى أنصار هذه الطريقة أن طريقتهم هي خير معين لتحقيق أهداف القواعد النحوية، إذ إنها توصل إلى الحكم والقاعدة بالتدرج بطريق الاستقراء، الأمر الذي يجعل القاعدة راسخة في الذهن، وغير معرضة للنسيان بسبب الجهد المبذول في الوصول إليها، وهذه الطريقة تحرك الدوافع وتستثيرها لدى المتعلمين، إلا إن خصومها يرون أنها تعمل على تشتيت ذهن المتعلم لأن الأمثلة مستمدة من وديان متعددة ولا يربط بينها أي رابط، كما أنها بطيئة وتستغرق وقتاً طويلاً حتى يصل المتعلم إلى القاعدة، والقواعد لا تكتسب إلا بالتطبيق، إلا أن حصة التطبيق قليلة.

واتجهت الأنظار إلى الطريقة المتكاملة التي يمهد لدرس القواعد فيها من خلال نص متكامل شعري أو نثري يدور حول فكرة واحدة ومن خلال الأساليب المتصلة لا الأساليب الملتقطة، ويراد بالأساليب المتصلة قطعة من القراءة في موضوع واحد أو نص من النصوص يقرؤه المتعلمون ويفهمون معناه، ثم يشار إلى الجمل وما فيها من خصائص ويعقب ذلك استنباط القاعدة منها، ثم يجىء التطبيق على القاعدة.

ويرى أنصار هذه الطريقة أنها هي الفضلى في تحقيق الأهداف لأنها تعتمد أول ما تعتمد على المران المستمد من الاستعمال الصحيح للغة في مجالاتها الحيوية كافة، وفي مواقفها الطبيعية. أما خصومها فيرون أن النصوص التي يقدم بها للقاعدة في الكتب المدرسية إنما تدور حول المسائل القومية والوطنية وذكر الفضائل، وتاريخ عظماء العرب، وهذا يصرف ذهن المتعلم عن القاعدة إلى تفهم المعنى، كما أن الوقوف على معاني النص والانتقال بعد ذلك إلى الأمثلة ومن ثم إلى القاعدة يستغرق وقتاً طويلاً ويجعل نصيب التطبيق على القاعدة قليلاً فلا تتكون المهارات لدى المتعلم(13).

وعلى الرغم من التعديلات التي طرأت على طرائق تدريس القواعد لا تزال المشكلة قائمة، ولا يزال المتعلمون يرتكبون الخطأ في تعبيراتهم الكتابية والشفاهية وفي قراءتهم، وهذا ما وجه الأنظار مجدداً إلى أن السبب يرجع إلى بناء المناهج النحوية وتأليف كتبها.

3. بناء المناهج النحوية: رأى المربون أن بناء المناهج لا يكون بالاعتماد على مصدر واحد، إذ إن الاعتماد على المادة النحوية نفسها دون أن نأخذ المتعلم من حيث حاجاته وميوله وقدراته، ودون أن نأخذ المجتمع الذي يتفاعل معه المتعلم بالحسبان، يعد عملاً مبتوراً، ومن هنا كان بناء المناهج الحديثة يتم بتحديد أساسيات المادة النحوية تحديداً علمياً، ثم يختار من هذه الأساسيات أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في تلبية حاجاته الشخصية والمجتمعية، ومواجهة مشكلات حياته الخاصة وإشباع حاجاته وتنمية ميوله، ثم تهيأ الظروف والإمكانات المدرسية المناسبة لتحقيق الأهداف التي وضعت هذه المناهج من أجلها.

ولقد تم تحديد أساسيات المادة النحوية من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين، وتم تحليل القوالب اللغوية للمتعلمين في تعبيراتهم الشفاهية والكتابية بغية الوقوف على الموضوعات النحوية التي يستخدمها المتعلمون، كما تم تحليل القوالب اللغوية في جميع ميادين المعرفة بغية الوقوف على الموضوعات النحوية الوظيفية التي يستخدمها الكتاب في المجالات والصحف والكتب في مختلف المجالات، وتم أيضاً تعرف الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون في تعبيراتهم وتعرف

الصعوبات التي يواجهها العاملون في قطاعات المجتمع.

وهذه النظرة الشاملة لا تجد في تعدد المصادر التي ينبغي أخذها بالحسبان جملة عند وضع المنهج بعثرة للجهود، وإنما تجد فيه نسقاً متصلاً يكمل بعضه بعضه الآخر. وبنينا متراصاً يساند بعضه بعضه الآخر.

وهذه الأسس في بناء المناهج النحوية يتم كل منها الآخر، والاعتماد على واحد من دون الأخذ في الحسبان الأساسيين الآخرين عمل غير مكتمل، فالاعتماد على الأساسيات وحدها دون النظر إلى متطلبات الحياة ومطالب المتعلم يعني أن ثمة عودة إلى المناهج التقليدية التي تقتصر فيها العناية على المادة على أنها وسيلة وغاية، وقد يكون بعض هذه الأساسيات غير لازم للمتعلم، ولا يحتاج إليه في حياته ويصبح بذلك مفروضاً عليه تعلمه، كما أن الاعتماد على المطالب اللغوية للمتعلم دون النظر إلى أساسيات المادة أو مطالب المجتمع يعد عملاً مبتوراً، إذ قد تكون هناك ثغرات وقد تكون محدودة وضيقة، ولا تكفي وحدها في تزويد المتعلم بما يساعده في الحياة الاجتماعية.

كما أن الاعتماد على متطلبات المجتمع دون الأخذ بالحسبان مستوى المتعلم وأساسيات المادة يعد عملاً تعسفياً لأنه لا يقوم على واقع المتعلمين أنفسهم وقد يفرض عليهم موضوعات ربما لا يؤهلهم مستوى نضجهم لتقبلها، وهذا يؤدي إلى بعثرة الجهود.

ومن هنا اتجهت التربية الحديثة إلى الأخذ بالنظرة الشمولية المتكاملة لهذه الأسس في وحدة عضوية متسقة(14).

إلا أن مشكلة ضعف المتعلمين في اكتساب المهارات النحوية لا تزال قائمة على الرغم من الجهود التي بذلت في تيسير المادة النحوية وفي تيسير طرائق تدريسها، وفي تيسير بناء مناهجها، ويبقى السؤال قائماً: ما السبل التي ينبغي لنا أن نسلکها أو يجدر بنا أن نسلکها تحقيقاً للأهداف المرسومة لتعليم القواعد النحوية في عصمة اللسان والقلم من الغلط؟

هذا ما سنحاول تعرفه في القسم الثاني من هذا البحث.

### ثانياً: حلول مقترحة

- من الحلول المقترحة للارتقاء بواقع تعليم النحو ومساعدة المتعلمين على اكتساب مهاراته:
1. الإبقاء على المصطلحات النحوية التي خلفها لنا أجدادنا القدامى، وما من لغة في العالم إلا لها قواعدها ومصطلحاتها، وإن كل تيسير لتعليم النحو لا بد أن يأخذ بالحسبان الإبقاء على استخدام المصطلحات ما دامت موحدة وموحدة في مناهجنا التربوية على نطاق الساحة العربية في منأى عن الاجتهادات التي تؤدي إلى البلبلة وعدم الاتفاق حولها.
  2. التدرج في عملية اكتساب المهارات النحوية، واقتراح أن يركز في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وفي مرحلة الرياض قبلها على استخدام القوالب اللغوية من غير الدخول في المصطلحات النحوية كالترتيب على التطابق في استعمال كل من اسم الإشارة والاسم الموصول والضمير وحالات الأفراد والتنثنية والجمع في التذكير والتأنيث، والتدريب على إسناد الفعل إلى الضمائر، والتدريب على مواقف الاستفهام. الخ، ومع النمو الفكري للناشئة في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي تقدم المصطلحات النحوية والتطبيق عليها؛ وفي المرحلة الثانوية يكون ثمة تعزيز للمهارات المكتسبة في الحلقة الثانية من مراحل التعليم الأساسي.
  3. الإكثار من حفظ النصوص في المراحل الأولى شعرية كانت أو نثرية، حتى تكون هذه النصوص رصيماً لغوياً للمتعلمين في المراحل التالية، وعلى قدر حفظ النصوص يستقيم اللسان وينعكس على صحة القلم بعد ذلك في التعبيرات الكتابية وفي ممارسة المناشط اللغوية، على أن تضبط الكتب كافة في المراحل الأولى بالشكل وضبط ما يخشى منه اللبس في المراحل التالية.
  4. الابتعاد عن الشذوذات والاستثناءات والتركيز على الموضوعات النحوية الوظيفية التي تخدم المتعلم في حياته وتلبي حاجاته، وتسهل له عملية التفاعل الاجتماعي بحيث يقرأ بصورة

سليمة، ويكتب بأسلوب سليم، ويستمتع في فهم ويتحدث بصورة صحيحة فينقل رسالته بوضوح إلى الآخرين.

ومن الموضوعات النحوية الوظيفية التي تستعمل في الحياة وتواتراتها عالية في الاستخدام الأفراد والتنشئة والجمع، الاسم الموصول، أسماء الإشارة، الضمائر، الفعل والفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، اسم إن وخبرها، اسم كان وخبرها، اتصال إن وأخواتها بـ "ما"، كسر همزة إن وفتحها، المفعول به، المفعول المطلق، المفعول لأجله، المفعول فيه، الحال، التمييز، العدد، المضاف إليه، المجرور بالحرف، حذف نون المثني وجمع المذكر السالم عند الإضافة، حذف ياء المنقوص، أدوات الاستفهام، أدوات الشرط الجازمة، أدوات الشرط غير الجازمة، أسلوب النفي، أسلوب الاختصاص، أسلوب النداء، أسلوب التعجب، المجرد والمزيد، المصدر المؤول، الأسماء الخمسة، التوابع، الممنوع من الصرف، والاقتصار في الموضوعات النحوية الفرعية على ما يستخدم في الحياة واستبعاد ما لا يستعمل، على أن يترك للمتخصصين فيما بعد، فنقتصر على البديل المطابق ومن حروف الجزم على "لم، لام الأمر، لا الناهية"، وذكر "لا" النافية للجنس بين أخوات إن و "أما" بين أدوات الشرط غير الجازمة، وتوكيد الضمير بين فروع التوكيد لاستعمالها في الحياة. إلخ.

5. التركيز في التدريبات العلاجية وفي التمرينات التي تشتمل عليها الكتب على مكامن الخطأ في أساليب المتعلمين، وخاصة تلك التي تتسرب إلى أساليبهم الفصيحة من العامية مثل إسناد الفعل المعتل إلى الضمائر، الأمر المعتل الوسط، أفراد الفعل أمام الفاعل المثني والجمع، تأنيث الفعل وتذكيره، الأفعال الخمسة في الرفع والنصب والجزم، إسناد الفعل إلى نون النسوة والتركيز على الاسم الصريح إفراداً وتنشئةً وجمعاً وفي حالات الرفع والنصب والجر وذلك في المباحث التي تشتمل على الاسم الصريح مثل الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، اسم كان وخبرها، المجرور بالحرف، المضاف إليه، المفعول به، الحال، النعت، البديل، التوكيد، المعطوف، الأسماء الخمسة. إلخ(15).

ومن الواضح أن الاسم الصريح يكون مفرداً أو مثنى أو جمع مذكر سالماً، أو جمع مؤنث سالماً أو جمع تكسير أو اسماً موصولاً أو اسم إشارة أو اسماً من الأسماء الخمسة (15).

والمتعلمون تكثر الأخطاء لديهم في الاسم الصريح كما في المفعول به والنعت وخبر المبتدأ أو خبر كان وخبر إن والحال والفاعل وذلك في حالة الأفراد وجمع التكسير بتأثير العامية في الفصيحة، فالعامية تمثل إلى التوكيد في الكلمات وعدم تنوينها، وقد انتقل ذلك إلى الفصيحة في استخدامات المتعلمين، وهذا التفسير ينطبق على التمييز والمفعول لأجله والمفعول المطلق أيضاً.

والخطأ في بحث الضمير يقع في التطابق مع المثنى أو جمع الإناث أو جمع الذكور ونسبة الخطأ في حال التنثية وجمع الإناث مرتفعة، ويفسر السبب في ارتفاع نسبة التواتر في هاتين الحالتين بتسرب أحكام العامية إلى الفصيحة، ففي العامية انتقلت حالة التنثية وجمع الإناث وحلت محلها حالة جمع الذكور، وفي بحث الأسماء الخمسة تفوق نسبة الخطأ في حال النصب غيرها من الحالات، ويفسر السبب بتأثير العامية أيضاً، فالمتعلمون عندما يستخدمون الأسماء الخمسة فإنهم يستخدمونها في حالة الرفع في الأعم الأغلب على غرار ما هو متبع في العامية.

والخطأ في الفعل المضارع في الحالة التي يكون فيها مرفوعاً بثبوت النون يكون مرتفعاً وفي الحالة التي يكون فيها مبنياً لاتصاله بنون النسوة، ومرد ذلك إلى تأثير العامية في الفصيحة، ففي حالة إسناد الفعل المضارع إلى واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المؤنثة المخاطبة لا يضع المتعلمون النون بعد كل من الواو أو الألف أو الياء حسبما هو مستخدم في العامية، وفي حال إسناد الفعل المضارع إلى نون النسوة يضعون مكانها واو الجماعة دون النون على غرار ما هو مستخدم في العامية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفعل الماضي لدى إسناده إلى نون النسوة.

أما في الحالة التي يكون فيها الماضي معتل الآخر ويسند إلى الضمير فنادر ما ترد الألف إلى أصلها، وإنما يوضع الفعل على حاله المستخدمة في العامية أيضاً، فالفعل دعا لدى إسناده إلى ضمير المتكلم يقول دعيت بدلاً من دعوت.

والخطأ في فعل الأمر في الحالات التي يكون فيها معتل الآخر أو مبنياً على حذف النون أو معتل الوسط، وتبرز في اعتلال الوسط أساليب العامية أيضاً، ففي العامية نقول قوم وقول بدلاً من قم وقل.

ومن تأثيرات العامية أيضاً استخدام الفعل في حالة الإفراد أمام الفاعل المثنى أو الجمع، إذ إن المتعلمين يستخدمون الفعل في حالة الجمع مع الفاعل الجمع أو المثنى ولا يستخدمون الفعل في حالة الإفراد أمام الفاعل المثنى أو الجمع، فيقولون قاموا الولدين وقاموا البنات وراحوا الأولاد.

6. التركيز على اكتساب المهارات النحوية، والمهارات لا تكتسب إلا بالممارسة والتكرار وبصورة طبيعية، في مواقف حياتية متنوعة وذلك بدلاً من التكرار الآلي البيغاني، إذ لا يكفي أن يحفظ المتعلم القاعدة النحوية وأن يعيدها تكراراً آلياً، بل لابد أن يمارسها في مواقف الحياة بصورة طبيعية، وكان "ابن خلدون" في تراثنا العربي قد أشار إلى أهمية التكرار في تكوين الملكات على حد تعبيره، إذ يرى "أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصفات، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب إتمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة الخاصة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف التي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة" (16).

وهذا المنحى الذي يشير إليه ابن خلدون في اكتساب المهارة النحوية كان قد طبقه عملياً "بلييايف" في جامعة موسكو إذ إنه فرق بين المعرفة والمهارة والعادة، ورأى أن الوصول إلى العادة يستلزم تكوين المهارة التي تمارس باستمرار فتتحول إلى عادة وهذا هو منهج ابن خلدون في تكوين الملكة اللغوية.

- بيد أن اكتساب المهارة يستلزم إضافة إلى التكرار المستمر، توافر القدوة الحسنة من المعلمين والتعزيز والتوجيه لأداء المتعلمين في الوقت نفسه، وتوافر البيئة اللغوية النقية والسليمة.
7. استخدام التقنيات التربوية في توضيح المفاهيم وفي التدريبات من البطاقات المكبرة والملصقات الشجرية للاستعمال الصفّي، والبطاقات المصغرة للتعلم الفردي، واستخدام المختبرات اللغوية والحواشيب لإجراء التدريبات العلاجية والتمرينات البنائية.
8. ضرورة استخدام جميع معلمي المواد اللغة العربية الميسرة في عمليات التواصل اللغوي، واستبعاد العامة من المناشط اللغوية كافة، وحث المتعلمين على ضرورة استخدام العربية الفصيحة في مناشطهم أسئلة وإجابات وتعقيبات ومساءلتهم عن عدم الاستخدام.
9. الحيلولة دون استخدام العامة في جميع البرامج الإذاعية والتلفزيونية الموجهة للأطفال وفي غيرها من البرامج أيضاً، تعزيزاً للمهارات المكتسبة في المدرسة، وتنقية البيئة اللغوية المحيطة بالمتعلمين من لافتات وإعلانات في الباحات والشوارع وعلى واجهات المحال التجارية من التلوث اللغوي، ذلك لأن الحرص على الصحة اللغوية والسلامة فيها يساعد على اكتساب المهارات اللغوية السليمة.
10. إخضاع المتسابقين في مسابقات انتقاء المدرسين والمرشحين للترقية من المعلمين القائمين على رأس عملهم، والمتقدمين إلى الوظائف عامة والإعلام بصورة خاصة، والطلاب الملتحقين بالجامعات إلى اختبارات لغوية تقيس مدى تمكنهم من أساسيات لغتهم، وهذا الإجراء يدفع إلى الاهتمام باللغة وامتلاك أساسياتها في عملية التواصل اللغوي، إذ لا يكفي فقط الإلمام باللغة الأجنبية والمعلوماتية، وإنما يجيء في رأس الأولويات امتلاك أساسيات اللغة القومية.

### مراجع البحث

1. ابن مضاء القرطبي . الرد على النحاة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1947م.
2. المرجع السابق
3. خلف بن حيان الأحمر البصري . مقدمة في النحو . طبعة إحياء التراث القديم . وزارة الثقافة السورية . دمشق 1961 م ص 33.
4. أبو جعفر النحاس النحوي . التفاحة في النحو . تحقيق كوركيس عواد . المجمع العلمي العراقي . بغداد 1966م.
5. إبراهيم مصطفى . إحياء النحو . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة 1951م.
6. وزارة المعارف المصرية . تقرير لجنة تيسير قواعد اللغة العربية . 1938م مكتبة وزارة التربية والتعليم، علوم عربية نحو (216).
7. الاتجاهات الحديثة في النحو العربي، مجموعة المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية 1957م . مطبعة دار المعارف . مصر . القاهرة . 1958م.
8. اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية . سجل ندوة الجزائر 1976م . تيسير تعليم اللغة العربية القاهرة 1977م.
9. الدكتور شوقي ضيف . تجديد النحو . دار المعارف . القاهرة 1982م.
10. الدكتور محمد كامل حسين . المذكرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو . وزارة التربية والتعليم بالقاهرة 1966م.
11. حفني ناصيف وآخرون . قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية . المطبعة الأميرية بالقاهرة 1925م.
12. علي الجارم ومصطفى أمين . النحو الواضح . دار المعارف في مصر . عدة طبعات.
13. الدكتور محمود أحمد السيد . في طرائق تدريس اللغة العربية . جامعة دمشق 1994م . نقلاً عن "دراسة مقارنة بين طرائق تدريس قواعد اللغة العربية" رسالة ماجستير للمؤلف نفسه جامعة عين شمس 1969م.
14. الدكتور محمود أحمد السيد . أسس اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية . رسالة دكتوراه جامعة عين شمس . القاهرة 1972م.
15. الدكتور محمود أحمد السيد . تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . تونس 1987م.
16. ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون . دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان . الطبعة الرابعة.

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002**

التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002

من أعلام  
الحضارة العربية والإسلامية

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002**

## ابن كثير ومؤلفاته في حقل التاريخ

د. فاضل جابر ضاحي

كلية التربية - جامعة القادسية

واسط/العراق

### المقدمة

يتناول هذا البحث، دراسة المؤلفات التي ألفها المؤرخ الدمشقي المعروف ابن كثير (ت 774 هـ/1372م) في حقل التاريخ. وتكمن أهميته في الكشف عن إسهامات هذا المؤرخ في إغناء التاريخ العربي بالعديد من المؤلفات التي وصفناها لنا بعض المصادر بأنها مؤلفات "مفاريد". ويعد المؤلف واحداً من أشهر مؤرخي الشام في القرن الثامن الهجري وأن مؤلفاته قد شملت الكثير من فنون التاريخ، إذ ألف في التاريخ العام والتراجم والسير وكتب الرجال. وإن تلك المؤلفات قد أصبحت فيما بعد منهلًا مهمًا للمؤرخين الذين جاؤوا بعده.

ويأتي تصنيف مؤلفاته حسب المواضيع مع الإشارة إلى عنوان كل مؤلف منها، والاختلاف حول ذلك العنوان، ونبذة مختصرة عن محتواه مع ذكر فيما إذا كان مطبوعاً أو مخطوطاً أو مفقوداً...

### ترجمة ابن كثير

هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع (1) عربي المحتد، قرشي النسب ينتمي إلى بني حصلة أحد بطون قريش، وقد أشار ابن كثير إلى نسبه هذا في كتابه "البداية والنهاية" حين ترجم لأبيه وأضاف إلى ذلك قوله: "...وهم ينسبون إلى الشرف

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

وبأيديهم نسب وقف على بعض شيخنا المزي (2) فأعجبه ذلك وابتهج به، فصار يكتب نسبي بسبب ذلك: القرشي... (3).

ولد في مدينة بصرى في قرية تدعى: "مجيدل القرية" شرقي دمشق. وذلك في عام 701هـ/1301 (4)، وينتمي إلى واحدة من الأسر العربية التي قدر لها أن تحتل مكانة بارزة بين الأسر العربية في بلاد الشام، فكان لها تأثيرها الواضح في الحياة العلمية والإدارية هناك، فضلاً عن مكانتها الاجتماعية المرموقة. وقد برز العديد من أفرادها رجالاً ونساءً، فكان منهم الخطيب والمفتي والمدرس والمؤرخ والمحتسب، ولهذا فقد عدها شمس الدين السخاوي "بيت علم" (5). عاش ابن كثير جُلَّ حياته في مدينة دمشق التي كانت واحدة من أمهات المدن العربية ومن أبرز المراكز العلمية والفكرية في العالم العربي الإسلامي في القرن الثامن الهجري، نظراً لأقول نجم بغداد إثر احتلال المغول لها سنة 656هـ/1258م، ونزوح أغلبية العلماء من بغداد بصورة خاصة ومدن المشرق العربي الإسلامي بصورة عامة، واستقرارهم في دمشق والقاهرة (6).

تلقى ابن كثير علومه على أيدي كبار علماء دمشق في مختلف العلوم، فقد درس القرآن على أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشافعي (ت 705هـ/1305) (7) وتتلذذ في الحديث على تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728هـ/1327م) (8) وشمس الدين أبو زكريا بن يوسف بن سليمان البجلي الشافعي (ت 722هـ/1322م) (10).

ودرس العربية وعلومها على ضياء الدين عبد الله الزريندي النحوي (ت 723هـ/323م) (11).

وبعد أن قطع مرحلة طويلة في الدرس والتحصيل أصبح "قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ" (12)، وأضحى مقدماً في العديد من العلوم إذ "انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير" (13)، ولهذا فقد ظفر بالعديد من المناصب والوظائف المهمة مثل التدريس والإفتاء والخطابة (14).

توفي ابن كثير بدمشق في شعبان سنة (774هـ/1372م) (15)، بعد رحلة زاخرة بالإنجازات العلمية ولا سيما في مجال التأليف. وقد رثاه أحد تلاميذه بقوله (16):

لقد فقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبديد غزيرا  
ولو مزجوا ماء المدامع بالدماء لكان قليلاً فيك يا بن كثير

### مؤلفاته في حقل التاريخ

يعد ابن كثير من أبرز مؤرخي القرن الثامن الهجري، فقد كان "عمدة المؤرخين" (17) وقدمه السيوطي على غيره في حفظ المتن والتواريخ (18). وألف في هذا المجال سبعة عشر مؤلفاً، سنتناولها حسب مواضيعها:

### أولاً: التاريخ العام

#### (1) البداية والنهاية:

يعد هذا الكتاب أبرز مؤلفات ابن كثير التاريخية وأضخمها، ورد عنوانه بألفاظ عدة، فقد جاء عند معظم المؤرخين الذين ترجموا لمؤلفه تحت عنوان "البداية والنهاية" (19) وذكره مؤلفه بالعنوان نفسه (20). لذا فهو العنوان المعول عليه. وذكره المقرئ (ت 845هـ/1441م) تحت عنوان "البداية والنهاية في التاريخ" وأشار إليه بعض المؤرخين بلفظ "التاريخ الكبير" (21). وقد وهم السوسي (ت 1094هـ/1682م) عندما أعطاه عنوانين، إذ أشار إليه ضمن كتب التاريخ بقوله: "تاريخ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ابن كثير المسمى بالمغني عن حمل الأسفار في الأسفار بمعرفة ما في الأحياء من الأخبار وهو المعروف بالبداية والنهاية" (22)، إذ إن العنوان الأول هو لكتاب ألفه زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هـ/1403م) (23).

أما نسبة الكتاب، فلم يختلف المؤرخون فيها ولا شكوا في أنه من تأليف ابن كثير، إلا أن البغدادي وهم عندما نسبته إلى ابن حجر المسقلاني (24)، ولا سيما أنه ذكره ضمن مؤلفات ابن

كثير أيضاً<sup>(25)</sup>. ويبدو أنه مزج بينه وبين كتاب ابن حجر "ما ورد من الرواية في البداية والنهاية"<sup>(26)</sup>.

وينقسم الكتاب موضوعياً إلى أربعة أقسام، تناول القسم الأول، الفترة الممتدة من بدء الخليقة حتى نبوة الرسول (ص)، وخصص القسم الثاني لسيرة الرسول (ص) منذ مبعثه حتى وفاته، وأرخ في القسم الثالث للأحداث والتراجم الواقعة في الفترة الممتدة من بداية الخلافة الراشدة حتى سنة 728هـ/1337م. أما القسم الرابع فقد خصصه لذكر الفتن والملاحم واشترط الساعة ثم البعث والنشور وأحوال يوم القيامة وصفة الجنة والنار.

## **(2) ذيل البداية والنهاية:**

ذكر ابن حجر العسقلاني هذا الكتاب في مقدمة كتابه "أنباء الغمر" بقوله: "...وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلًا على ذيل تاريخ الحافظ ابن كثير، فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السنة"<sup>(27)</sup>، أي سنة 773هـ/1371م، وهي التي ابتدأ بها ابن حجر كتابه أنباء الغمر، فهذه الرواية تشير إلى أمرين هما: أن ابن كثير كتب ذيلًا على كتابه "البداية والنهاية" وأن كتاب ابن حجر المذكور هو ذيل على هذا الذيل من حيث الحوادث.

ومن الجدير بالذكر أن كتاب "البداية والنهاية" ينتهي بانتهاء حوادث وتراجم سنة 738هـ/1337م، إذ يتضح ذلك من قول ابن كثير في آخر حوادث تلك السنة: "...والى هنا انتهى ما كتبت من لدن آدم إلى زماننا هذا..."<sup>(28)</sup>، كما أشار إلى ذلك حاجي خليفة في ترجمته لابن كثير بقوله: "والمشهور أن تاريخه انتهى إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة"<sup>(29)</sup>. غير أن ما يلفت النظر هو أن النسخة المطبوعة من الكتاب تنتهي بحوادث سنة 768هـ/1366م، وليس بحوادث السنة السالفة الذكر، وقد أثار ذلك انتباه بعض الباحثين ومنهم محمد راغب الطباخ، الذي أكد أن المادة التاريخية للفترة المحصورة بين السنتين المذكورتين هي لغير ابن كثير، وإن بعضها لابن حجي الحسيني (ت 816هـ/1423م) وبعضها الآخر لابن قاضي شعبة (ت 825هـ/1448م) اللذين كتب كل منهما ذيلًا على البداية والنهاية<sup>(30)</sup>. ودلل على ذلك بأن

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

الكاتب ينقل خبر تدريس ابن كثير في إحدى المدارس سنة 767هـ/1365م بصيغة الغائب وليس بصيغة المتحدث(31).

لقد نبهت مقالة الطباخ هذه باحثين آخرين ومنهم أحمد محمد دهمان الذي جاء بأدلة فند بها آراء الطباخ، فأكد بأن تلك المادة التاريخية هي من تأليف ابن كثير ومن أدلته تلك، أن ابن كثير يتحدث حين تسنم الخطابة في أحد الجوامع سنة 747هـ/1346م فيقول: "وكننت أنا الخطيب"(32) فينبه الكاتب بقوله "يعني عماد الدين المصنف"(33)، ومنها أيضاً تكرار عبارة يقول عماد الدين ابن كثير المصنف(34)، والتي تؤكد أن هذه الزيادة في المادة التاريخية إنما هي لابن كثير. كما تصدى المستشرق (هنري لاوست) لهذا الموضوع، فجاء بأدلة مشابهة لأدلة دهمان، ومنها نقل ابن كثير خبر وفاة شيخه المزي شفاهاً من ابنته زينب التي هي زوجة ابن كثير بقوله: "أخبرتني ابنته زينب زوجتي"(35).

وخلاصة القول أن تلك المادة التاريخية الموجودة مع النسخة المطبوعة هي قسم من مؤلف وضعه ابن كثير ذليلاً لكتابه البداية والنهاية، وسنورد هنا بعض الأدلة التي تؤكد ذلك، والتي فات الباحثين المذكورين ذكرها، فقد ورد في حوادث سنة 753هـ/1352م، ضمن المادة التاريخية المشار إليها، ذكر الحريق الذي شب في أحد أبواب دمشق المسمى باب جيرون، فوضع ترجمة له فقال أنه خرب سنة 132هـ/749م ثم ذيل على ذلك بقوله: "كما ذكرنا في التاريخ الكبير"(26). وعندما قارنا بين ما ذكره ابن كثير في تينك السنيتين وجدنا التشابه التام(37). فهذا يشير إلى أن ابن كثير أراد بعبارة التاريخ الكبير تمييز البداية والنهاية عن ذيله له. وفي حوادث سنة 748هـ/1347م وردت عبارة "حضرت لرية أم الصالح... عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي"(38). وهذا ينطبق تماماً على مؤرخنا، إذ أشارت مصادر ترجمته إلى أنه تسنم التدريس في هذه التربة في تلك السنة بعد وفاة شيخه الذهبي(39). وهناك دليل آخر يدحض رأي الطباخ القائل أن ما ورد من مادة تاريخية بعد سنة 738هـ/1337م في النسخة المطبوعة هو قسم لابن حجي وقسم آخر لابن قاضي شهبه، ففي وفيات سنة 739هـ/1338م، يذكر ترجمة عدم الدين البرزالي فيقول: "وسمعت العلامة

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

ابن تيمية يقول "(40). فإذا كانت هذه الزيادة لأحدهما أو لكليهما، فكيف يكونان قد سمعا من ابن تيمية وقد ولدا بعد وفاته سنة 728هـ/1327م. وفي حوادث سنة 766هـ/1364م (41) ذكر المؤلف عند ترجمته لأحد الشيوخ، أنه ختم معه القرآن سنة 711هـ/1311م. وهذا ينطبق على مؤرخنا الذي أشار في سنة 730هـ/1329م في ترجمة أحد شيوخه أنه ختم عليه القرآن في السنة المذكورة(42).

### (3) ذيل تاريخ البرزالي:

ألف علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (ت 739هـ/1338م) كتاباً في التاريخ ذيل به على تاريخ أبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1266م) الذي ذيل به على كتابه "الروضتين في إخبار الدولتين النورية والصلاحية"(43). وقد وسم البرزالي كتابه هذا بـ "المقتفي لتاريخ أبي شامة"(44). ثم ألف ابن كثير ذيلاً على تاريخ البرزالي هذا، وقد أشار إلى مؤلفه هذا في ترجمة جد البرزالي بقوله: "... وهو جد شيخنا علم الدين البرزالي، مؤرخ دمشق... وقد ذيلت أنا على تاريخه"(45)، ولم نجد له ذكراً في فهرس المخطوطات أو المطبوعات.

### (4) الكواكب والداري في التاريخ:

ذكره حاجي خليفة(46) والبغدادى(47) وأعطاه بعضهم عنوان "الكواكب الدرية"(48). انتخبه ابن كثير من كتابه البداية والنهاية(49). وهو مفقود.

## ثانياً: السير والتراجع المفردة

### (5) اختصار السيرة النبوية:

أشار ابن كثير إلى مؤلفه هذا وأحال إليه بقوله "...وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفرده، موجزاً وبسيطاً..."(50) الأمر الذي يشير إلى أنه ألف في السيرة مصنفين أحدهما مبسوط والثاني مختصر، وقد أشار العديد من المؤرخين إلى أن ابن كثير ألف "سيرة صغيرة"(51). وورد ذكر الكتاب عند قسم آخر باسم "الفصول في سيرة الرسول"(52)

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

وتم نشره بهذا العنوان (53). كما ذكره بعض الباحثين باسم "السيرة الموجزة" (54) أو "الفصول في اختصار سيرة الرسول" (55) وقد طبع بهذا العنوان أيضاً (56).

وقد قسمه مؤلفه إلى قسمين، ذكر في الأول نسب الرسول (ص) وولادته ثم مبعثه وهجرة صحبه إلى الحبشة وخروجه إلى الطائف والهجرة إلى المدينة، كما ذكر المغازي والبعوث وفتح مكة، وذكر وفاته (ص)، وفي القسم الثاني ذكر أحوال الرسول (ص) وشماله ودلائل نبوته، وقد نبه ابن كثير في غير موضع على منهجه في الاختصار، فعند ذكره غزوة بدر الكبرى قال "تذكر فيه ملخص وقعة بدر" (57) وأكثر من العبارات التي تؤكد منهجه ذلك كقوله: "يطول بسطها" أو "وفيما ذكرنا كفاية" (58). كما كان يحيل إلى الكتب التي أفردت في المسألة التي هو بصدها (59). ولما كان هذا الكتاب مخصصاً لذكر السيرة مختصرة، لذا لم نجده يلتزم بذكر أسانيد الأحاديث، كما هي الحال في السيرة المطولة له والتي ضمنها كتابه "البداية والنهاية" وإنما اكتفى بنقلها عن المحدثين النقا.

### (6) ترجمة ابن تيمية:

أشار إلى كتابه هذا في البداية والنهاية بقوله: "... وقد أفردت له تراجم كثيرة، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وزهده وعبادته وعلومه المتنوعة..." (60). كما أشار إليه في موضع آخر بقوله: "... وسنفرد له ترجمة على حدة" (61). وهو من مصنفاته المفقودة.

### (7) مصنف في دلائل النبوة:

أشار ابن كثير إلى أنه سيؤلف كتاباً في هذا الموضوع، إذ قال أثناء ذكره دلائل نبوة الرسول (ص): "...وأشياء أخرى من هذا النمط يطول ذكرها مجردة، وسنفرد لذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة مصنفاً على حدة" (62).

(8) سيرة أبي بكر الصديق (رض):

ذكر ابن كثير مصنفه هذا خلال حديثه عن أخبار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بقوله: "وقد أفردنا سيرته في مجلد..." (63) وهو من مصنفاته المفقودة.

(9) سيرة عمر بن الخطاب (رض):

ذكره مؤلفه محيلاً إليه بقوله: "وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه، وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولاً في أول سيرته التي أفردتها على حدة" (64) ويعد مفقوداً.

(10) سيرة منكلي بغا\*:

انفرد بذكره السخاوي (ت 902هـ/1496م)، إذ ذكر ضمن الكتب التي ألقت في تاريخ الأمراء قوله: "وأفرد العماد ابن كثير سيرة منكلي بغا سماها: "ما ينتقى ويبتغى في سيرة المعز السيفي منكلي بغا" (65) وهو مفقود أيضاً.

(11) السيرة النبوية المطولة:

أشار ابن كثير إلى هذا المصنف عندما أكد أنه ألف في السيرة النبوية كتابين أحدهما مختصر والآخر مطول (66). ولما كان ابن كثير قد ألف كتابه السيرة النبوية قبل البداية والنهاية، بدليل أنه يحيل في التفسير إلى السيرة (67) ويحيل في البداية والنهاية إلى التفسير (68)، فإن ذلك ربما يشير إلى أنه قد ضمن كتابه البداية، تلك السيرة المشار إليها، ومما يرجع ذلك هو أنه عندما ذكر سيرة الرسول (ص) في تاريخه جاءت خالية من الإحالة إلى كتاب آخر له في السيرة، أضف إلى ذلك أنها جاءت مفصلة.

(12) مولد رسول الله (ص):

لم تذكره المصادر بين مؤلفات ابن كثير، غير أن محقق الكتاب صلاح الدين المنجد عثر على النسخة المخطوطة وقام بتحقيقها، فأكد نسبته لابن كثير (69). ومما يؤكد أنه من تأليف ابن

كثير هو أن ناسخ الكتاب أشار إلى أنه أتم نسخه عام 786هـ/1384م)، أي بعد وفاة ابن كثير بآثني عشر عاماً، الأمر الذي يبعد الخطأ في نسبته، فضلاً عن أننا لم نجد ما ينفي نسبته إلى ابن كثير، أما محتوى الكتاب فقد أشار مؤلفه إلى ذلك بقوله: "وبعد، فهذا ذكر شيء من الأحاديث والآثار المتعلقة بمولد رسول الله صلى عليه وسلم، المقبولة عند الحفاظ المتقنين والأئمة الناقدين" (70).

### ثالثاً: كتب الرجال

#### 13) التكميل في معرفة الثقا والضعفاء والمجاهيل:

صرح ابن كثير بعنوان كتابه هذا عند حديثه عن الكتب التي تبحث في الثقا والضعفاء من رجال الحديث، وهو العلم الذي يعده "من أهم العلوم وأعلها وأنفعها" (71). وذكر هذا الكتاب بعناوين مختلفة، فقد ذكره بعض المؤرخين بعنوانه المثبت أعلاه (71). وسماه بعضهم اختصار "التكميل" (73) وذكره حاجي خليفة رضوان "التكملة في أسماء الثقا والضعفاء" (74). واجتهدت إحدى الباحثات بتسميته "التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقا والضعفاء والمجاهيل" (75). وجمع ابن كثير في هذا الكتاب بين كتاب شيخه المزي "تهذيب الكمال في نقد الرجال" وكتاب شيخه الذهبي "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" مع زيادات في الجرح والتعديل عليهما (76). ونعته مؤلفه بأنه "كتاب حافل كامل جامع لأشتات ما تفرق من غيره" (77). وأنه "من أنفع شيء للفقهاء البارع وكذا للمحدث" (78). وما زال هذا الكتاب مخطوطاً (79).

#### 14) طبقات الشافعية:

أشار ابن كثير إلى كتابه هذا وأعطاه عدة عناوين منها "طبقات الشافعية" (80) أو "طبقات الشافعيين" (81) أو "الطبقات" (82)، كما جاء عند المؤرخين بتسميات عدة. وأشار السخاوي إلى أن العفيف المطري (83) ذيل على هذا الكتاب (84). ونقد ابن قاضي شهبه هذا الكتاب عند حديثه عنه بقوله: "طبقات الشافعية رتبته على الطبقات، لكنه ذكر فيه خلائق ممن لا حاجة لطلبة العلم

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

إلى معرفة أحوالهم، فلذلك جمعنا هذا الكتاب" (85) أي طبقات الشافعية له. وقد تم تحقيق كتاب ابن كثير هذا وطبعه.

### (15) مشيخة القنوي\*:

ذكر ابن كثير في ترجمة شيخه أبي الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القنوي (ت 729هـ/1328م) أنه خرَّج له مشيخة وسمعها عليه (86). كما ذكر ذلك بعض المؤرخين (78) وبعد هذا المصنف مفقوداً.

### (16) مناقب الإمام الشافعي:

ورد ذكره بهذا العنوان عند العديد من المؤرخين (88) وجاء ذكره عند حاجي خليفة باسم "الواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس" (89)، وهو مخطوط.

## رابعاً: النقد التاريخي

### (17) جزء في تفنيد ادعاء يهود خيبر:

نقل لنا ابن كثير أخبار المجلس الذي عقده اليهود بدمشق سنة 701هـ/1301م حين ألزموا بأداء الجزية، غير أنهم أحضروا معهم كتاباً زعموا أنه من رسول الله (ص) بوضع الجزية عنهم، فعلق على الخبر قائلاً: "فوقفت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو سنتين، وفيه: وكتب علي بن أبي طالب، وهذا اللحن لا يصدر عن أمير المؤمنين علي، لأن النحو إنما أسند إليه عن طريق أبي الأسود الدؤلي عنه، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً..." (90) وهذا يشير إلى مقدرة ابن كثير في نقد الوثائق التاريخية. وبعد هذا الجزء مفقوداً.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

### الهوامش:

- (1) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص15، الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص57.  
أبو زرع، ذيل العبر للذهبي، مخطوط، ورقة 145، المغريزي، درر العقود، مخطوط، ورقة 145.
- (2) هو أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت 742هـ/1342م) من كبار علماء دمشق في علم الحديث الشريف، أنظر ترجمته عند ابن الوردي، تنمة المختصر، ج2/ص432.
- (3) البداية والنهاية، ج14، ص33.
- (4) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص57 ابن ناصر الدين، التبيين، مخطوط، ورقة 169، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج1، ص127.
- (5) الضوء اللامع، ج1، ص73.
- (6) محمد أبو زهرة، ابن تيمية، حياته وعصره، ص24، ضмиاء السامرائي، اتجاهات الكتابة، ص44.
- (7) الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج2، ص571.
- (8) ابن ناصر الدين، التبيين، ورقة 169، الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص153.
- (9) الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص37، السلامي، الوفيات، ج2، ص55.
- (10) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص107.
- (11) البداية والنهاية، ج14، ص82.
- (12) الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص110.
- (13) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص48.
- (14) ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ج3، ص86، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص472.
- (15) المقريزي، درر العقود، ورقة 145، ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ج3، ص86.
- (16) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج1، ص127.
- (17) ابن قاضي شهبه، تاريخه، مخطوط، ورقة 213ب.
- (18) ذيل تذكرة الحفاظ، ص65.
- (19) الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص58، ابن ناصر الدين، التبيين، ورقة 169، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص676.
- (20) البداية والنهاية، ج9، ص15.
- (21) العمري، الدر المكنون، مخطوط، ورقة 344.
- (22) السوسي، صلة السلف، مخطوط، ورقة 50.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

- (23) حاجي خليفة، كشف الصنون، ج 2 ص1748.
- (24) هدية العارفين، ج1، ص129.
- (25) المصدر نفسه، ج1، ص215.
- (26) راجع عن هذا الكتاب، شاكر محمود عبد المنعم، ابن حجر العسقلاني، ج1، ص589.
- (27) أنباء الغمر، ج1، ص5.
- (28) البداية والنهاية، ج14، ص195.
- (29) كشف الظنون، ج1، ص228.
- (30) حول تاريخ الحافظ ابن كثير، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج 18، ج7، ص377.
- (31) المصدر نفسه، مج18، ج7، ص376.
- (32) ذيل تاريخ الحافظ ابن كثير، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مع20، ج1، ص91. وقارن مع البداية والنهاية، ج14، ص227.
- (33) المصدر نفسه، مج2، ج1، ص91. وقارن مع البداية والنهاية، ج4، ص227.
- (34) المصدر نفسه، مج2، ج1، ص91.
- (35) وقارن ذلك مع البداية والنهاية، ج14، ص203، H. Laoust, Ibn Kathir, p.66.
- (36) البداية والنهاية، ج14، ص254.
- (37) أنظر ماورد في سنة 132هـ/749م في البداية والنهاية، ج1، ص50.
- (38) البداية والنهاية، ج4، ص236.
- (39) ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ج3، ص86، النعيمي، الدارس، ج1، ص316.
- (40) البداية والنهاية، ج14، ص197.
- (41) المصدر نفسه، ج14، ص327.
- (42) المصدر نفسه، ج14، ص156.
- (43) الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص197، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص322.
- (44) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج8، ص125.
- (45) البداية والنهاية، ج14، ص164.
- (46) كشف الظنون، ج2، ص1512.
- (47) هدية العارفين، ج1، ص215.
- (48) التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية، ص107.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

- (49) حاجي خليفة، كشف الطنون، ج2، ص1521، البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص215.  
 (50) تفسير القرآن، ج3، ص46.  
 (51) ابن قاضي شهبة، ج3، ص86، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص231.  
 (52) البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص215. كحالة، معجم المؤلفين، ج2، ص284.  
 (53) طبع بدار الكتب العلمية (بيروت/1405هـ/1985م).  
 (54) طه عبد الرؤوف سعد، مقدمة كتاب قصص القرآن، ص17  
 (55) الكبيسي، مقدمة كتاب تحفة الطالب، ص34.  
 (56) طبع بمطبعة العلوم (القاهرة 357هـ/1938م).  
 (57) الفصول في سيرة الرسول (ص) ص31.  
 (58) الفصول في سيرة الرسول (ص) ص114.  
 (59) المصدر نفسه، ص127، 137، 138.  
 (60) البداية والنهاية، ج14، ص145.  
 (61) المصدر نفسه، ج14، ص146.  
 (62) الفصول في سيرة الرسول (ص) ص110.  
 (63) البداية والنهاية، ج7، ص31.  
 (64) المصدر نفسه، ج3، ص79.  
 (\*) هو سيف الدين منكلي بغا الشمسي (ت 774هـ/1372م) كان نائب السلطنة بمصر ثم ولي إمرة دمشق وحلب وطرابلس، انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص376.  
 (65) الإعلان بالتوبيخ، ص737.  
 (66) تفسير القرآن، ج3، ص46.  
 (67) المصدر نفسه، ج3، ص460، ج4، ص568.  
 (68) البداية والنهاية، ج1، ص35، 65.  
 (69) مقدمة كتاب مولد رسول الله لابن كثير، ص8.  
 (70) مولد رسول الله (ص)، ص13.  
 (71) الباحث الحثيث، ص243.  
 (72) الصيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص58، الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص153.  
 (73) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص86، الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص111.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

- (74) كشف الظنون، ج1، ص471.
- (75) حياء السامرائي، اتجاهات الكتابة التاريخية، ص196.
- (76) ابن كثير، الباحث الحثيث، ص243.
- (77) جامع المسانيد، ج1، ص60.
- (78) الباحث الحثيث، ص243.
- (79) توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم 24227ب، انظر فؤاد سيد، فهرس المخطوطات، ق1، ص180.
- (80) البداية والنهاية، ج11، ص51.
- (81) المصدر نفسه، ج1، ص262.
- (82) المصدر نفسه، ج6، ص25.
- (83) هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الأنصاري المعروف بالمطري (ت 765هـ/1363م)، انظر ترجمته عند ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص284، المكي، لحظ الألفاظ، ص143-144.
- (84) الإعلان بالتوبيخ، ص556.
- (85) طبقات الشافعية، ج3، ص86.
- (\*) المشيخة هي الكتاب الذي يضم تراجم العلماء الذين أخذ منهم الشيوخ، انظر ناجي معروف، علماء النظاميات، ص249.
- (86) البداية والنهاية، ج14، ص153.
- (87) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3، ص93. الخيضري، اللع الألمعية، ورقة 21.
- (88) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 123/11، الداوودي، طبقات المفسرين، ج1، ص110.
- (89) كشف الظنون، ج2، ص184.
- (90) البداية والنهاية، ج14، ص2.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أولاً: المخطوطات:

- السوسي، محمد بن سليمان (ت 1194 هـ/1682م)
- 1 - صلة السلف بموصول الخلف، مخطوط، مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، تحت رقم 6275.
- العراقي، ولي الدين أبو زرع أحمد بن عبد بن عبد الرحيم (ت 826 هـ/1422م)
- 2 - ذيل العبر للذهبي، مصور مخطوط، مكتبة المجمع العلمي العراقي، 32.
- العمري، ياسين بن خير الله (ت 1232 هـ/1816م)

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

3 - الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، مصور مخطوط، مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، برقم 837.

ابن قاضي شهبه، أبو بكر بن أحمد (ت 851هـ / 1447م)

4 - تاريخ ابن قاضي شهبه، مصور مخطوط، مكتبة الأستاذ صالح معدي عباس الخاصة ببغداد، من غير تصنيف.

المقريزي، نقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م)

5 - درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مصور مخطوط، مكتبة المجمع العلمي العراقي، بغداد، تحت رقم 248.

ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر (ت 842هـ / 1438م)

6 - التبيان لبديعة البيان، مصور مخطوط في مكتبة الشيخ صبحي السامرائي الخاصة ببغداد، من غير تصنيف.

### ثانياً: المصادر

البغدادي، اسماعيل بن محمد (ت 1339هـ / 1920م)

7 - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط3 وكالة المعارف (استانبول 1951).

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي (ت 874هـ / 1469م).

8 - الدليل الشافي عن المنهل الصافي، تحقيق فهد محمد شلتوت، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر (القاهرة 1375هـ / 1956م).

9 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة، د.ت).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ / 1656م).

10 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، منشور مكتبة المثنى (بغداد، د.ت).

11 - ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، مطبعة التوفيق (دمشق 1347م). ضمن مطبوع الداودي، محمد بن علي (ت 945هـ / 1538م).

12 - طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مطبعة الاستقلال الكبرى (القاهرة 1348هـ).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ / 1347م).

13 - تذكرة الحفاظ، ط3، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن 1376 / 1957م).

14 - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعمار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار التأليف (القاهرة، 1388هـ / 1969م).

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م).
- 15 - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبوع مع كتاب علم التاريخ لفرانز روزنثال، مكتبة المثنى (بغداد، 1963م).
- 16 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت د.ت).
- السلامي، محمد بن رافع (ت 774هـ/1372م).
- 17 - الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1402هـ/1982م).
- الشوكاني، محمد بن علي (ت 125هـ/1834م).
- 18 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط1، مطبعة السعادة (القاهرة، 1348هـ).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت 852هـ/1448م).
- 19 - أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة 1969م).
- 20 - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط1، مطبعة محمد علي صبيح (القاهرة 1385هـ/1966م).
- ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/1678م).
- 21 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي (القاهرة، 1350م).
- أبو الفدا، إسماعيل بن محمد (ت 732هـ/1331م).
- 22 - المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة (بيروت، د.ت).
- ابن قاضي شهبه، أبو بكر بن أحمد (ت 851هـ/1447م).
- 23 - طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب (بيروت 1407هـ/1987م).
- الكتبي، محمد بن شاکر (ت 764هـ/1362م).
- 24 - فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار قاور (بيروت 1973م).
- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م).
- 25 - الباحث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة تعز (بغداد، د.ت).
- 26 - البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم والآخرين، ط4، دار الكتب العلمية (بيروت، 1988م).
- 27 - جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، تحقيق، عبد الملك بن عبد الله، مطبعة النهضة الحديثة (مكة المكرمة 1989م).
- 28 - مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط 1، دار الكتاب الجديد (بيروت 1961م).
- المكي، نقي الدين محمد بن محمد (ت 871هـ/1466م).

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

- 29 - لحظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ، مطبعة الترقّي (دمشق، 1347هـ) ضمن مجموع. النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت 927هـ/1520م).
- 30 - الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، ط1، مطبعة الترقّي (دمشق 1948م).

### ثالثاً: المراجع

- 31 - أبو زهرة، محمد، ابن تيمية، حياته وعصره وآراؤه الفقهية، دار الفكر العربي (بيروت 1952م).
- 32 - سيد، فؤاد، فهرس المخطوطات المصورة (القاهرة، د.ت).
- 33 - كحالة، عمر رضا، التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية (دمشق 1392هـ/1972م).
- 34 - معجم المؤلفين، مطبعة الترقّي (دمشق 1376هـ/1957م).
- 35 - معروف، ناجي، النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد، (بغداد، 1393هـ/1973م).
- 36 - السامرائي، ضمياء محمد عباس، اتجاهات الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، (الجامعة المستنصرية)، 1988.

### رابعاً: البحوث والمقالات:

- 37 - دهمان، أحمد محمد، ذيل تاريخ الحافظ ابن كثير، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج 21.
- 38 - الطباخ، محمد راغب، حول تاريخ الحافظ ابن كثير، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج 18.

### خامساً: المراجع الأجنبية:

- 39 - Laoust, H. Ibn Kathir Historian, Arabica, (Leiden, 1955).

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002**

التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002

من الأنشطة العربية والدولية  
في مجال أهداف المركز

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

## المؤتمر العاشر للتعريب

عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . مكتب تنسيق التعريب بالرباط المؤتمر العاشر للتعريب في دمشق برعاية السيد الدكتور محمد مصطفى ميرو رئيس مجلس الوزراء، وباستضافة كريمة من وزارة التربية السورية، تحت شعار: **قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي**، وذلك في الفترة ما بين 20-25 تموز/يوليو 2002.

ونورد فيما يلي التقرير الختامي لهذا المؤتمر والتوصيات الصادرة عنه:

### التقرير الصادر عن المؤتمر العاشر للتعريب

(دمشق 20-25/7/2002)

برعاية السيد الدكتور محمد مصطفى ميرو، رئيس مجلس الوزراء، وباستضافة كريمة من الحكومة السورية ممثلة بوزارة التربية، عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المؤتمر العاشر للتعريب، تحت شعار: **قضايا تعريب التعليم العالي في الوطن العربي**، في الفترة 11-16 جمادى الأولى 1423 هـ، الموافق 20 - 25 تموز/يوليو 2002 م بدمشق.

افتتح المؤتمر صباح يوم السبت، بحضور الدكتور محمود السيد وزير التربية بالجمهورية العربية السورية، ممثلاً لراعي المؤتمر، كما حضره بعض السادة الوزراء، والدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والدكتور عباس الصوري، مدير مكتب تنسيق التعريب، والسادة رؤساء وممثلو الجامعات اللغوية والعلمية العربية، ووفود الدول العربية المشاركة وبعض أعضاء السلك الدبلوماسي العربي المعتمد بدمشق، وممثلو بعض المؤسسات الجامعية والهيئات العربية المتخصصة وجمهور عريض من الخبراء والأفراد المهتمين بقضايا اللغة العربية والتعريب والمصطلح.

وقد سارت أعمال المؤتمر على النحو الآتي:

### **حفل الافتتاح**

جرت مراسم افتتاح مؤتمر التعريب العاشر على النحو الآتي:

بعد تلاوة مباركة من أي الذكر الحكيم، تناول الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكلمة فشكر باسم المنظمة وباسم مديرها العام الدكتور المنجي بوسنييه، الجمهورية العربية السورية، رئيساً وحكومة وشعباً، على استضافتها الكريمة للمؤتمر، كما شكر السيد الدكتور محمد مصطفى ميرو رئيس مجلس الوزراء على تفضله برعاية المؤتمر، والسادة ممثلي المجامع اللغوية والعلمية العربية وممثلي المؤسسات الجامعية والهيئات العربية المتخصصة والخبراء، على استجابتهم للدعوة الموجهة إليهم لحضور المؤتمر، كما نوه بالجهود التي بذلتها وزارة التربية واللجنة الوطنية السورية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، للإعداد للمؤتمر والسهر على راحة المشاركين فيه.

وقد استعرض السيد نائب المدير العام، بعض جهود مكتب تنسيق التعريب في مجال الدراسات المعجمية والمصطلحية وإعداد المصطلحات العربية وتوحيدها، على مستوى الوطن العربي، مشيراً إلى أن المكتب عقد تسعة مؤتمرات للتعريب صودق فيها على أكثر من مائة وخمسين ألف مصطلح (150000) وكلها نشرت في معاجم ثلاثية اللغة (الإنجليزية والفرنسية والعربية).

ثم ألقى الدكتور محمود السيد وزير التربية بالجمهورية العربية السورية كلمة رحب فيها بالمشاركين ونقل إليهم تحيات رئيس مجلس الوزراء الدكتور محمد مصطفى ميرو، راعي المؤتمر.

وأشار السيد الوزير إلى اعتزاز سورية بلغتها العربية وحرصها على سلامتها، انطلاقاً من إيمانها بعراقة اللغة العربية وبأنها رمز لكياننا القومي والرابطة التي تربط بين أبناء الأمة، وشدد على أهمية تنفيذ التوصيات والمقترحات التي كانت قد توصلت إليها المؤتمرات والندوات المتعددة في موضوع تعريب التعليم العالي، وعبر عن أسفه أن يظل الموضوع مطروحاً خلال قرن كامل،

وقال السيد الوزير إن للمشكلة أبعاداً متعددة يرجع بعضها إلى التلكؤ في إصدار القرار السياسي الملزم لاعتماد التعريب منهجاً في الحياة، إذ إن التسويف لا يحسمه إلا القرار السياسي، ويرجع بعضها الآخر إلى فتور الانتماء القومي وإلى التأخر في وضع المصطلحات وإلى تشتت الجهود وعدم التنسيق بين العاملين في مجال التعريب، وفي عدم الجدية في متابعة التنفيذ في استخدام اللغة العربية ونجاعة هذه التجربة في مواكبة روح العصر .

وبعد ذلك ألقى الدكتور عباس الصوري، مدير مكتب تنسيق التعريب، كلمة عبر فيها عن سروره البالغ بهذه الخطوة التي خطتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فكرمت علماً من أعلام الأمة العربية، الأستاذ الدكتور شاكِر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، نظير ما قدمه من خدمات جليلة للثقافة واللغة العربيتين، جهداً وأخلاقاً وعلماً، كما عبّر أيضاً عن سعادته وهو يعيش فرحة تكريم مؤسسة عريقة، هي جامعة دمشق، ممثلة في رئيسها الأستاذ الفاضل الدكتور هاني مرتضى.

واغتنم السيد المدير المناسبة فحيا الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى التي وضعت لبنة أخرى في صرح اللغة العربية، بإنشاء مجمع لغوي سيكون بإذن الله إضافة متميزة تسهم في تحقيق عملية التعريب في الوطن العربي.

وكرر السيد المدير الشكر والتقدير للجمهورية العربية السورية، رئيساً وحكومة وشعباً على كل ما أحيط به المؤتمر من عناية واهتمام.

ثم قدم الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل، نيابة عن المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدكتور المنجي بوسنيّة، درع المنظمة إلى الأستاذ الدكتور شاكِر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، إشادة بجهوده العلمية في ميدان التعريب، وقدم الدرع الآخر إلى الدكتور محمود السيد لتسليمه إلى الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، رئيس جامعة دمشق، إشادة بجهودها وبما بذلته الجمهورية العربية السورية من خدمات جليلة للغة العربية والتعريب.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام كلمة شكر فيها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب، على الجهد الذي يقدمانه في سبيل خدمة لغتنا العربية، وشكر الأستاذ الدكتور محمود السيد وزير التربية، على جهوده في سبيل الارتقاء باللغة العربية. وعبر الأستاذ شاكر الفحام عما خامره من غبطة وهو يقرأ رسالة الدكتور المنجي بوسنيّة، التي زقت إليه خبر هذا التشريف، مجدداً الشكر للسيد المدير العام للمنظمة.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، رئيس جامعة دمشق، كلمة حياً فيها العاملين المجدين المجتهدين، ومن بينهم هؤلاء الذين كرموا الجامعة السورية في شخصه، مذكراً بأن اللغة العربية خصوصية، ذلك أنها رمزُ هوية الأمة العربية، وقد حققت سورية مبتغاهما في الدفاع عن هذه الهوية بنجاحها في تجربتها التعريبية وذكر بأن نجاح تجربة سورية في التعريب هو الذي دعاه، ودعا سورية، إلى وضع هذه التجربة الرائدة بين أيدي الأشقاء، لتكون جامعاتنا عربية قلباً وقالباً، وختم كلمته متمنياً أن يكون هذا المؤتمر مناسبة للعودة إلى قرارات المؤتمرات السابقة والعمل على تحقيقها عملاً ومنهجاً في التدريس والبحث والتأليف.

### **الجلسة الإجرائية**

بعد استراحة قصيرة عقد المؤتمر جلسة إجرائية برئاسة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبّل حيث اقترح الدكتور أحمد شحلان، نيابة عن رئيس المؤتمر التاسع للتعريب، أن تؤول رئاسة المؤتمر العاشر للجمهورية العربية السورية، ممثلة في شخص الأستاذ الدكتور محمود السيد، فرحب المشاركون بالإجماع بهذا الاقتراح، ثم وافق المشاركون على تسمية مكتب المؤتمر ولجانه الخمس وذلك على النحو الآتي:

|                                                                                  |                     |
|----------------------------------------------------------------------------------|---------------------|
| الأستاذ د. عبد الكريم خليفة، والأستاذ د. دفع الله عبد الله الترابي نائبين للرئيس |                     |
| الأستاذ أحمد شحلان                                                               | مقرراً عاماً        |
| الأستاذ إسلامو ولد سيدي أحمد                                                     | نائباً للمقرر العام |

## **التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

لجنة صياغة تتألف من المقرر العام، ونائب المقرر العام، ومقرري لجان المؤتمر المتخصصة.

ثم أقر المؤتمر جدول الأعمال.

وشكل المؤتمر خمس لجان متخصصة تتولى دراسة مشاريع المعاجم المعروضة عليه، وهي:

. لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الصيدلة، برئاسة: الأستاذ الدكتور زهير البابا

. لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الطب البيطري، برئاسة: الأستاذ الدكتور محمد طه شقدي

. لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات تقنيات الأغذية، برئاسة: الأستاذ الدكتور كرم العودة

. لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الموروثات (الجينات)، برئاسة: الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

. لجنة دراسة مشروع معجم مصطلحات الحرب الإلكترونية، برئاسة: الأستاذ الدكتور سعد محمد الحريقي

على أن تنتخب كل لجنة مقررها.

### **جلسة العمل الأولى**

في هذه الجلسة، التي أدارها الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، شرع في إلقاء البحوث وفق برنامج المؤتمر الملحق، وذلك على الشكل الآتي:

**البحث الأول بعنوان:** "تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، ضروراته، معوقاته، شروطه ومتطلبات نجاحه"، للأستاذ الدكتور أحمد دويدار البسيوني، جاء فيه ان التعليم باللغة القومية يمثل أفضل تصور للذات، ويسهل التعبير عن مكامن النفس والاستيعاب والتواصل بين كل مكونات الأمة، ويحقق اكتساب القدرات التي بواسطتها تبدع هذه الأمة في كل مناحي الفكر، ويسهم في بناء الحضارة الإنسانية.

وللوصول إلى الأهداف المنشودة، يرى الباحث أنه لا بد من الوقوف عند أمور منها:

1. المصطلح العلمي، 2. إجادة اللغة الأجنبية، 3. الأستاذ الجامعي، 4. الكتاب الجامعي، 5. القرار السياسي

**البحث الثاني بعنوان:** التعليم العالي في الوطن العربي، قدمه أ.د. هاني مرتضى، تحدث فيه عن اللغة العربية باعتبارها لغة حضارية في بنيتها وإمكاناتها، لذلك انتقلت من لغة المعارف الشفوية إلى لغة العلم عندما توفرت أسباب هذا العلم، وانتقلت من المحلية إلى العالمية، لما توفرت لها أسباب الانتشار، ولم تجد أي حرج في تعاملها مع الترجمة والتعريب، أما ما تعيشه اليوم، فيعود إلى أسباب منها: التقهقر العلمي العربي، تطور المعارف السريع لدى الغرب، استهداف اللغة العربية لأمر قد تكون غير علمية، رضى المثقفين العرب بهذه الحال، الجهل باللغة العربية نفسها، عزز المختص في اللغة عن اتخاذ الإجراء اللازم، إهمال ذوي الحل والعقد من أهل السياسة لاتخاذ قرار حاسم. ويتوقف تعريب التعليم العالي على عناصر هي: الطالب والكتاب والأستاذ.

ويرى أن تعليم الطالب باللغة العربية شديد الصلة بكل إرثه الفكري ويسهل عليه الفهم ويمكنه من اختصار الوقت، ويحقق تأليف الكتاب باللغة العربية الأهداف نفسها، وبعد مناقشة العرضين، شرعت اللجان المتخصصة في دراسة المشاريع المعجمية المعروضة على المؤتمر.

### **الأحد 21 تموز 2002**

**الجلسة الثانية:** التي أدارها الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب، عُرض فيها البحث الثالث، بعنوان: "إعداد الكتاب العلمي الجامعي باللغة العربية تأليفاً وترجمة" الذي أعده أ.د. موفق دعبول والأستاذ الدكتور خضر الأحمد.

وبعد المقدمة التي ذكر فيها الباحثان بواكير النهضة العربية والتطلعات القومية، وبعد تذكيرهما بالتجربة السورية الرائدة في تعريب التعليم الجامعي، وقف الباحثان عند دواعي إعداد الكتاب الجامعي باللغة العربية وربطاً ذلك بجودة التعليم وجودة الإنتاج، فذكرا بأن التجربة أبانت أن اللغة الأم هي الأقدر على تمكين الطالب من المعارف بالدقة المطلوبة والزمن المحدود، وأن

الجامعات التي درست بلغات أجنبية لم تنجح في مهامها، ذلك أن الطالب يعاني أصلاً من ضعف اللغة الأجنبية، والأستاذ نفسه قد يعاني من ضعف فيها، وقدم الباحثان، دليلاً على نجاح التدريس باللغة العربية في الجامعة، تجربة أساتذة الرياضيات في السودان، الذين عدلوا عن التدريس بالإنجليزية، فشعروا بأنهم اقتربوا من الطلاب وأن الطلاب كانوا أسرع إلى الفهم والتمثل. ورجع الباحثان إلى ضعف كان قد ألم بالتعليم الجامعي وأرجعا الأسباب إلى ضعف تأليف الكتاب، عندما تصدى لذلك أساتذة غير أكفاء. وتعرض الباحثان إلى المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وذكرنا بعدد منشوراته المؤلفة والمترجمة.

**البحث الرابع بعنوان:** دور الحاسوب في توليد المصطلح وتوحيده، الذي أعده الدكتور مروان البواب، بالتعاون مع الدكتور محمد مراياتي والدكتور عماد الصابوني، والذي أشاروا فيه إلى التطور الحادث في مجالات العلوم المختلفة مما أنتج فيضاً من المصطلحات، التي وضعت مقابلات لها في غياب منهج موحد متفق عليه، وعدم وجود تشريع الجهات المختصة باستخدام ما جد من مصطلحات عربية.

كما أشار البحث إلى أن القصور في المصطلح هو قصور في المعرفة، التي أصبحت اقتصاداً في حد ذاتها، وغدت وسائلها علامة على التفوق، بحيث تقاس درجة التوجه نحو المعرفة بعدد الحواسيب وعدد ما يتصل منها بالإنترنت، وعدد مواقع المؤسسات في هذه الشبكة، ونسبة التعامل بالتجارة الإلكترونية، وعدد قواعد المعطيات في قطاعات الخدمات والإنتاج، وعدد براءات الاختراع.

لذلك دعت الضرورة إلى توليد المصطلح وتوحيده ونشره باللغة العربية، رغبة في التنمية الاقتصادية قبل كل شيء، اقتداء بالاتحاد الأوربي الذي طور مشاريعه الترجمة لتخدم اثنتي عشرة لغة مختلفة.

وفي هذا يمكن الاستفادة من:

1. دور التقانة في وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية.
2. دور التقانة في توحيد المصطلحات العربية ونشرها، قصد توحيد المصطلح في البلد الواحد وبين الأقطار العربية. ثم استأنفت اللجان المتخصصة أعمالها.

### **الاثنين 22 تموز 2002**

**الجلسة الثالثة:** التي أدارها الدكتور أحمد عبد القادر المهندس، عُرض فيها **البحث الخامس** بعنوان "المعجم من منظور الترجمة الآلية" للدكتور نبيل علي، الذي أبرز أهمية المعجم عموماً، في إطار لغة يحكمها نظامان، أحدهما نظام القواعد، والآخر نظام المعجم، وأبان أن لهذين دورهما في نظم الترجمة الآلية. وأشار إلى أن لهذه الترجمة مشاكل إذا ما قيست بالترجمة الآلية الإنجليزية، وذلك ناتج عن الاختلاف الكبير في آليات تكوين الكلمات في كل من اللغة العربية والإنجليزية، وفي الفوارق الواضحة بين اللغتين كلما تعلق الأمر بمعاني المدخلات المعجمية، وفي تحويل المعاني الاستعارية وطرق الحذف والزيادة.

**البحث السادس:** ألقاه الدكتور علي القاسمي بعنوان: دور المصطلح العربي الموحد في تعريب التعليم العالي، جاء فيه أن الهدف الأساسي من توفير المصطلحات العلمية العربية الموحدة هو إيجاد لغة علمية عربية مشتركة يفهمها جميع العلماء والتقنيين في مختلف الأقطار العربية، وتكون أداة فاعلة للتعليم والبحث والتأليف والترجمة في مجال العلوم والتقنيات الحديثة، وشبكات المعلومات العربية والدولية، والدوريات العلمية، ووسائل الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة، بحيث تيسر التبادل العلمي بين الجامعات العربية، وتبادل الأساتذة والباحثين، وانتقال الطلاب من جامعة عربية إلى أخرى.

## **التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

ولكي يقوم المصطلح الموحد بدوره العلمي والحضاري، يجب على جامعاتنا العربية الالتزام باستعماله دون غيره في خمسة أنشطة أساسية: 1. التعليم، 2. البحث العلمي، 3. الترجمة، 4. الدوريات العلمية، 5. مواقع الجامعات على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، وبعد مناقشة البعثين استألفت اللجان المتخصصة أعمالها.

### **الثلاثاء 23 تموز 2002**

**الجلسة الرابعة:** التي أدارها الدكتور عبد الله واثق شهيد، تميزت بعرض سبع مداخلات حول التعريب والمصطلح، وذلك على النحو الآتي:

- . وحدة المصطلح وسياسية التعريب: أ.د. عبد الكريم خليفة
- . تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي: أ.د. شحادة الخوري
- . آراء حول تعريب التعليم الجامعي، د. أحمد عبد القادر المهندس
- . خطوات على طريق التعريب، د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي
- . لغة الصحافة العربية المعاصرة في معاجمنا، د. محمد رشاد الحمزاوي
- . تعليم الترجمة، الأساتذة: هنري عويس، وجينا الياس أبو فاضل، ولينا فغالي
- . مدخل إلى تعليم اللغة العربية: أ. مي حداد، أ. رنا الحكيم
- ثم واصلت اللجان المتخصصة أعمالها

### **الأربعاء 24 تموز 2002**

**الجلسة الخامسة:** التي أدارها الدكتور أحمد مختار عمر عرضت فيها سبع مداخلات حول أوضاع تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، وذلك على النحو الآتي:

- . اللغة العربية وتعريب التعليم العالي: د. عز الدين البوشيخي
- . قضية التعريب في مصر: د. محمود حافظ إبراهيم
- . اللغة العربية في التعليم العالي بالجزائر . واقع وبديل: د. صالح بلعيد
- . تجربة التعريب في التعليم العالي بتونس: د. الحبيب دلالة

## **التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

- . تجربة التعريب في مجمع اللغة العربية في دمشق: د. عبد الله واثق شهيد
- . تعريب مصطلحات التجارة وإدارة الأعمال: د. عاطف نصار
- . طريقة إنجاز الذخيرة اللغوية: د. عبد الرحمن الحاج صالح
- . إضافات توضيحية حول بعض التجارب الخاصة للأساتذة:
- . د. محمد مصطفى أبو شعاله (حول تعريب التعليم العالي في ليبيا).
- . د. دفع الله الترابي (عن تجربة التعريب في السودان).
- . د. عدنان الحموي (تجربة إصدار مجلة علمية "العلوم")
- . د. هشام هاني البرهاني (حول تجربة إصدار مجلة الوسيط في طب الأسنان باللغتين العربية والإنجليزية)
- . د. قاسم سارة (جهود منظمة الصحة العالمية في تعزيز التعليم الطبي باللغة العربية)
- . وأتمت اللجان المتخصصة أعمالها وقدمت تقاريرها للجنة الصياغة.

### **الخميس 25 تموز 2002**

- الجلسة السادسة والأخيرة:** برئاسة الدكتور محمود السيد، رئيس المؤتمر.
- في صبيحة يوم الخميس، عقد المؤتمر جلسته الختامية واستمع فيها إلى:
- . كلمات الوفود العربية المشاركة في مؤتمر التعريب العاشر
- . تلاوة تقارير اللجان
- . تلاوة بيان دمشق المنبثق عن أعمال المؤتمر
- . تلاوة التقرير الختامي والتوصيات الصادرة عن المؤتمر
- . تلاوة البرقية المرفوعة إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الرئيس بشار الأسد
- . كلمات الجلسة الختامية:
- أ. كلمة ممثل المشاركين (الأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب)
- ب. كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ج. كلمة السيد وزير التربية، ممثل راعي المؤتمر

### **التوصيات**

إن مؤتمر التعريب العاشر المنعقد بدمشق، بعد أن درس الموضوعات المعروضة عليه، انتهى إلى مجموعة من التوصيات العامة والخاصة نثبتها فيما يلي:

#### **أولاً: التوصيات الخاصة**

. إقرار المعاجم، المعروضة على المؤتمر، وطبعها، بعد وضع اللمسات الأخيرة عليها، في ضوء ملاحظات اللجان المتخصصة.  
. إيجاد آلية مناسبة لاستثمار المعاجم الموحدة الصادرة عن مؤتمرات التعريب والاستفادة منها وتسهيل توزيعها وتداولها على نطاق واسع.

#### **ثانياً: التوصيات العامة**

يؤكد المؤتمر ما أقرته مؤتمرات التعريب السابقة من أن حركة التعريب ستظل ناقصة ومهددة ما لم تشمل مراحل التعليم كلها، وأن توقف التعريب وتباطؤه، عند التعليم العالي، سيؤدي إلى انفصام فكري وإلى وجود طبقة ثقافية في الوطن العربي تهدد نموه الفكري والعلمي. لذلك يوصي المؤتمر بما يلي:

1. مناشدة الدول العربية التي لم تبدأ بعد عملية التعريب في التعليم العالي، أو لم تستكملها، أن تتخذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك.
2. وضع الكتب العلمية، في البلاد العربية التي طبقت التعريب بين أيدي الجامعات والمؤسسات الأخرى المماثلة، والاستفادة من تجارب هذه الدول، ونقادي تكرار الجهود السابقة.
3. دعوة الدول العربية إلى معالجة مشكلات تعريب التعليم العالي، في ضوء النتائج التي توصلت إليها أبحاث المؤتمر حول هذه المشكلات، لتشخيص أسباب معوقات التعريب وإيجاد الحلول المناسبة.

4. المزيد من التنسيق والتعاون بين المؤسسات المعنية والمهتمة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
5. متابعة تنفيذ الخطة التي سبق أن وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الخاصة بتحليل وضع التعريب في الأقطار العربية.
6. القيام بدراسة تحليلية عن وضع التعريب في الأقطار العربية ومتابعة مجرى التقدم فيه ووضع آلية لتنفيذه.
7. الحرص على احتواء كل كتاب علمي منهجي على مسرد . أجنبي . عربي، وعربي . أجنبي يضم كل المصطلحات العلمية الواردة فيه.
8. العمل على نشر الأبحاث والكتب المترجمة على شبكة الإنترنت لتعم الفائدة منها.
9. دعم الجهود التي تضطلع بها الجامعات العربية اللغوية والعلمية والإفادة من تجاربها في تفعيل مسيرة التعريب في جامعات الوطن العربي.
10. إدخال مادة المصطلح في المقررات الدراسية والجامعية
11. دعم مركز التعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق الذي يسهر على توفير كتب التعليم العالي المترجمة والمؤلفة باللغة العربية، ووضعها تحت تصرف الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي.
12. دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى دعم أي مبادرة تقوم بها مؤسسات أو هيئات أو جمعيات أو منظمات غير حكومية عاملة في مجال التعريب، والتنسيق معها في هذا المجال.
13. دعوة الدول العربية إلى تنفيذ المقررات التي اتخذتها المؤتمرات الوزارية والتوصيات التي أصدرتها الندوات والاجتماعات التي عقدت بشأن التعريب والترجمة والمصطلح، وما صدر عن مؤتمرات التعريب من توصيات.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

14. دعم الصناعة المعجمية وأبحاثها ومشروعاتها التي تخدم قضية التعريب، كمشروع الذخيرة اللغوية، ومشروع المعجم الصحفي العربي المعاصر، ومشروع تقييس المصطلح، وغيرها من المشروعات المعجمية.

15. تشكيل لجنة تتبثق عن المؤتمر العاشر للتعريب لتتبع تنفيذ توصيات هذا المؤتمر، على أن تعرض نتائج التتبع في مؤتمر التعريب القادم.

16. التعريف بالتجربة السورية الرائدة العريقة في تعريب التعليم العالي والتجارب التعريبية الأخرى في الدول العربية.

وينوه المؤتمر بمبادرة الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى بإنشاء مجمع اللغة العربية، سنداً للمجامع العلمية واللغوية العربية الأخرى.

ويشيد المؤتمر بأنشطة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وأجهزتها المختلفة الخاصة بقضايا التعريب والترجمة والمصطلح، كما ينوه . بصفة خاصة . بجهود مكتب تنسيق التعريب في هذا المجال، وجهود المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.

. يتوجه المشاركون في المؤتمر العاشر للتعريب إلى الجمهورية العربية السورية رئيساً وحكومة وشعباً، وإلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب التابع لها على ما أولوه من عناية واهتمام بالمؤتمر وبالمشاركين فيه، مما ساعد على نجاحه، ويشكرون معالي رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية السورية الدكتور محمد مصطفى ميرو على رعايته للمؤتمر، ومعالي وزير التربية الأستاذ الدكتور محمود السيد على رئاسته له ومتابعته لكل أعماله، كما يتوجهون بالشكر إلى كل من ساهم في الإعداد للمؤتمر وتنفيذه من وزارة التربية، وفي مقدمتهم أمين اللجنة الوطنية الأستاذ لطوف العبد الله ومساعديه في اللجنة، وكذلك أسرة مكتب تنسيق التعريب وفي مقدمتها الأستاذ الدكتور عباس الصوري، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة.

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002

من أنشطة المركز

خلال النصف الثاني من العام 2002

**التحريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول / ديسمبر 2002**

## من أنشطة المركز

### خلال النصف الثاني من العام 2002

تابع المركز في خلال هذه المدة تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة، وفي مقدمتها ترجمة الكتب والمراجع في مختلف مجالات العلوم الأساسية والتربوية والطبية والهندسية، فقد أصدر المركز في خلال هذه المدة الكتب الآتية:

- 1 - التنمية الزراعية المستدامة
  - 2 - جيو تكنولوجية مكبات النفايات ومطامرها
  - 3 - تنظيم الحاسوب وبنائه
  - 4 - التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد
- كما يجري العمل حالياً على مراجعة الكتب الآتية وتدقيقها تمهيداً لدفعها للطبع:
- 1 - طب العيون العام
  - 2 - الاتصالات اللاسلكية
  - 3 - التقانة الرفيعة والمجتمعات النامية
  - 4 - مبادئ تحلية المياه المالحة
  - 5 - البيئة والزراعة والغذاء.

ويعمل المركز أيضاً على تنفيذ المشروع المشترك مع إدارة برامج التربية - ترجمة كتب حديثة في مجال التربية، فقد أصدر حتى الآن الكتب التربوية الآتية:

- 1 - التقويم الصفّي والتعلم
- 2 - من أجل نظرية في البيداغوجيا
- 3 - التكوين المستمر للمعلمين وجدواه

## **التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002**

كما يتابع عمليات الترجمة والمراجعة للكتب المتبقية مع السادة الأساتذة المكلفين بترجمة هذه الكتب التربوية ومراجعتها وهي:

- 1 - التعلم التحولي
  - 2 - استيعاب قيادة المنهاج الديمقراطي
  - 3 - المتعلم الكبير: التربية التقليدية في تعليم الكبار
  - 4 - تكييف مناهج الطفولة المبكرة في بيئة شاملة
- علماءً بأن هذه الكتب هي من المراجع المهمة والمعروفة عالمياً على نطاق واسع في الأوساط الجامعية، كل في مجال تخصصه. كما أنها قد اختيرت للترجمة من عدة لغات أجنبية . الانكليزية والفرنسية والألمانية . بهدف تنويع المدارس العلمية وإغناء المكتبة العربية بالترجمات من مختلف مصادر العلم والمعرفة.

**وفي إطار دعم الجامعات و الهيئات العربية في مجال التعريب، قام المركز بتلبية طلبات الجامعات العربية والهيئات التالية وتزويدها بنسخ كاملة من جميع إصدارات المركز:**

- 1 - المدرسة العليا للأساتذة/الجزائر
- 2 - الأكاديمية الإسلامية للعلوم/المغرب
- 3 - الهيئة العليا للتعريب في السودان
- 4 - جامعة عدن/اليمن
- 5 - المركز الوطني للتجديد البيداغوجي والبحوث التربوية/تونس.

ومن الأنشطة المهمة التي قام بها المركز خلال هذه المدة عقد الندوة الرابعة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي تم في رحاب جامعة عدن في المدة ما بين 27-30 تشرين الأول / أكتوبر 2002 تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية اليمنية الأخ علي عبد الله

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

صالح، وذلك بالتعاون مع جامعة عدن وباستضافة كريمة من الحكومة اليمنية. وقد تناولت الندوة من خلال جلساتها الأربع التي امتدت على مدى أربعة أيام المحاور الأساسية التالية:

- 1 - المعلوماتية والاتصال والترجمة الآلية
- 2 - دور المصطلحات والكتاب في تطوير عملية التعريب
- 3 - سياسات وتجارب التعريب

شارك في أعمال هذه الندوة عشرون باحثاً من أساتذة الجامعات والخبراء المعنيين بالتعريب من 12 دولة عربية قدموا للندوة 23 بحثاً غطت وبشكل واف محاور الندوة الثلاثة.

وقد قام المركز بتصنيف هذه البحوث وجميع أوراق الندوة، بما فيها التقرير الختامي والتوصيات المنبثقة عنها، في كتيب خاص بهذه الندوة تمهيداً لطبعه وتوزيعه على جميع اللجان الوطنية والجامعات والمؤسسات والهيئات المعنية بالتعريب في مختلف أرجاء الوطن العربي. ونورد أدناه النص الكامل للتقرير الختامي لهذه الندوة والتوصيات المنبثقة عنها.

### ومن أنشطة المركز خارج البرامج الفعاليات الآتية:

1. متابعة الاتصال بالمؤسسات الثقافية العربية والأجنبية الموجودة في دولة المقر للتعريف بالمركز وبإصداراته ونشاطاته، ولبحث سبل التعاون وتبادل الخبرات معها، وإمكان الحصول على دعم منها وبمختلف الأشكال.
2. مواصلة العمل على إقامة علاقات وثيقة مع مراكز ومؤسسات التعريب الموجودة في مختلف دول العالم بهدف التعريف بالمركز وبإصداراته ونشاطاته وتبادل المعلومات والخبرات.
3. السعي المستمر لإقامة الصلات مع الجاليات والرابطات العربية في خارج الوطن العربي، بهدف تعريفها بالمركز وإصداراته وأنشطته، وكذلك الاستفادة من دراسات المغتربين العرب وبحوثهم وإنجازاتهم في مجال عمل المركز.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

4. متابعة العمل على الاتصال بالمتترجمين الأجانب من مختلف الجنسيات واللغات للاستفادة من قدراتهم وخبراتهم في الترجمة من العربية وإليها.
5. التباحث مع وزارة الثقافة السورية لتنظيم اتفاق تعاون بين الوزارة والمركز في مجال ترجمة روائع الفكر العربي إلى اللغات الحية الواسعة الانتشار، وذلك لمواكبة المفهوم الجديد السائد حالياً: "حوار الحضارات".
6. الاتصال مع اتحاد الكتاب العرب لوضع أسس التعاون بين الاتحاد والمركز في مجال الترجمة وبخاصة الترجمة العكسية (من العربية إلى اللغات الأخرى).
7. التباحث مع كل من وزارة التعليم العالي السورية وجامعة دمشق لدراسة إمكانية استعداد المركز للمساهمة في ترجمة المراجع الجامعية وطباعتها وإصدارها، وتنظيم اتفاقات تعاون بهذا الخصوص.
8. الطلب من رئاسة جامعة دمشق السماح لبيع إصدارات المركز من الكتب والمراجع في الكليات المختصة، وقد لبي السيد الأستاذ الدكتور رئيس جامعة دمشق مشكوراً هذا الطلب وأصدر تعميماً على جميع الكليات بالسماح لبيع كتب المركز في نوافذها المعتمدة.
9. يجري حالياً التباحث مع كل من النادي العربي للمعلومات ومركز المعلومات القومي لوضع أسس للتعاون والتنسيق في مجال تبادل المعلومات وتحديث قواعد البيانات التي يضطلع بها المركز.
10. التعاون والتنسيق الدائمان مع اتحاد المترجمين العرب في كل ما يتعلق بالترجمة من العربية وإليها، ويجري التباحث حالياً لتنظيم اتفاق تعاون بين الاتحاد والمركز بما يخدم مسيرة الترجمة والتعريب، وبخاصة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
11. المشاركة في الندوة العلمية الخامسة حول: "دور التوثيق والمعلومات في بناء مجتمع المعلومات العربي" التي أقامها النادي العربي للمعلومات بالتعاون مع مركز المعلومات القومي في سورية وجامعة منتوري بقسنطينة/الجزائر في دمشق في الفترة ما بين 2-4 تموز/يوليو 2002.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

12. تمثيل المنظمة والمشاركة في "معرض التوثيق القومي الخامس" الذي نظمه مركز المعلومات القومي في دمشق في الفترة ما بين 1-10 تموز/يوليو 2002.
13. تمثيل المنظمة في "الحفل الرسمي لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية لعام 2002" الذي نظّمته اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية، وذلك يوم 14 تموز/يوليو 2002.
14. المشاركة في فعاليات مؤتمر التعريب العاشر الذي عقده مكتب التنسيق التعريب بالرباط بالتعاون مع اللجنة الوطنية السورية، وذلك في دمشق في المدة ما بين 20-25 تموز/يوليو 2002، وقد قدم المركز بحثاً إلى هذا المؤتمر بعنوان: إعداد الكتاب العلمي الجامعي باللغة العربية تأليفاً وترجمة.
15. المساهمة في استضافة "الدورة التدريبية للعاملين في اللجان الوطنية في مجال استخدام تكنولوجيا المعلوماتية" التي نظمتها الأمانة العامة للمجلس التنفيذي والمؤتمر العام بالتعاون مع اللجنة الوطنية السورية في دمشق في الفترة ما بين 8/25 إلى 5/2002، وتسيير الأمور المالية والإدارية لهذه الدورة.
16. المشاركة في "معرض الكتاب الدولي - الدورة الأولى" الذي أقامته سفارة جمهورية السودان في تونس في الفترة ما بين 8/29 إلى 8/2002/9.
17. حضور حفل افتتاح الجامعة الافتراضية السورية الذي نظّمته وزارة التعليم العالي السورية في دمشق يوم 2 أيلول/سبتمبر 2002.
18. المشاركة في "الاجتماع التحضيري لمؤتمر وزراء الثقافة العرب" الذي عقدته اللجنة الدائمة للثقافة العربية في دمشق خلال الفترة ما بين 9-12 أيلول/سبتمبر 2002، وقد طرح الأستاذ الدكتور مدير المركز في هذا الاجتماع موضوع الترجمة العكسية (من العربية إلى اللغات الأخرى الواسعة الانتشار) وذلك في إطار التحرك العربي على صعيد حوار الحضارات.
19. حضور افتتاح "الدورة التدريبية في مجال توفير المياه للتجمعات الريفية في إفريقيا التي نظّمها المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) في دمشق خلال

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول/ديسمبر 2002

- المدة ما بين 9/18 - 2002/10/8.
20. تمثيل المنظمة والمشاركة في ندوة "أخلاق مجتمع المعلومات" التي أقامها النادي العربي للمعلومات بالتعاون مع اتحاد الناشرين العرب في دمشق في الفترة ما بين 14 إلى 17 تشرين الأول/أكتوبر 2002.
21. تمثيل المنظمة والمشاركة في "معرض مكتبة الأسد الثامن عشر للكتاب العربي" الذي أقامته مكتبة الأسد الوطنية بدمشق خلال المدة ما بين 8-18 تشرين الأول/أكتوبر 2002.
22. حضور حفل افتتاح مؤتمر "تيسير تعليم النحو" الذي أقامه مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ 27 تشرين الأول/أكتوبر 2002.
23. إبرام اتفاق للتعاون العلمي والثقافي بين المركز وجامعة عدن يهدف إلى توثيق أواصر التعاون وتبادل الخبرات والمعلومات مع جامعة عدن، وكذلك لتزويد جامعة عدن بما تحتاج إليه من إصدارات المركز.
24. الإشراف على إعداد مشروع معجم متخصص ثلاثي اللغة (انكليزي - فرنسي - عربي) لمصطلحات الهندسة المدنية، وذلك بتكليف من مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وقد قام المركز بتشكيل فريق عمل من كبار أساتذة كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق لتنفيذ هذا المشروع.
25. تمثيل المركز في لجنة الترجمة والتأليف والنشر بوزارة التعليم العالي السورية وحضور اجتماعاتها والمشاركة في فعاليتها وأنشطتها المختلفة.
26. تسيير الأمور المالية والإدارية للسادة الأساتذة والخبراء الموفدين من قبل مختلف إدارات المنظمة، وتأمين الحجوزات والترتيبات اللازمة لاقامتهم وسفرهم.

## التقرير النهائي الصادر عن الندوة الرابعة للمسؤولين

### عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي

عدن – جامعة عدن من 27 - 2002/10/30 م

برعاية فخامة رئيس الجمهورية اليمنية الأخ علي عبد الله صالح، وباستضافة كريمة من الحكومة اليمنية، عقد المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بالتعاون مع جامعة عدن الندوة الرابعة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.  
وجرت أعمال الندوة على النحو الآتي :

#### أولاً: حفل الافتتاح

مثل فخامة الرئيس الأخ علي عبد الله صالح في حفل الافتتاح معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور يحيى محمد الشعيبي، وحضر حفل الافتتاح رئيس جامعة عدن الأستاذ الدكتور صالح علي باصرة وممثل المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر والسادة المشاركون ومجموعة من الأساتذة والمهتمين في جامعة عدن.

وبعد تلاوة آي من الذكر الحكيم، تناول الأستاذ لطوف العبد الله خبير المركز الكلمة ممثلاً الأستاذ الدكتور غسان حلوبوني مدير المركز، ف شكر باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الجمهورية اليمنية رئيساً وحكومة وشعباً على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، كما توجه بالشكر إلى السادة المشاركين لتحملهم عناء السفر لإغناء الندوة بأبحاثهم ومناقشاتهم الجادة، كما استعرض بعض جهود مركز التعريب واهتماماته المستقبلية في عالم متغير وحاجته إلى مزيد من الجهد والدعم لينهض برسالته القومية النبيلة، وأكد أهمية اللغة العربية بوصفها مقوماً أساسياً من مقومات الأمة العربية ورمزاً لهويتها مبيناً أهمية استخدام اللغة العربية في مراحل التعليم كافة.

وتوجه في نهاية الكلمة إلى السادة المشاركين بضرورة التوصل إلى توصيات جادة تنعكس

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

إيجاباً على مسيرة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وعلى المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.

ثم تناول الكلمة السيد الأستاذ الدكتور صالح علي باصرة رئيس جامعة عدن، فرحب بالضيوف الحاضرين من البلدان العربية المشاركة بالندوة، وأكد أهمية الندوة بمحاورها وأبحاثها مشيداً بالدور الذي يقوم به المركز العربي في مجال تعريب التعليم العالي وأشار إلى الإصدارات القيمة التي أنتجها بغية توفير الكتاب الجامعي المرجعي، كما بين الجهود التي بذلتها جامعة عدن في مجال التعريب والترجمة، ولاسيما في مجال تعريب العلوم الطبيعية والأحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات في كلية التربية، وكذا بعض المواد الدراسية في الهندسة والنفط والمعادن، والجهود الأخرى لدعم مسيرة التعريب وتنشيط الترجمة في هذه الجامعة... وتمنى في ختام كلمته النجاح والتوفيق لحركة التعريب والترجمة باعتبارها ضرورة قومية وتنموية وثقافية.

وألقى ممثل راعي الندوة معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الأستاذ الدكتور محمد الشعبي كلمة أشار فيها إلى أن عملية التعريب والترجمة، بما تفتحه من أبواب على الآخر لنقل معارفه وأفكاره، تعد من أهم آليات الحوار بين الحضارات على مدى التاريخ البشري. وتطرق إلى حركة الترجمة التي نشطت في العصر العباسي لنقل المعارف والعلوم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، مما جعل بيت الحكمة ببغداد رمزاً لحركة علمية عامة أعطت للعرب قاعدة لإبداع خصب في مختلف العلوم والمعارف، انتقلت ثمراته فيما بعد إلى الغرب وكان من بواعث النهضة الأوروبية... ورحب بالأخوة العلماء والباحثين متمنياً لهم التوفيق والنجاح.

بعد استراحة قصيرة رفع المشاركون أعمال الندوة إلى ما بعد الظهر، فالتأم الاجتماع في تمام الساعة الرابعة.

### ثانياً: جلسة العمل الأولى – الأحد 2002/10/27م

بدأت الجلسة الأولى أعمالها بانتخاب الأستاذ الدكتور أحمد علي الهمداني نائب رئيس جامعة عدن رئيساً للجلسة والدكتور محمد علي يحيى من كلية التربية في جامعة عدن مقررًا. وتم في هذه الجلسة اقتراح لجنة الصياغة على النحو التالي:

- 1 – الأستاذ شحادة الخوري
  - 2 – الأستاذ الدكتور داود الواسطي
  - 3 – الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي
  - 4 – الأستاذ الدكتور محمد غالب سيدا
  - 5 – الأستاذ الدكتور محمد غاليم
  - 6 – الأستاذ الدكتور سعيد عبد الخير النوبان
  - 7 – الأستاذ الدكتور محمد علي يحيى عمر
- وقد وافق الحاضرون على الاقتراح، ثم دعا رئيس الجلسة الباحثين لتقديم بحوثهم فيما يتعلق بالمحور الأول "المعلوماتية والاتصال والترجمة والآلية".

#### البحث الأول:

لأستاذ الدكتور داود الواسطي استشاري بيت الحكمة في بغداد، بعنوان "الترجمة الآلية ودورها في دعم مسيرة التعريب".

يؤكد البحث أهمية الترجمة الآلية في مسيرة التعريب العلمي بوصفه مهمة قومية في عالم تتطور فيه آليات الترجمة، ويزداد الاعتماد فيه على التقنيات المتطورة في الترجمة بواسطة البرامج الحاسوبية، ولكن الترجمة البشرية تبقى لها إمكاناتها ولا يمكن الاستغناء عنها.

### **البحث الثاني:**

للأستاذ شحادة الخوري رئيس اتحاد المترجمين العرب من سورية، تحت عنوان "الترجمة البشرية والترجمة الآلية ودورهما في دعم مسيرة التعريب".

سلط الباحث في بحثه الضوء على التعريب والترجمة ودورهما في النهضة العربية قديماً وحديثاً، وميز بين الترجمة البشرية بأنواعها الأدبية والعلمية وبين الترجمة الآلية، وعرف الترجمة الآلية وأنظمتها وأساليبها ودور الإنسان فيها. ثم تطرق إلى الآفاق المستقبلية للترجمة الآلية، وخلص إلى ضرورة إنجاز التعريب في مجال التعليم العالي، فضلاً عن ترجمة روائع التراث الفكري والأدبي والعلمي إلى اللغة العربية وبالعكس.

### **البحث الثالث:**

للأستاذ الدكتور حسام الخطيب من كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر، تحت عنوان "الترجمة الآلية وتعريب العلوم محاولة لكلمة فاصلة".

يقدم البحث مسحاً لتزايد الاهتمام بالترجمة الآلية. ويوضح التطور المذهل للاستخدام التجاري للترجمة الآلية على الشبكة العالمية، ويبين أهم مواقع الترجمة الآلية في الإنترنت وما تقدمه من خدمات. ثم يقدم نسخة معدلة من المشروع الذي طرحه في ندوة دمشق لعام 2000 على أمل أن يجد المشروع صدًى إيجابياً من خلال التعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والجهات العربية الأخرى المعنية بالموضوع.

### **البحث الرابع:**

للدكتور محمد سعيد العمودي من كلية التربية - جامعة عدن/اليمن، تحت عنوان "دور تقانة المعلومات والاتصال ICT في تعريب التعليم العالي".

عرض الباحث تجربة التعريب في كلية التربية بجامعة عدن واستخدام تعريب المقرر التعليمي المعتمد على الشبكة "Web-based Course".

#### **البحث الخامس:**

للأستاذ الدكتور محمد غاليم من معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - جامعة محمد الخامس/المغرب، تحت عنوان "من أساسيات تعريب المصطلحات: مشروع التوليد الآلي للاصطلاح نموذجاً".

يقدم البحث وصفاً مجملًا لمشروع قاعدة الاصطلاح المولد الذي يجري تنفيذه في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، وحاجة هذه القاعدة إلى قاعدة أعم، هي قاعدة الصور المعجمية المولدة بخصائصها الأساسيتين: التوليدية والقالبية، كما يبرز البحث بعض الأولويات الدلالية ومبادئ تأليفها التي تهم القالب الدلالي، ويمكنها أن تشكل منطلق أبجدية دلالية كافية.

#### **البحث السادس:**

للأستاذ الدكتور محمد يونس الحملاوي من كلية الهندسة - جامعة الأزهر / مصر، تحت عنوان "تحو رؤية لتفعيل دور شبكة المعلومات العالمية في عملية التعريب".

يقدم البحث إمكانات الشبكة العالمية "الإنترنت" في تفعيل حركة ترجمة الكتاب العلمي وتعريبه ونشره بالتعويل على الأدوار الفردية للشخصيات العلمية في الجامعات والجمعيات العلمية العربية، وليس على الجهات والمؤسسات والهيئات الرسمية.

#### **البحث السابع:**

للأستاذ الدكتور مسعود عمشوش أستاذ الأدب المقارن - جامعة عدن - رئيس فريق الترجمة، تحت عنوان "معضلة السياق في الترجمة الآلية".

حدد الباحث ما يقصده بالسياق، وقدم بشكل موجز أنواع الترجمة الآلية ومراحلها الإجرائية. كما عرض أسباب التعثر التي تعاني منها نظم الترجمة الآلية المتعلقة باللغة العربية المستخدمة في الوقت الحاضر. وتقدم ببعض المقترحات التي يمكن أن تسهم في حل جزء من جوانب هذه المعضلة.

### ثالثاً: جلسة العمل الثانية – الاثنين 2002/10/28م

ترأس الجلسة الأستاذ الدكتور حسام الخطيب من جامعة قطر، وكان مقررها الدكتور محمد عاشور الكثيري من جامعة حضرموت/اليمن.

وقد تناولت بحوث هذه الجلسة المحور الثاني من محاور الندوة وهو "دور المصطلحات والكتاب في تطوير عملية التعريب".

#### البحث الثامن:

للأستاذ الدكتور سعيد عبد الخير النويان من جامعة عدن / اليمن، تحت عنوان "الترجمة العلمية النوعية لا تستقيم دون معجم للمصطلحات".

أكد الباحث ضرورة وجود مترجم ممتاز يجيد اللغة العربية واللغات المنقولة منها، إلى جانب أهمية وجود المعاجم المتخصصة في شتى العلوم، كما أكد ضرورة اهتمام المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بإعداد المترجمين وإعداد المعاجم بصورة أساسية. ثم دعا إلى ضرورة إيجاد مؤسسة استثمارية تبحث عن الجديد في العلم وتترجمه، أي أن لا يقتصر العمل على الجانب الرسمي فقط. ويرى أن تدرس التجربة العربية الإسلامية في الترجمة دراسة متأنية وأن يتحول المركز العربي للتعريب بدمشق إلى مؤسسة استثمارية.

#### البحث التاسع:

للدكتور عبد الكريم مخلف الهيتي من جامعة البحرين، تحت عنوان "أضواء على أسس تعريب المصطلحات العلمية".

أوضح الباحث أزمة اللغة العربية في بعض مناطق الوطن العربي، مركّزاً على استخدام الخادمة الأجنبية (من جنسيات مختلفة) وتدريب الأبناء في المدارس الإنجليزية والفرنسية.

ثم تحدث عن التجربة العباسية، وبين بعض الأخطاء التي وردت في ترجمات بعض المستشرقين. ثم تكلم عن المصطلحات والرموز والقوانين الرياضية وترجمتها.

#### البحث العاشر:

للأستاذ الدكتور صالح بلعيد من كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تيزي وزو/الجزائر،  
تحت عنوان "أزمة المصطلح في الوضع أم في الاستخدام".  
يرى الباحث أن الأزمة في المصطلح لا تكون في وضعه، فهناك مؤسسات كثيرة أنجزت كما  
معتبراً في هذا المجال، واستخدمت منهجيات علمية دقيقة مسايرة لروح العصر. وإنما الأزمة في  
نشر هذه المصطلحات والعمل على تعميمها على مستوى الوطن العربي لتلقى الصدى  
والاستعمال. ويدعو الباحث في هذا المجال إلى العمل على فتح الحدود أمام المصطلحات  
لوضعها في بيئة تمكنها من النمو والاستخدام بشكل جيد.

#### البحث الحادي عشر:

للأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي رئيس الهيئة العليا للتعريب في السودان، تحت عنوان  
"تعريب الرموز العلمية والمختصرات".  
يرى الباحث أن العلوم الرياضية والهندسية وغيرها من الحقول العلمية يصعب تعلمها دون  
معرفة رموزها. ويعتقد الباحث أن عدم تعريب بعض الجامعات لمناهجها لا يتعلق بعدم توافر  
المصطلحات المعربة، وإنما السبب هو صعوبة إدخال هذه المصطلحات في المؤلفات العلمية  
العربية، حيث أن الكتب المعربة ما تزال تستخدم الرموز الأجنبية كما هي. ودعا إلى عقد ندوة  
مخصصة لتعريب الرموز العلمية وتوحيدها.

#### البحث الثاني عشر:

للأستاذ الدكتور محمود حمو الحمزة والدكتور أمين علي عبده المقطري من جامعة تيز /  
اليمن، وعنوانه: "التعريب ومصطلحات الرياضيات".  
تحدث الباحث الدكتور أمين علي المقطري عن أهمية التعريب وعن تعريفه، وتحدث كذلك  
عن ثلاث قواعد للتعريب وعن طرق التعريب المتمثلة بالوضع والاشتقاق، ثم استعرض جهات  
النظر المختلفة حول التعريب.

**البحث الثالث عشر:**

للدكتور محمد عليوي ناصر الشمري من كلية التربية - جامعة عدن/اليمن، وعنوانه: "ترجمة المصطلحات الشرعية والفكر الإسلامي وتعريبها - الواقع والطموح".  
يعرض الباحث أهمية المصطلح الشرعي والفكر الإسلامي، وما يجب أن يحظى به من اهتمام في الترجمة بقصد الحفاظ على دلالة المصطلح الشرعي "الوصف الشرعي". ويرى الباحث أن الوقوع في الخطأ تعمداً أو توهماً يحدث خلافاً في النص ومعانيه، كما حدث في الكثير من الترجمات.

**البحث الرابع عشر:**

لأستاذة الدكتور فريال بو ربيع من جامعة الكويت، وعنوانه: "دور الكتاب المنهجي والمرجعي في دعم مسيرة تعريب التعليم العالي في الجامعات العربية".  
تناول البحث الجهود التي بذلتها دول مجلس التعاون الخليجي في مجال تعريب التعليم العالي تنفيذاً لقرار المجلس الأعلى في دورته السادسة في مسقط (ديسمبر 1985)، الذي تم عرضه على الاجتماع الأول لرؤساء الجامعات ومؤسسات التعليم العالي بدول المجلس في الرياض (مارس 1986) والذي اتخذ بدوره توصية بشأن هذا القرار تضمنت الالتزام بأمرين: الأول فيما يتعلق بتعريب التعليم العالي، والثاني بإعداد خطة عمل لإنتاج الكتاب الجامعي تأليفاً وترجمة توزيعاً. ثم تطرقت الباحثة إلى دواعي وأسباب تعريب التعليم العالي، ومعوقات تعريب الكتاب والتعليم في الجامعات العربية، والمواصفات الواجب توافرها في الكتاب الجامعي، وما بذلته الكويت في مجالات التعريب بشكل عام، والتعريب الجامعي بشكل خاص، من قبل المؤسسات الجامعية والثقافية.  
(تم توزيع البحث في الندوة، ولم تتمكن الباحثة من الحضور).

**البحث الخامس عشر:**

للأستاذ الدكتور عبد الكريم بن أعراب من جامعة قسنطينة/الجزائر، وعنوانه "دور الكتاب المرجعي والمنهجي في دعم مسيرة تعريب التعليم العالي في الجزائر".

تكلم الباحث أولاً عن تطور عملية طباعة الكتاب الورقي، وعن موقعه وأهميته في دعم مسيرة تعريب التعليم العالي في الجزائر، ومن ثم نجوع استبداله بالكتاب الإلكتروني. تناول بعدها عيوب هذا الكتاب الورقي ومستقبله في دعم مسيرة تعريب التعليم العالي في الجزائر، فأكد أنه ما زال الكتاب الورقي هو السيد في هذا المجال، ثم تطرق إلى دراسة العلاقات الممكنة بين مختلف العوامل المؤثرة في عملية التعريب. واختتم بحثه بجملة من الإجراءات اللازمة لتطوير دور الكتاب المرجعي والمنهجي في دعم مسيرة التعريب.

(تم توزيع البحث في الندوة، ولم يتمكن الباحث من الحضور).

**البحث السادس عشر:**

للأستاذ المشارك حسين حسن سليمان من جامعة الإمارات، وعنوانه: "تصورات عن وضع أسس معيارية للكتاب الجامعي في الجامعات العربية".

يرى الباحث أن الكتاب الدراسي الجامعي ما يزال يمثل الأساس في عملية تزويد الطلبة بالمعارف والحقائق العلمية. وعلى الرغم من قلة الدراسات الموجودة في مجال تقييم الكتاب الجامعي في الجامعات العربية، فإن هناك ضرورة للعمل على رفع مستوى الكتاب الدراسي ليصبح مرجعاً متطوراً وفعالاً لمساعدة كل من المدرس والطالب.

**البحث السابع عشر:**

للأستاذ الدكتور عبد الله بن إبراهيم السعادات من جامعة الملك فيصل/السعودية، وعنوانه "قضايا جوهرية في تعريب المصطلح".

شدد الباحث على صلة المصطلح الوثيقة بعملية التعريب، وأنه أداة ضرورية من أدواتها. تطرق بعدها إلى دراسة إشكالات وضع المصطلحات وسبل حلها مختتماً بحثه بالتعليق على

ثلاثة من أبرز الإشكالات وهي قضية المفهوم، وقضية المنهج، وقضية إشاعة المصطلح العربي، مؤكداً أنه لن يلقى المصطلح الشيوع والانتشار إلا إذا استخدمه المؤلفون والمترجمون في المراجع وأمّهات الكتب التي يضعونها بالعربية، أو ينقلونها إليها من اللغات الأخرى. (تم توزيع البحث في الندوة، ولم يتمكن الباحث من الحضور).

#### **رابعاً: جلسة العمل الثالثة – الثلاثاء 2002/10/29 م**

ترأس الجلسة الأستاذ شحادة الخوري رئيس اتحاد المترجمين العرب/سورية، وكان مقررها الأستاذ الدكتور صالح بلعيد من كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تيزي وزو/الجزائر. وقد تناولت بحوث هذه الجلسة المحور الثالث من محاور الندوة وهو "سياسات وتجارب التعريب".

##### **البحث الثامن عشر:**

للأستاذ الدكتور بدر سعيد علي الأغبري من جامعة صنعاء/اليمن، وعنوانه: "تعريب التعليم: واقعُه وتطوره في الوطن العربي".

يعتمد البحث المنهج الوصفي في رصد وتحليل مفهوم التعريب وبداية ظهوره والاهتمام به والمؤسسات التي تخدمه، وتناول البحث الضرورات الدافعة للتعريب، فذكر أنه دعوة إنسانية ولغوية وتربوية وتنموية، فضلاً عن كونه أساساً دعوة قومية، ثم تناول المؤسسات المهمة بالتعريب مثل مجامع اللغة العربية، والجامعات العربية، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق وغيرها من الهيئات والمؤسسات العربية والقطرية، وتطرق البحث في خاتمته إلى بعض الصعوبات التي تواجه مسيرة التعريب واقترح الحلول لها.

##### **البحث التاسع عشر:**

للدكتور ماهر فاضل القيسي من كلية التربية – جامعة عدن/اليمن، وعنوانه: "واقع تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ومتطلبات تغييره".

تطرق البحث إلى أهمية تعريب التعليم العالي بوصفه دعوة إلى التمسك بالهوية الثقافية

## **التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002**

القومية التي تمثل اللغة العربية أحد أبرز مقوماتها واستمرار وجودها الحضاري. ثم تطرق إلى واقع التعريب، وتناول المشكلات التي تعترض سبيله، وأشار إلى القرارات السابقة التي تمثل إجماعاً عربياً على التعريب، ولكنها لم تنفذ حتى الآن، ودعا إلى ممارسة الضغط على مصادر القرار السياسي العربي لوضع موضع التنفيذ ومساندتها بالتمويل والدعم.

### **البحث العشرون:**

للأستاذ الدكتور هادي نهر العبيبي من جامعة عدن/اليمن، وعنوانه: "التعريب والترجمة ضرورة قومية وبعد حضاري: المشكلات والحلول".

يعتمد البحث منهجاً وصفيّاً تاريخياً لتباين دور التعريب والترجمة في حياة الأمة العربية، وأشار إلى فعلها الحضاري قديماً، حين خلقت الترجمة ثورة علمية خالدة. ثم ينتقل إلى الحديث عن واقع التعريب والترجمة في الوقت الحاضر، ويفند الدعوات القائلة بعقم اللغة العربية وعجزها عن استيعاب العلوم المعاصرة. ويبين البحث صلاحية اللغة العربية للتعبير عن نشاط الفكر الإنساني في كل المجالات العلمية.

### **البحث الحادي والعشرون:**

للدكتور صالح محمد مبارك والدكتور حسن علي محمد والدكتور محمد أحمد علي ثابت - كلية الهندسة - جامعة عدن/اليمن، وعنوانه: "تعريب التعليم الهندسي بجامعة عدن". يستعرض البحث الصعوبات الراهنة للتعليم الهندسي في الجامعات اليمنية بشكل خاص والجامعات العربية بشكل عام، كما يناقش جهود تعريب التعليم الهندسي بشقيها الإيجابي والسلبي. ويدعو الباحث إلى تأسيس مركز لتعريب التعليم الجامعي التطبيقي في جامعة عدن وتأسيس جمعية يمنية لتعريب العلوم.

### **البحث الثاني والعشرون:**

للأستاذ الدكتور عبد علي الخفاف والأستاذ الدكتور أحمد علي الهمداني من كلية التربية - جامعة عدن/اليمن، تحت عنوان "مركز الترجمة والتعريب الأكاديمي، آلية عمل الترجمة وتعريب

### **الكتاب الجامعي المنهجي."**

تعرضت الورقة لآلية عمل الترجمة وتعريب الكتاب الجامعي المنهجي، فبينت أن الغرض من البحث تقديم تصور لآلية عمل الترجمة، والمرتكزات التي تستند إليها والمتمثلة بإنشاء مركز للترجمة والتعريب في كل جامعة عربية من منطلق أهمية ترجمة وتعريب الكتب المنهجية. كما تعرضت الورقة إلى تحديد مفاهيم البحث متبوعة بخلفية تاريخية عن الترجمة استقتها من المصادر التاريخية ذات الصلة. ونوهت الدراسة بالهيكل العام لمركز الترجمة والتعريب الأكاديمي بشقيه الإداري والعلمي.

### **البحث الثالث والعشرون:**

لأستاذ الدكتور محمد عاشور الكثيري من كلية العلوم - جامعة حضرموت/اليمن. وعنوانه:  
"تجربة فريق الترجمة في جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا".

يستعرض البحث تجربة فريق الترجمة بكليتي التربية والعلوم التطبيقية في جامعة حضرموت وأنشطته المتمثلة في إلقاء المحاضرات وإصدار النشرات العلمية باللغة العربية دعماً للتعريب والترجمة، ويدعو البحث إلى ضرورة دعم ومساندة هذا الفريق معنوياً ومادياً لتمكينه من تنسيق العمل بين أقسام اللغات والمهتمين بشؤون الترجمة والتعريب في الأقسام العلمية في كليات الجامعة.

### **خامساً: التوجهات العامة للمناقشات**

جرت مناقشات مستفيضة وجادة بعد البحوث التي قدمت إلى هذه الندوة وأكدت توجهات رئيسة يمكن إيجازها بالآتي :

- 1 - تثمين تجارب التعريب الرائدة في الوطن العربي وخاصة في سورية والسودان وبعض الجامعات في الأقطار الأخرى.
- 2 - تأكيد أهمية استخدام التقنيات الحديثة التي تساعد في دعم مسيرة تعريب التعليم العالي سواء

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

- أكان في مجال الترجمة الآلية أم في الاستخدام الأمثل لإيجابيات الشبكة العالمية (الانترنت) أم في مجال الكتب الإلكترونية المعربة ونشرها على الشبكة العالمية.
- 3 - أهمية القرار السياسي في دعم مسيرة التعريب بقصد تفعيل الخطط القومية في هذا الميدان وتوفير الدعم القانوني والمالي اللازم.
- 4 - أهمية الجهود الفردية للأساتذة في الجامعات والهيئات ومراكز البحث العلمي في الوطن العربي وفي المهجر وضرورة توظيفها لخدمة مسيرة التعريب.

### سادساً: الفعاليات الموازية للندوة

بمبادرة من السيد رئيس جامعة عدن الأخ الأستاذ الدكتور صالح علي باصرة، نظمت جامعة عدن العديد من المحاضرات العامة والمتخصصة لطلاب مختلف كليات الجامعة، لبيان وشرح أهمية التعريب في مجالات العلوم كافة. وقد تم ذلك حسب الجدول الآتي:

#### جدول المحاضرات لبعض الأساتذة المشاركين

#### في ندوة التعريب 27-30 أكتوبر 2002م

| الرقم | اسم المحاضر        | موضوع المحاضرة / المكان                                                        | الكلية التي أقيمت فيها المحاضرة                                | الوقت                         |
|-------|--------------------|--------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------|-------------------------------|
| 1     | أ.د. سلمان الواسطي | درس نموذج في الشعر الإنجليزي<br>(قاعة دراسية في كلية التربية)                  | كلية التربية                                                   | الإثنين<br>9.00-10.00 صباحاً  |
| 2     | أ.د. صالح بلعيد    | تجربة الجزائر في التعريب<br>(قاعة المؤتمرات /كلية التربية عدن)                 | كلية التربية عدن أقسام<br>الكيمياء/فيزياء/أحياء/رياضيات        | الإثنين<br>11.00-12.15 صباحاً |
| 3     | أ. شحادة الخوري    | تعريب التعليم الطبي:<br>دواعيه ومستلزماته وفوائده<br>(القاعة الكبرى كلية الطب) | كلية الطب والعلوم الصحية<br>سنة رابعة طب بشري /صيدلة<br>/أسنان | الإثنين<br>11.00-12.00 صباحاً |

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

|   |                                  |                                                                             |                                                                    |                                   |
|---|----------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------|-----------------------------------|
| 4 | التيجاني إسماعيل<br>الجزيري      | الأثر الشرقي في الأدب<br>الروسي<br>(مقر اتحاد الأدباء والكتاب<br>اليمنيين)  | اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين                                     | الأثنين<br>الخامسة عصرًا          |
| 5 | أ.د. عبد الكريم<br>مخلف الهيتي   | طفولة الشعر والنقد العربي<br>القديم (قاعة المؤتمرات<br>/كلية التربية عدن)   | أقسام اللغة العربية<br>كلية التربية عدن / كلية<br>الأداب           | الثلاثاء<br>9.00-10.00 صباحاً     |
| 6 | أ.د. دفع الله عبد الله<br>التراي | تجربة السودان في التعريب<br>(كلية الهندسة)                                  | أقسام الهندسة المدنية<br>/الميكانيكا /كهرباء                       | الثلاثاء<br>9.00-10.00 صباحاً     |
| 7 | أ.د. حسام الخطيب                 | الاستفادة من الترجمة الآلية<br>في تعريب العلوم (القاعة<br>الكبرى كلية الطب) | طلاب كلية الطب                                                     | الثلاثاء<br>9.00-10.00 صباحاً     |
| 8 | أ.د. محمد يونس<br>الحملوي        | الأرقام العربية الأصلية<br>قضية وشبهات (كلية<br>الهندسة)                    | كلية الهندسة أقسام الكمبيوتر/<br>تكنولوجيا المعلومات/<br>الاتصالات | الثلاثاء<br>11.00-12.00<br>صباحاً |

### سابعاً: التوصيات

إن الندوة الرابعة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي، بعد استماعها إلى البحوث المقدمة من قبل الباحثين المشاركين ومناقشتها، قد انتهت إلى مجموعة من التوصيات ندرجها فيما يأتي حسب المحاور التي اشتملت عليها الندوة.

### المحور الأول:

#### المعلوماتية والاتصال والترجمة الآلية:

1. الاستفادة من التطورات الجارية في حقل الترجمة الآلية وتوظيفها لمصلحة تعريب العلوم.
2. دعوة مراكز التعريب والهيئات المهمة في وزارات التعليم العالي لتفعيل عملية التعريب من خلال الشبكة العالمية (الانترنت).
3. دعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى تشكيل فريق متنوع من أهل التخصصات اللغوية والتقنية للنظر في المشروع الإجرائي الذي قدمه الأستاذ الدكتور حسام الخطيب في ندوة الخرطوم لعام 1998 وندوة دمشق لعام 2000 والمدعوم بقوائم المراجع البحثية والمؤسسات العاملة في هذا المجال، وأن يتعاون المركز بشأته مع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ذات العلاقة.
4. قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتوفير المستلزمات البشرية والمادية للمركز العربي للتعريب ليدخل عالم الآلية في المجالات التي يحتاج إليها بالتعاون مع الشركات المنتجة لبرامجيات الترجمة الآلية ونظمها من اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار إلى العربية، وذلك تمهيدا لقيامه بوضع نظمه الخاصة للترجمة الآلية بمساعدة الإنسان. ويمكن للمركز أن يبدأ بمشروع ريادي يتمثل في ترجمة كتاب علمي في مجال محدد ترجمة آلية من خلال نظام مفتوح يفتتبه المركز من شركة منتجة ، ويقوم بتطويره وتوسيعه وتحسينه بواسطة خبرائه.
5. تشجيع الترجمة بجعل الناتج الترجمي مؤهلاً للترقية في الدرجات الجامعية ، واعتبار ذلك الناتج من قبل الطلبة بمثابة أطروحة تخرج.
6. مطالبة الموفدين من قبل الجامعات العربية للتخصص في الجامعات الأجنبية بترجمة أطروحاتهم في الدراسات العليا إلى اللغة العربية للاستفادة منها في بلدانهم والوطن العربي.

### المحور الثاني:

#### المصطلح العلمي والكتاب الجامعي:

7. دعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى زيادة إصداراته من المراجع الجامعية العلمية المترجمة، وإيصالها إلى الجهات المحتاجة إليها، ودعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لزيادة مخصصاته المالية ليتمكن من أداء رسالته العلمية والثقافية، ودعوة الجامعات والمعاهد العليا في الوطن العربي إلى اقتناء إصداراته للإفادة منها ومساعدته على مضاعفة فعاليته مستفيداً من عائدات هذه الإصدارات.
8. دعوة الجامعات والمعاهد في الوطن العربي للعناية بالكتاب الجامعي المنهجي والمرجعي، المؤلف والمترجم، مضموناً وشكلاً، مع وضعه في متناول الطلبة بثمن مخفض.
9. دعوة الجامعات والمعاهد العربية إلى ملاحظة مواكبة الكتب المنهجية والمرجعية المعتمدة لديها للتطور العلمي الجاري في العالم والعمل على تجديد هذه الكتب كلما دعت الحاجة إلى ذلك.
10. دعوة المؤلفين والمترجمين إلى استخدام المصطلحات الواردة في المعاجم الموحدة التي أصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط، والتي صدرت عن مجامع اللغة العربية في الوطن العربي.
11. دعوة مكتب تنسيق التعريب بالرباط إلى مضاعفة نشاطه في إعداد مشروعات المعاجم التي يتطلبها تعريب تدريس العلوم في الجامعات والمدارس العربية.
12. دعوة مكتب تنسيق التعريب بالرباط إلى النظر في تعديل منهجية العمل الذي يقوم به ، بحيث لا يكتفي بجمع وتنسيق وتوحيد المتوافر من المصطلحات في الوطن العربي بل يسعى لرصد المصطلحات العلمية التي توضع في البلدان المتقدمة ومراكز البحوث من الكتب والمجلات والنشرات ، ويعمل اعتماداً على أصحاب الخبرة لوضع المقابلات العربية لها ، قبل أن تشيع بصورة خاطئة.
13. دعوة مجامع اللغة العربية لمضاعفة نشاطها المصطلحي والمعجمي لإغناء دور مكتب

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

- تنسيق التعريب وسائر الجهات المعنية بالعمل في مجال المصطلحات والمعاجم.
14. دعوة الجامعات في الوطن العربي إلى إدخال مادة علم المصطلح وعلم المعجميات في مقرراتها الدراسية.
15. دعوة مكتب تنسيق التعريب إلى إنشاء (مصرف مركزي للمصطلحات) تستطيع الجامعات والمراكز العلمية والباحثون الاتصال به والإفادة منه.
16. دعوة الجامعات في الوطن العربي لتبادل الكتب المنهجية والمرجعية التي تصدرها، وذلك بموجب اتفاقيات تعقد فيما بينها لهذا الغرض.
17. العمل بجد لوضع الفكر الإسلامي في دائرة الحوار بين الحضارات وذلك على أساس منهجية ترجمة واستخدام المصطلحات بصورة دقيقة ومدروسة وذلك بغرض خدمة أغراض التأهيل والتأهل ودرء اللبس والخطأ وإيضاح الحقائق.
18. دعوة المعنيين بالعلوم الرياضية والهندسية إلى الاتفاق على الرموز والحروف المناسبة والدعوة إلى عقد ندوة خاصة حولها بقصد توحيدها وتعميمها في جميع الأقطار العربية.

### المحور الثالث:

#### سياسات وتجارب التعريب:

19. دعوة المسؤولين عن السياسة العامة والسياسة التعليمية والعلمية في الوطن العربي إلى اعتبار تعريب التعليم العلمي في جميع مراحل الدراسة ولاسيما المرحلة الجامعية ضرورة قومية واجتماعية وتربوية. إن التعريب هو حفاظ على الهوية العربية ودعمها للتنمية الشاملة وتحقيق التقدم الاجتماعي والثقافي للأمة العربية.
20. دعوة البلدان العربية التي بدأت بتعريب التعليم العلمي لمتابعة خطواتها ودعمها لتأمين مستلزمات التعريب التي تضمن له النجاح: الكتاب والمعجم والمدرس المؤهل للتدريس بالعربية، ودعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للعمل على توحيد مناهج التدريس الجامعي في الكليات والمعاهد العليا كافة لتيسير استخدام كتب منهجية واحدة أو مقارنة في الأقطار العربية.

## التعريب ..... العدد الرابع والعشرون . كانون الأول/ديسمبر 2002

21. مناشدة الدول العربية التي لم تبدأ بتعريب التعليم العالي أن تسرع بهذا التعريب مستفيدة من الخطط والبرامج التعريبية التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومن تجارب البلدان العربية التي سبقتها في هذا المجال.
22. دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى وضع الخطة القومية للترجمة والخطة القومية للتعريب التي قامت بالموافقة عليهما واعتمادهما ونشرهما موضع التطبيق، ورصد الاعتمادات اللازمة التي تساعد على توفير احتياجات تطبيقهما بالتعاون والتنسيق مع الجهات المختصة.
23. دعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق إلى عقد ندوة مخصصة لتعريب الرموز العلمية وتوحيدها.

### الخاتمة

وأخيراً يتقدم المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر على الجهود التي بذلها في الإعداد لهذه الندوة وتنظيم شؤونها وتهيئة أسباب النجاح لها.

كما يتقدمون بالشكر والامتنان إلى السلطات السياسية والجامعية اليمنية لما قدمت من رعاية وعون، كانا عاملاً أساسياً في نجاح هذه الندوة، ويدعون المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لعقد ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي كل سنة بدلاً من سنتين نظراً لأهمية هذه الندوة والموضوعات التي عالجتها والتوصيات التي توصلت إليها، كما يدعون الوزارات ذات العلاقة في دولة مقر المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر "سورية" وفي الدول العربية الأخرى لتخصيص دعم مالي سنوي متصل للمركز المذكور لتمكينه من أداء مهامه وتحقيق أهدافه، كما يدعو المشاركون المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر للقيام بطبع أعمال هذه الندوة وإرسالها إلى المشاركين والجهات المعنية.

## قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 . ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 . أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 . ترسل المادة المراد نشرها مرقونة على الآلة الكاتبة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى نسختين، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها 20/ صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 . تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه مكتوبة باللغة العربية على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 . ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة عن سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6 . تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7 . تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار بشكل واضح إلى أمكنتها في متن النص.

8 . يتم تعريب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 . تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

. أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

. أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.

. ألاّ يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.

. أن يصحب العرض بمعلومات ببليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسلم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.

11 . تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتبنى قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12 . يحق للمجلة . إذا رأت ضرورة لذلك . إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13 . يتم إبلاغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14 . تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15 . لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة،

**التعريب ..... العدد الرابع والعشرون - كانون الأول / ديسمبر 2002**

وبموافقة خطية من رئيس التحرير مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

16 . إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 . تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 . ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور رئيس التحرير إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11. 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail:acatap@net.sy

الموقع على الانترنت: www.acatap.htmlplanet.com

